

المستقبل الثقافة العربية

من المثالية بمكان القول بأننا نتطلع إلى صورة ثقافتنا العربية المستقبلية. فكل الشواهد تشير إلى أننا نعيش أسرى الماضي. نتغنى بأمجاده، ونفخر بإنجازاته، رغم أننا نقف على أرض هشة، تتآكل فيها إنجازات الماضي، ونسير إلى مستقبل مجهول وسط وثبات العالم من حولنا إلى المستقبل، ووسط متغيرات عالمية مذهلة في كل لحظة.

أليس من حقنا أن نحلم بمستقبل جميل لمجتمعاتنا ولثقافتنا على وجه الخصوص التي هي مفتاح حضارتنا ودليل هويتنا وعنوان شخصيتنا؟ لنحلم ونحلم متجاوزين الواقع بكل إحباطاته لعلنا في يوم من الأيام نتغلب على هذا الواقع المريض، ونخطو نحو المستقبل أسوة بالأمم الأخرى.

د. خالد عبد اللطيف رمضان

ولكي تتحول الأحلام إلى حقيقة، يجب أن نتفكر في أوضاعنا. لماذا رغم كل ما بذلنا على التعليم طوال سنوات عديدة، وما خرجنا من أطباء ومهندسين وعلماء ومتخصصين في شتى مجالات المعرفة، لم ننهض ولم نتطور ولم نأخذ مكاناً لائقاً على سلم الحضارة المعاصرة؟

لماذا لا يسهم ملايين المتعلمين العرب في صنع نهضة حقيقية؟

أتصور أن العلة تكمن في عدة أسباب منها: فلسفة التعليم لدينا حيث الهدف من الدراسة تخريج موظفين، قد يكونون منتجين أو لا يكونون، فليس من مهمة التعليم لدينا تخريج المبتكرين

والمخترعين والمتعبدين في محراب العلم.

وربما يكمن السبب الآخر في عطب الشريان الرئيسي لتنظيم شؤون مجتمعاتنا، وهو الإدارة العامة في بلداننا، حيث تعاني من أمراض مزمنة، تسهم في تخلف معظم القطاعات. ومنها قطاع الثقافة، فالإدارة بمفهومها الشامل أشبه بالدورة الدموية لأي دولة، ومتى ما فسدت فسد الجسد كله.

ولعل السبب الثالث يكمن في تهميش العمل الثقافي في بلداننا من حيث الاهتمام والانفاق عليه، فكل شيء يشكل أولوية على العمل الثقافي ابتداء من توفير المواد التموينية وانتهاء بترصيف الطرق. ونغفل عن كون الثقافة هي المفتاح لولوج العصر والارتقاء في مراتب الحضارة الإنسانية.

فمن خلالها تتحدد هويتنا وتبنى شخصيتنا، ومن خلال ازدهار المناخ الثقافي ستتحول جيوش العلماء والمتخصصين المكونين في زوايا المكاتب الحكومية إلى طاقات مبدعة ومنتجة، ويزدهر الابتكار. وقتها لن يعوقنا الخوف من العولمة التي أصبحت واقعاً علينا التعايش معه، ولا من ثورة الاتصالات التي تستطيع إيصال أي شيء وفي أي وقت إلى منازلنا دون أية موانع رقابية، وسيكون تعاملنا مع وسائل العصر الحديث مثل تعامل الأمم المتحضرة الأخرى، نستفيد ونفيد البشرية مثلاً كما في سالف العصور.

وسنتجاوز وقتها كل الاحباطات الاجتماعية، وانخفاض سقف الحريات الذي فرضته سيادة التيار المحافظ في مجتمعاتنا.

وإذا استسلمنا للواقع بكل معطياته الحالية، فسنظل نندب حظنا، ونلعن القوى الإمبريالية التي تسعى إلى السيطرة علينا من جديد بوسائل عصرية حديثة، وسنظل نجتر أمجاد الماضي، بينما الأمم الأخرى تنهض وتنمو وتتطور ونعيش نحن في كبوتنا المزمنة. أملنا في ثقافتنا، متى ما نشطت، أشاعت الحياة من حولها. وهذا يتطلب أولاً إيمان القائمين على العمل الثقافي بضرورة العمل الثقافي الحقيقي لا الشكلي.

كما يتطلب إيمان جميع المسؤولين عن قطاعات العمل المختلفة برسالة الثقافة ودورها في بناء شخصية المواطن وتحديد هوية المجتمع، لكي يسهلوا عمل قطاع الثقافة وازدهاره.

تساؤلات حول فن القصة القصيرة

د. أحمد جاسم الحسين

له إشكالياته ومنزلقاته نظرا لخصوصية الفن، وكون الفن دائم التحول والتجدد ويسعى كل كاتب متميز أن يضيف جديدا في سيرورة الفن الذي يمارسه (2)، من هنا فإن الفن حقل متجدد الخصوبة، متنوع المشارب، وهذا ما أكدته فن القصة القصيرة الذي بدا أنه قابل للتجريب، وساع دائما لكسر الأطر والقواعد النظرية.

ويمكن للمرء أن يحاول تصنيف بعض خصوصيات هذا الفن من موازنته بأجناس أدبية وفنون أخرى من جهة (3)، ومن خلال البحث في مكوناته وأركانه وعناصره من جهة أخرى، وفي الحاليتين معا تكون النتيجة مجموعة اقتراحات للتأطير، وليست حدودا ثابتة أو عناصر لا يخرج من دائرتها شيء.

إضافة إلى ما سبق فإن مصطلح القصة القصيرة بات يحمل في أثنائه عددا من المفاهيم التي قد تختلف من دارس إلى آخر مما يفرض على البحث ضرورة تحديد مراده حين يستعمل هذا المصطلح ليكون ذلك أكثر دقة وعلمية (4).

ويبدو أن وجهات النظر مهما تعددت في هذا الجنس الأدبي وتعريفه فإن رابطا ما يشدها بقوة

يثير مصطلح القصة القصيرة جملة من الأسئلة التي لا بد من قول كلمات محدّدات حولها بما أن المصطلح يحيل إلى جنس أدبي له إشكاليات وهموم متنوعة.

لقد حار المنظرون والمهتمون بالنظرية الأدبية في الإجابة عن عدد من المساءلات التي يبعثها البحث في تاريخ هذا الجنس الأدبي أو قراءة واقعته ومحاولة التنبؤ بمستقبله، واستطاع فن القصة القصيرة أن يخلق حوله ثلة من البؤر المعرفية التي تجبر القارئ على محاولة اقتراح مشاريع أجوبة لأسئلة الفن، وبما أن هذا الجنس تتجاذبه تيارات عديدة، وتتناوشه منازع مختلفة فقد كثرت تعريفاته التي تبارى عديدون في صوغها، كل منهم وفق المفهوم الذي وضعه في حسبانته، مثملا حاول بعضهم الهروب من محاولة تعريفه لأنهم وجدوا أن لا سبيل إلى الإحاطة به (1).

ولا نبتغي من الكلام السابق إعطاء القصة القصيرة قيمة ليست هي بأهل لها، وإنما هذا ما استخلصناه من قراءتنا لكثير مما قيل حول هذا الفن.

إذ لا يخفى على امرئ أن محاولة تعريف جنس أدبي - أي جنس - أمر

وهو انتماءؤه إلى السرد - النثر (5)، وإن بات على المرء أن يكون متحفظا قليلا لو حاول البحث بعمق في أركان هذا الجنس بخاصة أن ملامح غنائية يمكن أن تظهر فيه وصفات انفعالية أحيانا (6). يمكن أن نجدها أيضا، ولعل بحث علاقته في بعض الأجناس الأدبية يسهم في تحديد بعض معالمه، ومثل هذا البحث في علاقته كان الطريق الأرحب الذي حاول من خلاله عدد من النقاد تحديد سماته وخصوصياته.

عن علاقته مع الرواية يمكن القول: إن هذه العلاقة قد شغلت النقاد زمنا، ولجأوا إلى هذه الموازنة في سعيهم إلى تحديد خصائص القصة القصيرة، وخرجوا بفوارق شتى نصت عليها أفكارهم (7)، ويبدو أن مبعث مثل هذه المقارنة شعورهم بأنهما ينتميان إلى النثر، لكن بقليل من الانتباه نجد أن الفوارق هائلة في آلية المعالجة وفي النظر إلى لأشياء، ويبدو أن ذلك شارك فيه مسألة القصر والطول وهي قضية متسعة حاول المهتمون الوقوف عليها (8)، متخذين منها أحد الصوى الرئيسية للتفريق بين هذين النمطين اللذين تجمعهما أشياء عديدة مثلما تفرقهما أشياء أخرى، وليست عوامل التشابه هذه بين القصة والرواية الوحيدة من حيث علاقة القصة بالأجناس الأخرى لأنها أيضا تتشابه في محاور عديدة مع فن الشعر بخاصة في تطوراتها اللاحقة، وتحاول الإفادة من بعض خصائصه، ويبدو هذا أكثر ما يبدو

على صعيد التعامل مع اللغة، واللجوء إلى المفارقة وأشياء أخرى، إلا أن هذا التشابه أو التعاون لا يعني وجود عنصر أخذ وآخر معطي بل إن الشعر أيضا استفاد من بعض خصائصها (9)، ومثل هذا التداخل ليس جديدا وإن كان قد أخذ أمداء أوسع في ظل الرؤى النقدية الحديثة للدعوة إلى (النص المفتوح) وكسر الحواجز بين الأجناس الأدبية، وتبدو الحرارة التي يمكن أن تكتب في ضوئها بعض أنماط القصة القصيرة أكثر قربا من الشعر بخاصة الاستفادة من تجربة انفعالية متكئة على لحظة زمنية خاصة ووعي حاد في بعض القضايا، وتنطلق مثل هذه الوشائج لتصل إلى أجناس أخرى مثل المقالة من حيث الوظيفة الملقاة على عاتقها ومباشرة غاياتها في بعض النماذج (10)، مثلما تستفيد بعض أنماط المقالة من فن القصة القصيرة.

أما عن علاقة القصة مع الدراما فهي علاقة تدخل في صلب فن القصة القصيرة لأن أحد مكوناتها الإحساس الدرامي الذي يولد إيقاعا سريعا تتطلبه (11) هي وإيجازا وتكثيفا من أخص خصائصها، وإن علاقتها مع الدراما لا تشكل علاقة طارئة يمكن أن يستفاد منها طورا وتلغى تارة، بل العلاقة وجودية وإن اختلفت درجة الاستفادة وانعكاسها على نوعية التوتر المتولد في النص القصصي بحسب النمط الذي يكتبه الكاتب والآليات الأخرى،

أثرت في سيرورته، وبما أن الميدان هنا ليس ميدان تفصيل، بل ميدان اختصار نقول: إن معظم المؤرخين ومتابعي هذا الجنس الأدبي قد عدّوا ثلاثة من أعلامه هم الذين تركوا بصماتهم على تبلوره الفني الأولي هم (أدغار آلان بو - وغي دي موباسسان - وأنطوان تشيخوف) (16). وإن الأثر الذي تركه كل واحد منهم يكمل أثر الآخر وقد شاركوا جميعاً في ترسيخه وتحديد صياغة له وإن كانوا ينتمون إلى ثقافات متعددة لكنهم عاشوا في فترة مقارنة متتالية.

ولا شك أنه مثل أي جنس أدبي آخر ارتهن بمجموعة من الأمور التي تخص دوره وكيفية انتقاله من أطوار التسلية إلى الوظيفة الواضحة، وإلى تأثره بمجموع الحركات الاجتماعية التي ساهمت في إخصابه وتفعيله (17)، وإن كان مفهومه اليوم يختلف عن مفهوم التشكل في نقاط رئيسية، وهذا طبيعي في سيرورة كل جنس أدبي، يتطور ويتنوع تبعاً للعصر، وكما يبقى محافظاً على حياته لا بد له من مرونة تكسبه المزيد من الغنى والخصب.

ويمكن لنا أن نقف عند وشائج مع المجتمع والواقع الذي يمتح منه، وهي وشائج إشكالية توقف عندها الدارسون طويلاً، إذ مما لا شك فيه أنه في تجلياته الكتابية المختلفة قد كان استجابة لمعطيات اجتماعية فرضته، وأسهمت في نهضته وهذا طبيعي في تاريخ الفنون الأدبية

إلا أن هذه الدراما ضرورة ملحة تكسب فن القصة الكثير من الخصوصية الضرورية لأن لها ثمرات على بناء تخصص الإيقاع والتشويق مع الاحترام لأنماط القصة القصيرة التي تتأسس على عناصر أخرى من مثل (القصة اللوحة). ويمكن أن تستفيد القصة القصيرة من أجناس أدبية أخرى وفنون عديدة، وهذا ما بدا جلياً من خلال سيرورتها وفي تجلياتها الأخيرة إذ سعى المجددون والمجربون إلى محاولات استفادة من الفن التشكيلي والسيناريو والمسرح والسينما وسوى ذلك (12) وقدمت تجارب عديدة كانت واضحة المعالم في سيرورتها وفي جرّها إلى آفاق جديدة، ويمكن لها أيضاً أن تستفيد من بعض معطيات الأدب الشعبي وخصوصياته، وهي التي يمكن أن تنقل لنا عديداً من التفاصيل الحميمة التي تجعلها أكثر قرباً منا (13).

إن مجموع العلائق التي تحدثنا عنها بين فن القصة القصيرة والفنون والأجناس الأخرى لا يعني أنها هجينة (14) وتتكون من مجموعة عناصر من مختلف الأجناس، بل يعني قابلية هذا الجنس للتعاون مع الأجناس وإمكانية التجديد والتجريب، ويمكن أن يكون بأن واحد ملحمياً وغنائياً مع بعض السمات الرومانسية والواقعية وسوى ذلك (15).

وهذا يتيح لنا الحديث قليلاً عن تاريخه وبدائياته، والعوامل التي

عن علاقته مع الواقع، هذه العلاقة التي تمده بالكثير من الخصوصية، فالفن هو «صيغة متميزة لمعرفة العالم جماليا» (19) وللفن أيضا مرجع يصدر عنه ويحيل إليه لذلك فإن له دلالة يضممرها أو يظهرها (20).

أما صلاته بالمتلقي وأليات هذه الصلات ووظيفته ومقولاته التي يريد أن يقولها وعلاقته بالفرد أساسا والشفاهية والكتابية فهي قضايا تستحق بعض النقاش فقد تحدثت كثير من سمات القصة القصيرة ووظائفها في ضوء وشائجها بالمتلقي، الذي حرصت على إبقاء مجموعة من العلائق معه لأن للأدب غايات لا تتحقق إن فقدت هذه الصلات معه، ولئن كان الحرص على هذه العلائق يقود أحيانا بعض القاصين إلى شيء من المباشرة، لكن يمكن أن يحافظ على الفني إلى جانب الإيصال (21).

إن القصة القصيرة منذ بداياتها كانت تضع في حساباتها مجموعة من المقولات التي تريد إيصالها إلى القارئ وذلك بعد أن تخلت عن أسسها الترفيهية والبوليسية والوعظية لكن هذه الأهداف لا تعني أنها تخلت عن تلك الأسس، بل يعني أنها يمكن أن توصل ما تريده خلالها، ويلحظ في نصوص عديدة أن الإيديولوجية تزيد على حدها مما يهدد جوانبها الفنية، فهي لا تهدف إلى إشباع القارئ بقدر ما تريد أن تحرّض بعض الجوانب في نفسيته وأليات تفكيره، لقد تغيرت أليات

والإبداعية إذ لا بد لكل فن من ظرف اجتماعي ينهض في كنفه، ويستمد كثيرا من نسقه من أجواء هذا الظرف، وكل تطور بارز في سيرورته لا بد له من تواشج ظرف اجتماعي مع ظرف فكري مع مجموعة من المبدعين الذين يستطيعون فتح كوى جديدة للفن والتعبير عن معطيات الواقع الذي يعيشونه، وقد كانت وشيجة هذا الفن بالواقع محورا من المحاور التي تنوّلت عبر سيروته، وهذا لم يكن يخصه وحده وإنما طال الرواية أيضا، ومما لا يختلف عليه اثنان هو دور الواقع في صياغة الفن (18) لكن يختلف هذان الاثنان وغيرهما في آلية الصياغة والانتقال من المحاكاة إلى الانعكاس ومن ثمة إلى المخالفة في ظل معطيات عديدة ذات جوانب فكرية واجتماعية وذاتية تفرزها مجموعة الظروف المحيطة والأحوال المرافقة لتاريخ الفن، إضافة إلى الوظيفة التي يسعى إلى تحقيقها والوعي الذي يريد أن يوصله، فالفن يحاول اختزال كثير من التجارب الواقعية عبر رؤى واعية ويحدد الموقف منها والسبيل إلى تنميتها أو تجاوزها مثلما يكتفي في حالات عديدة بالإشارة إليها ولفت الأنظار، وهذا يفرز بدوره نصوصا ليست بسوية واحدة، لها علاقة بالموهبة والمدركات والوقائع وفهم دور الفن، لكن لا بد من تأكيد أمرين يخصان علاقة فن القصة القصيرة بالواقع فهو ليس محاكاة وتطابقا مع هذا الواقع، وهو أيضا لا يمكن أن يتخلى

يسهم في فتح مدارك جديدة أمام الفن.

أما مكوناتها وتقنياتها وعناصرها التي تنوعت بتنوع سيرورتها ومفهومها والعوامل المؤثرة فيها فهي تدل على أن العناصر المكونة لكل جنس أدبي غير قارة ولا ثابتة، قد يطالها التطوير وقد يُهمش دور بعضها تبعاً لأشياء كثيرة لها علاقة في تكوين كل جنس أدبي من مثل المعطيات الاجتماعية، والوظيفة التي يضعها في حسبانها، إضافة إلى محاولات التجديد التي يقوم بها بعض كتابها (25).

وعلى الرغم من الكلام السابق إلا أن ثمة مجموعة من العوامل عرفت بها القصة القصيرة في سيرورتها وإن طال بعضها الكثير من الاحتجاج، وقد وُلد التنوع في الرؤية وفهم الفن ودوره، وكيفية الاستفادة من عناصره، ولد كل هذا عدداً من الأنماط القصصية من جهة إضافة إلى أنه خلف أيضاً عدداً من التيارات الكتابية (26) التي وجدت في سيرورة هذا الفن، على أنه من الضروري تأكيد أن هذه التيارات والأنماط لم تكن متلاحقة بحيث إن من الضروري أن يكون نص اليوم أجود من نص الماضي، بل إن فترة من الفترات عرفت هذا النمط أو ذاك. ولا بد للمرء من أن يشير إلى أن ثمة من العناصر قد غلبت على النصوص القصصية، لكن لا يستطيع تعميمها على جميع النصوص وفحصها في ضوء تلك

علاقتها مع المتلقي تبعاً لسيرورتها التاريخية إلى أن وصلت في نصوص محدثة إلى التوجه إليه مباشرة وبصراحة وكأنها تعود في ذلك إلى الاستفادة من جذورها الشفوية، وقد تنازعتها عبر تاريخها الرغبتان الشفوية والكتابية (22)، وقد نجح معظم كتابها بإجراء شيء من التوازن بين هاتين الغايتين اللتين باتتا تسهمان في بنائها وتكوينها من حيث الحكاية والتشويق والوسائل الفنية الأخرى، ومع أنه وجدت حالات تجديدية حاولت تخليصها من شفاهيتها وجرها إلى عالم الكتابة فقط وإلغاء الحكاية والتتابع وسوى ذلك، إلا أن الأيام أثبتت أن هذا الفن مرتبط بكتابيته مثلما هو مرتبط بشفاهيته مع كل محاولات التجديد التي لا تفسد للود قضية!

وقد نجحت القصة القصيرة بما أنها تحاول التعبير عن المغمورين والمأزومين (23) محاولة التنبيه على الوعي الحاد لاستيحاء الإنسان (24)، فيما صبت إليه وكتبت قصص عديدة عن شخصيات لا يتاح لها التعبير عن نفسها محاولة التركيز على المصير الفردي وهو في كل خضم الجماعة، وهي في كل تجلياتها ومحاولات التجديد فيها لم تخفف من علاقتها مع المتلقي لإدراك كتابها أن إنهاء العلاقة مع المتلقي سيؤدي إلى وأد الفن، وأن أي تجديد لا يضع في حسبانها طبيعة الفن وخصوصيته وعلائقه مع المتلقي هو تجديد لا يفيد ولن

في أنحاء القصة القصيرة، وهذا يولد إيقاعا سريعا تحتاجه القصة، إضافة إلى التنامي والمعمار القصصي، ومطلوب التأكيد على نقطة تخص التحفيز والإدهاش (29).

إلا أن الإشارة إلى هذه العناصر تحضر معها عددا من النصوص التي خالفت هذه المكونات فخلفت تشظيا في الحدث، ونهاية غير مدهشة، لأن القصة في بعض تجلياتها كلها مدهشة، ولم تلتزم قصص أخرى في القصر إذ تجاوزت ثلاثين صفحة إلى مئة، فيما بالغت بعض النماذج في القصر كأن لا تتجاوز العشر كلمات (30).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية الضبط التكنيكي، وكما أشرنا من قبل فإن كل نص متميز يضيف إلى نظرية القصة القصيرة وتاريخها الكثير، ولئن دعا كثيرون إلى التخلي عن التفاصيل إلا أن بعض النماذج القصصية تركز عليها، ويمكننا الإشارة إلى أهمية الإحساس والذاتية في القصة القصيرة على ألا يطغى على العناصر الأخرى، أما الموقف من اللغة فيتطلب حساسا لكل كلمة وجملة بحيث تكون موظفة التوظيف اللازم، ويمكن استعمال جمل وعبارات تحمل غير دلالة، إضافة إلى أن ذلك يتطلب الإشارة إلى أهمية أن تكون اللغة لغة الشخص وليس لغة القاص وحده، مع الإشارة إلى أهمية الإقناع في كل جزئيات النص

العناصر، لأن كل تجربة قصصية تحاول التجديد تخلق عناصرها الخاصة، وإن كانت تتكىء على بعض العناصر المعروفة، لذا فإنه من الأجدي الإشارة إلى العناصر ليس بصفتها عناصر ثابتة في كل قصة، بل بصفة إمكانية ورودها إذ لكل قاص ما يشاء أن يختار من العناصر وفق رؤيته، ووفق ما يستدعيه نصه، وفي كل مرحلة قصصية يوجد بعض القاصين الذين اختاروا طريق التجديد والتجريب، مثلما يحاول قاصون آخرون المحافظة على التقاليد القصصية المعروفة.

وقد بدأت محاولات تحديد مكونات القصة القصيرة مع إدغار آلان بو - من خلال تركيزه على وحدات ثلاث (27)، فيما ركز فراتك أوكوتور على ثلاث وحدات أخرى هي العرض، النمو - العنصر المسرحي (28)، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض عناصر القصة القصيرة تحدد في ضوء العلاقة مع التخيل والواقع والشخصية والحدث، ولا بد من تأكيد أن هذه الوحدات لم تنل اهتمام الجميع ولا سيما من ساروا في طريق التجريب.

لا يمكن للباحث في نظرية القصة القصيرة أن يتجاهل بعض العناصر التي تخص وجودها من مثل الإيجاز والتكثيف وكونها تقدم لحظة مهمة - مأزومة في حياة الشخصية، إضافة إلى الإحساس الدرامي الذي يجب أن يبقى حاضرا

وتعريف د. يمني العيد - تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي - الفارابي - بيروت - 1990 - ص 165 «قول لغوي يبني عالمه بتقنيات خاصة يبدعها» وتعرفها ثانية - ص 176 «شريط لغوي» .
وتعريف يوسف الشاروني - دراسات في القصة القصيرة - دار طلاس - دمشق - 1989 - ص 10 «فن قولِي درامي» .

وتعريف د. شكري عياد في كتابه القصة القصيرة في مصر: دراسة في تأصيل فن أدبي - دار المعرفة - القاهرة - 1979 - ط 2 - ص 10 «إن القصة القصيرة تبدو جامعة للنقيضين في وقت واحد، مغلّة في الذاتية، مـوغلّة في الموضوعية» . وتعريف د. حسين محمود في كتابه إميل حبيبي والقصة القصيرة - الوكالة العربية - الزرقاء - 1984 - ص 60 . «إن أظهر ما في القصة القصيرة الناجحة التأثير الدرامي وروح الشعر الإيحائية» .

وتعريف د. محمد زغلول سلام في كتابه دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها - اتجاهاتها - أعلامها - منشأة المعارف - الإسكندرية - 1983 - ص 5 «نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس مما قد يضمّنه الفنان عمله، تجمع الفن إلى شيء آخر مهم، فهي تعطي اللذة الفنية والمتعة الجمالية التي يعطيها كل عمل فني إلى جانب ما لها هي من خاصية أخرى تتصل بما يشغل الناس ويهمهم في الحياة» .
ويرى رينيه غودين في كتابه

القصصي وكميات، وأهمية الانزياحات والصور والإيحاء والإمتاع والإدهاش لكن مطلوب منها أن تبقى لغة سردية تعبر عن الأصوات الموجودة في القصة، وأن يتم الاستفادة من العناصر في المواضيع المطلوبة بعيداً عن الاستعراضات التي لن تخلق فناً، ويمكن للقاصين الاستفادة من تقنيات عديدة تخص المفارقة والاستباق والاسترجاع والسخرية والتناص والترميز وسوى ذلك، والمهم أن تبقى القصة قصة موحية مؤثرة (31) .

إن الإشارة السابقة إلى العناصر والمكونات والتقنيات تدل على أهمية الضبط التكنيكي وأن تتم الاستفادة في توظيف النص مع تأكيد أن الفن أي فن، وإن كان يستعصي على التقييد إلا أنه ليس من الضروري ألا يحاول الدارسون بين مدة وأخرى من مراجعة مقولاته ومكوناته في ضوء الواقع العلمي .

الإحالات

(1) يمكن أن يجد المرء عشرات التعاريف لفن القصة القصيرة منها: تعريف د. سعيد علوش في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة - دار الكتاب اللبناني - سوشبرينس - بيروت - الدار البيضاء - 1985 - ص 181 : «سرد مكتوب أو شفوي، يدور حول أحداث محدودة» - «ممارسة فنية محدودة في الزمان والفضاء والكتابة» .

من ذلك: ص 21: «إن مصطلح قصة قصيرة تسمية خاطئة في ذاته، فالقصة العظيمة ليس من الضروري أن تكون قصيرة على الإطلاق، والفكرة الشائعة عن القصة القصيرة من أنها فن صغير، فكرة خاطئة بالضرورة». وفي ص 14 يقول: «يوجد في القصة القصيرة دائماً ذلك الإحساس بالشخصيات الخارجة على القانون التي تهيم على حواف المجتمع».

وفي ص ص 9-10 يقول: «إنها تبدأ وتستمر في أداء وظيفتها لفن خاص قصد به إشباع مستوى القارئ الخاص المتوحد/الناقد»، ثم يقول ص 173 «إن القصة القصيرة يمكن أن تعالج الحياة التي تبقى سرا».

وهي عند فاليري شو: «انسجام بين المتناقضات تفاعل بين التوترات والمقولات المتعكسة، قصيرة لكنها رنانة.. مكتوبة نثراً لكن بها كثافة الشعر.. مصنوعة من كلمات سوداء، على صفحة بيضاء، لكنها تومض باللون والحركة.. مكتوبة لكنها تحاكي الكلام الإنساني.. يبدو أن العامل الوحيد المشترك فيها، هو هذا التوازن الذي تسعى إليه». نقلاً عن كتاب تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة - د. مجدي دومة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1998 - ص 76.

وواضح من مجموع التعريفات السابقة أن كلا منها يركز على جانب من رؤية خاصة، وهذا يدل على صعوبة تعريف الجنس الأدبي بكلمات محدودة كونه دائم التطور،

القصة الفرنسية القصيرة - ترجمة د. محمد نديم خشفة - دار فصلت - حلب - 2000 - ص ص 145 - 149: أنه من الخطأ محاولة تعريفها لأن التعريف لا يحيط بها فهي نص سردي موجز قائم على موضوع مختصر، سريع، مكثف ومحكي. ويتحدث غودين عن عدد من قضايا القصة القصيرة وهمومها.

ونقلًا عن أحد القواميس تقول عنها هالي برنت في كتابها: كتابة القصة القصيرة - ترجمة أحمد عمر شاهين - دار الهلال - القاهرة - 1996 - ص 86، أنها «سرد لأحداث متخيلة في العادة، هدفها إمتاع القارئ».

ويرى ولسن ثورنلي في كتابه: كتابة القصة القصيرة - ترجمة د.

مانع الحماد الجهني - النادي الأدبي الثقافي - جدة - 1992 - ص 20 أن القصة «سلسلة من المشاهد الموصوفة التي تنشأ خلالها حالة مسببة تتطلب شخصية حاسمة ذات صفة مهيمنة تحاول أن تحل نوعاً من المشكلة من خلال بعض الأحداث التي ترى أنها الأفضل لتحقيق الغرض، وتعرض الأحداث لبعض العوائق والتعصيدات حتى تصل إلى نتيجة قرار تلك الشخصية النهائي».

وفرانك أوكونور في الصوت المنفرد - مقالات في القصة القصيرة - ترجمة د. محمود الربيعي - مراجعة محمد فتحي - الهيئة العامة للتأليف والنشر - دار الكتاب العربي - القاهرة - 1969 يشير إلى خصائص القصة وأطرها في أكثر من موضع

النظرية والتطبيق - مكتبة غريب - القاهرة 1994 .

(10) د. مجدي دومة - تداخل الأنواع الأدبية في القصة المصرية القصيرة - ص ص 99 - 104 .

(11) فرانك أوكونور - الصوت المنفرد - ص ص 90 - 98 .

(12) د. عبد الله أبو هيف - عن التقاليد والتحديث في القصة العربية - اتحاد الكتاب العرب - دمشق 1993 - ص ص 223 - 228 .

(13) المرجع نفسه - ص ص 11 - 41 .

(14) د. مجدي دومة - تداخل الأنواع في القصة القصيرة - ص ص 76 - 77 .

(15) د. طلعت صبح السيد - القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية - نادي الطائف الأدبي - الطائف 1998 - ص ص 19 - 27 .

(16) د. يوسف الشاروني - دراسات في القصة القصيرة - ص ص 78 - 85 .

(17) د. نجيب العوفي - مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغربية من التأسيس إلى التجنيس - المركز الثقافي العربي - بيروت - الدار البيضاء 1987 - ص ص 9 - 13 .

(18) د. طلعت السيد - القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية - ص ص 19 - 27 ، ومعظم الكتب التي تحدثت عن فن القصة القصيرة تناولت علاقته مع الواقع ، راصدة طبيعة هذه العلاقة .

وكون الإلمام بجوانبه أمرا لا يخلو من صعوبة .

(2) د. مجدي دومة - تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة - ص ص 10 .

(3) المرجع نفسه - ص 75 .

(4) يستعمل هذا المصطلح بمفاهيم متنوعة تشمل الأقصوصة والقصة القصيرة جدا والقصة الطويلة .

(5) د. يمني العيد - تقنيات السرد الروائي - ص ص 168 - 177 .

(6) د. مجدي دومة - تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة - ص ص 77 - 90 .

(7) من هؤلاء د. شكري عياد في كتابة القصة القصيرة في مصر - ص ص 46 - 48 ، ود. محمد عبد الحكم عبد الباقي في كتابة القصة في قطر - نشأتها وأعلامها - ملامحها الفنية - د. ن. د. م. 1992 يناقش بعض هذه الجوانب الخلافية بين القصة والرواية ص 137 .

(8) يمكن العودة إلى مقالة لـ ماري لويز برات : القصة القصيرة : الطول والقصر - ترجمة محمود عياد - فصول في النقد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - مج 2 - ع 4 - 1982 .

(9) د. عبد الحميد إبراهيم - القصة القصيرة في الستينيات - دار المعارف - القاهرة 1988 - ص ص 57 - 60 ود. نعيم اليافي - أطراف الوجه الواحد ص ص 156 - 178 . ولمعرفة أثر المفارقة يمكن العودة إلى كتاب د. نبيلة إبراهيم : فن القصص - في

في كتابه دراسات في القصة القصيرة - ص ص 79 - 82.

(28) فرانك أوكونور - الصوت المنفرد - ص 20.

(29) د. يمنى العيد - تقنيات السرد الروائي - هناك بحث خاص بالقصة القصيرة تحدث فيه عن ذلك - ص ص 161 - 192، وهناك أكثر من كتاب حاول رصد مجموعة من النقاط المتعلقة بالنواحي التجديدية في فن القصة القصيرة وبعض تقنياتها، من ذلك «دراسات في القصة» «وقائع ندوة مكناس»، لمجموعة من الباحثين العرب - ج 3 - دار الحوار - اللاذقية - 1989.

(30) من ذلك نماذج عديدة من القصة القصيرة جدا.

(31) يمكن أن يميز المرء بين نمطين من هذا الكتب، نمط يحاول أن يقدم المفهوم التقليدي للقصة من مثل كتاب د. عزيزة مريدن - القصة والرواية - دار الفكر - دمشق - 1980.

وهناك نمط يحاول التركيز على جديد القصة وتقنياتها من مثل كتاب د. مجدي دومة - تداخل الأنواع الأدبية في القصة المصرية القصيرة، الذي يعد من أفضل الكتب التي حاولت قراءة فن القصة القصيرة في ضوء خصوصياته وعلاقاته مع الأجناس الأخرى وتاريخه.

ومن الكتب المهمة التي تزوج بين الفهم التقليدي والفهم الجديد كتاب د. شكري عياد - القصة في مصر.

(19) د. على نجيب إبراهيم - جماليات الرواية - دار الينابيع - دمشق - 1994 - ص 8.

(20) د. صلاح فضل - منهج الواقعية في الإبداع الأدبي - دار الآفاق الجديدة - بيروت - 1986 - ط 3 - ص ص 97 - 104.

(21) د. عبد الله أبو هيف - عن التقاليد والتحديث في القصة العربية - ص ص 9 - 41.

(22) د. ناصر عبد الرزاق الموافي - القصة العربية: عصر الإبداع (دراسة للسرد القصصي في القرن الرابع الهجري) - دار النشر للجامعات المصرية - مكتبة الوفاء - القاهرة - 1995 - ص ص 20 - 27.

(23) د. شكري عياد - القصة القصيرة في مصر - ص ص 149 - 150.

(24) فرانك أوكونور - الصوت المنفرد - ص 11.

(25) د. نعيم اليافي - أطراف الوجه الواحد ص ص 156 - 178، ويرى د. شكري عياد في القصة القصيرة في مصر ص 37 أن «كل قصة قصيرة فنية هي تجربة جديدة في التكنيك».

(26) د. طه محمود طه - القصة في الأدب الإنكليزي من بيوولوف حتى فيخانزويك - الدار القومية - القاهرة - 1996 - ص 183. يرى أن «التجديد في تكنيك القصة (يؤدي إلى) ظهور نوع جديد من الإحساس ونوع جديد من الابتكار».

(27) أشار إلى ذلك دارسون عديدون منهم د. يوسف الشاروني

الغيمة السوداء

• ليلى العثمان / الكويت

الريح يغرق الغرفة لكنني تجلدت في مكاني حين سقطت عيناى على الجسد المنتصب. على ضوء السراج بانفت لي الملامح التي لا يمكن أخطئها. همزت أخى مرات سريعة. اعتدل يفرك عينيه بزيل قذاها. ركز حيث أشرت إليه. ارتعد ملتصقا بي. بحذر صوبت إلى المتقطع في سمعى:

- أهى أمنا؟؟

- هي.

أجبت وقد ابتلعت الصدمة نصف صوتي. رعداته تسربت إليّ وهو يضاعف التصاقه بي لاهثا صوته:

- كيف رجعت؟

- تصمغت شفتاي.

أمى التي أدركت هول حضورها تساءلت بصوت لم يخل من غضب رغم المحاولة:

- نايمين!! «الغيمة السوداء جاتكم».

الخوف الذي داهمنا عقد ألسنتنا. والمفاجأة التي سمرتنا بأرضنا هيجت القطط فتسربت من فتحة الباب إلى الحوش المضطرب بالريح.

البيت القديم، البرد قارس، موقد النار الذي زفر آخر أنفاسه لم يمدنا بالدفاء. تقاسمت وأخي لحاف الصوف بينما تلاصقت أجساد قططنا على بقش الملابس المكمومة في الزاوية. إحداهن وضعت موالدها الخمسة، هريرها المتمازج يعلو كلما ارتج خشب النافذة وتسلفت الريح الباردة.

كنت أغالب ارتجافي. أنفاس أخى تنثر نسيمها إلى وجهي. وتعاير وجهه تكشف تلون أحلامه، تارة ينهذه بضحكة عابرة. ثم يكشر راجفة شفتاه وكأنه على وشك البكاء. راوغتني نفسي أهدهد حزنه. أطبع قبلة لكنى أحجمت خشية أكسر غفوته التي بدأ سلطانها يسري إليّ. صرخة ريح مفاجئة، اندفاعة الباب القوية وجلجالات ارتطامه بالحائط أو ثبتني مفروعة. تهيأت لأقوم وأرد الباب الذي أفسح لطوفان

أمي صرخت :

قوموا .

لم يفلح أحدنا ينطق . تشمعت
أعضاؤنا . ضاقت بنا ثقلت سياط
غضبها :

- تحركوا ! أم هذا زمن العقوق بعد

الغفلة ؟!

لم تمهلنا نلم شتاتنا . نتحذاً
مداساتنا المتطايرة . نلتفع ما يقينا
نقمة البرد . كانت قد اندفعت
بخطواتها السريعة . بأثرها صارعنا
لنلحق بها في الشوارع المعتمة ،
هرولت بنا . دسنا الحجارة . تخبطنا
في الوحل و«خثي» البقر الطري .
قفزنا مخلفات بناء مهمة . حديد .
أكياس إسمنت . تلال رمل وأخشاب
تعثر بها أخي . أسندته واستندت عليه .
شممت فوح ثغره اللأهث ينبئ عن

جوع كنت أشعره أنا الأخرى .
لم تعباً أُمي بنا . تواصل ركضها
وكأنها شابة قوية لا تبدو خالصة
من قبر نظيفة كعادتها . عطر بخورها
يرتد إلينا مع الريح . تقطع بنا الأزقة
التي تفوح منها روائح دواب . زفر
ربيان . بقايا أضحيات خاست في
الزوايا وعافتها الكلاب .

فجأة . وقفت أُمي . وقفنا . أشارت :

- شوفوا !

كيف أشرع الزقاق الضيق ذلك
المدى ؟ ساحة تجمهر فيها الناس
جماعات اتخذت كل منها وضعا
خاصا . بعضهم مطوا أجسادهم
وأسلموا أجفانهم للغفوة . آخرون
تحلقوا حول أباريق الشاي ودلاء
القهوة مثيرين أصوات تراطم
«الإستكانات» بكسر النقل بين

أسنانهم . مجاميع أخرى انكفأت على
الدامات . تتخالط أصواتهم بين
المجادلات والمزاح . بينما انحنت رقاب
جماعة إلى الكتب يقرأونها وآخرون
بهمة الأقلام يدونون . نساء . رجال .
تناثروا يمارسون طقوسا متنوعة .
رسم . عزف . تطريز . نحت . وقد
أشرقت الساحة ببدايع الفنون ومئات
الكتب الملونة المنوعة . ولم تخل
الساحة من الأطفال الذين تشردقوا
في حجور الأمهات . يتشاءبون
ويصدر من بعضهم بكاء خفيف
وحركات ممطوطة .

باغتت أُمي الجميع بصرخة .
انتفضوا «كالمقاريص» تساقطت
الأشياء من الأيدي . أحولت العيون ،
بين هوجات الصراخ والاضطراب
تزاحموا . تصادمت الأجساد .
تلاطمت الرؤوس . تطايرت بعض
«العقل» و«الغتر» . أنت أقدام الأطفال
التي دبست . صرخوا . لم يحفل بهم
أحد . كل العيون والأذهان شاخصة
نحو أُمي التي رعد صوتها :

- «خلف الله عليكم» يا الغافلين !

تلافتت الرؤوس كمن تبحث عن
تفسير . تبادلت العيون نظرات
الذهول . انطلق صوت يعاقبها :

- ما تشوفين ! كلنا يجتهد في عمله ؟

- والنتيجة ؟؟

ران صمت . أُمي صرخت :

- وراي . «تري الروس نامت .

والعصا عص قامت» (١) .

لم يتحرك أحد . شق رجل طريقه
إليها . عَفَتَ بوجهها :

- أنت مجنونة يا امرأة ؟!

كاد أخي يثأر لأُمي . صدته

بذراعها فلم يقاوم الأمر. وصوت أُمِّي
بين العتاب والغضب نحو الرجل:
- مجنونة إن جئت أنبهكم؟؟

اقترب رجل وقور. دار حولها
دورتين. تفحصها غير مصدق. غلّف
صوته الساخر بالشجاعة. أشار بكفه
إلى الأعلى:

- «شعلوم» دنياك؟!

شعرت أُمِّي وكأنه يأخذها على -
حد عقلها. أجابته بأسى:

- العلوم علومكم - يا الخاييين..

لم يَخَفَ فزَع تراقص على
الوجوه. كلهم يعرفون أن أمنا ماتت
منذ زمن. أحدهم لوح نحوي
مستفسرا بحركة من كفه:

- كيف؟

رفعت كتفي. أهدلت شفتي بأني لا
أعرف.

أُمِّي بصوت ترجرج بالحن:

- كيف نسيتم الأمانة؟؟

صوت الجموع بنبرة واحدة
- أي أمانة؟

شجع تجاوبهم أُمِّي:

- اتبعوني. تشوفون بعيونكم.

وقبل أن تتحرك أصدرت أمرا

كالرجاء:

- احملوا معاول وفؤوسا.

تعلق أخي ذراع أُمِّي التي تقدمت
الجموع. خلفها ساروا يحملون

الأطفال، والسراجات. بعضهم تفأس
وبعضهم تمعول. بين فينة وأخرى

تلتفت أُمِّي لتطمئن. الكل يتحرك
بهمة. يتخالط الشهيقي بالزفير.

الحوقة بالبسملة. لا تخلو وجوههم
من ذهول وفضول لما ستكشفه أُمِّي.

وقفت. وقفوا. أشارت:

- انظروا.

يا هول ما انبلجت الساحة عنه.
مخلوقات ضخام مختلفة الأطوال

والأحجام. لها رؤوس «عتاوية» (2)
سود. تنفج أفواهها عن أنياب ذئبية

وتبرق عيونها بالشرار. تحاوط بيتا
ذا أعمدة وكأنها حارسة عليه.

بشجاعة لم يجرؤ عليها سواها
اقتحمتهم أُمِّي هبوا كمن لدغتهم

الأفاعي. احتجت أصواتهم. لم تحفل
أُمِّي هتفت بجمعها:

- «لي جاتكم الغيمة السوداء
شتقولون»؟؟ (3)

تأهبوا للدفاع نحو المخلوقات التي
هدرت بصوت شق المدى:

- سنقاتلكم.

توعدهم صوت أُمِّي:

- ما جئنا لنقاتل. بل لنسترد

الأمانة.

اختارت أُمِّي جمعهم المتأهب
فارادة ذراعها باتساعهما لتفتح

الطريق. تباعدوا عنها خشية أن
تلامس أطرافهم. الناس في أثرها

متحمسون وصوتها ملعلا:

- لا نريد القتال. أما إن جرؤتم!!

سنقاتلكم.

اقتربت أُمِّي من الباب. ركلته
بقدمها. انفرج عن حوش توسطه بناء

كالقبر، أشارت لجمعها:

- هنا الأمانة.

لم يكد الرجال يتأهبون حتى
تصدت لهم المخلوقات الأخرى فاحة

بالغضب. لكن الفؤوس ارتفعت
محذرة فترجعوا وعيونهم تتبادل

نظرات قلقة. أُمِّي أصدرت أمرها
مشيرة نحو القبر.

- احفروا هنا.

اندفع بعض الرجال. شييا وشبانا.
ضربوا الأرض بفؤوسهم. ونشطت
جماعات أخرى تحمل الحجارة
والتراب تلقي بها بعيدا والأغبرة
تتناثر. اتسعت الحفرة اندلقت نحو
باطنها النظرات. صدرت القهقهات
العالية من تلك المخلوقات التي تحلق
بعضها حول الحفرة تنفث جمرها.
وسخريتها:

- أرأيتم! مجرد سعف قديم.

علق آخرون بشماتة:

- خاب رجال يتبعون ناقصات

العقل والدين!

قبل أن تُثبِط خيبة الأمل نفوس
الرجال. قفزت أمي قفزة مثيرة إلى
قلب الحفرة سقطت على السعف
منتصبه محتفظة باتزانها. لم تتأوه
رغم انغراس الشوك في باطن قدميها
الحافيين.

بنشاط عجيب أخذت تجمع
السعف نقذف به. أيدي الرجال تتلقفه
وتسلمه لآخرين يلقون به حيث
ركامات الحجارة والتراب.

انكشف باطن الحفرة. برز جذع
قديم. حاولت أمي ترحزحه فلم تقو.
استنجدت بالناس. تهاطلوا إليها.
تعاونوا لخلع قاعدته المتجذرة
بالأرض. حين اقتلعوه من ربضته
أصدر صوتا أبهج وجه أمي. انفرجت
أسنانها. أمرتهم يرفعونه. تلقفته
الأيدي. تعربش الرجال الأذرع
الممدودة لهم خارج الحفرة. أحدهم
عاون أمي على الخروج. بعد أن
استلت أنفاسها أشارت إلى الجذع:
- هنا وأدوا الأمانة. حاكم. وحق

ذريتك.

مهمت المخلوقات تهز رؤوسها:
- لا حول ولا قوة إلا بالله. جُنّت
المرأة.

اقترب رجل وقور من أمي. افترش
الأسى وجهه وهو يعاتبها:
- ما هو إلا جذع متآكل. انظري
للدود يسري به.
لم تأبه أمي بعتابه. أزاحت ونادت
أخي:

- هات فأسك وشق الجذع.

لم يتلأأ أخي. فالأمر حازم. رفع
فأسه. ضرب به. ظل يواصل
انحناءات وارتفاعات جسده هاويا
بقوة على الجذع الذي بدأ يتفتت
وتطاير منه قطع الخشب والدود
المقصوف لتتساقط فوق الرؤوس
والثياب. صوت أمي المشجع أثار غيظ
المخلوقات. نظراتهم. أصواتهم تدق
أسافين. تهديد وحقد.

انفلق باطن الجذع. لمحت العيون
صرة موثوقة بالحبال. سحبتها أمي.
فكت الأربطة وبكفين نيرين. تناولت
كتابا. رفعته أمام العيون المذهولة.
صوتها ترغرغ بالدموع:

- الأمانة التي خلفها والدكم العظيم.
بكت عيون. شهقت أنفاس. أمي
التي نشج صوتها:

- يئدونها. ليطلقوا في فضائكم
أوراقهم الصفراء.

تراكضت المخلوقات إليها حانقة
مزبدة الثغور. حاولت خطف الكتاب.
شدت عليه أمي كأنها تشد على مولود
بعد سنوات الجفاف. رفعته. سلمته
لأيدي الرجال الذين صكوا عليه بلهفة
وإصرار. مما أثار ثوائر المخلوقات.

فاندفعوا رافعين أسلحة حادة.
حذرتهم أمي:
- إياكم والقتال.

لم يعيروا تحذيرها أي اهتمام.
تداخلوا مع الرجال الذين اضطروا
لرفع الفؤوس والمعاول. اشتعلت
رحى المعركة. لم يستثن النساء. ولا
الأطفال. التصقت وأخي بأمننا نلتمس
الأمان. لكنها نفضتنا عنها غاضبة:

- لا تكونوا جبنا.

اندفعنا بشجاعة.

صوت الريح يهدر. لمعان البرق
الشديد يكاد يفلق السماء. في ضوءه
التمعت مقصات طويلة حادة. حملتها
المخلوقات تطارد بها الرجال. تصك
بها على الرقاب الألسن، والأكف.
أسمع أصواتها: «جك. جك. جك».
تنفر الدماء نوافير حمراء. تغرق بها
الوجوه والثياب وتخوض في بركها
السيقان. والمعركة الدائرة تمتد.
وتمتد. تصل تلك الساحة الملائى
بالفنون.

نشطت المخلوقات تقلب أوضاعها.
تمزق الكتب. تشوه الرسوم. تكسر
المنحوتات الجميلة. تصدى الرجال،
صوت أمي يحث الشباب. والأطفال
ليلموا أشتات الورق الممزق ويحملوا
الكتب الثمينة الأخرى. حملت وأخي

قدرا منها. ركضنا. وصوت أمي يهدر
بالجموع لتقاوم. لحق بعضهم بنا.
طوقوني وأخي. قيدوه بأذرعهم
الطويلة سحبني أربعة منهم. شددوا
القبضات علي. أمسكوا برسغي.
أشرعوا كفيّ جاءوا بالمقصات. رفرق
قلبي هلعاً. صك مقص على إصبع
يسراي الصغير. «جك. جك». طار
إصبعي. فار الدم. صرخت بصوتي
الجريح صرخات استأسد أخي على
أثرها. استطاع الإفلات وبشجاعة ما
عهدتها به ناضل لتخليص كفيّ اللذين
لشدة طيبي لهما تحولا كتلة من
الرخام.

صوت أمي رغم هدير المعركة التي
توسعت يبت حنانه لأخي:
- أحسنت. أحتك بلا أصابع. سمكة
بلا ماء!

حين تنبهت كان الظلام دامسا
وكفاي متيبسين. والفجر يحمل لي
صوت الأذان.

(١) مثل كويتي - والعصا عيص
- أي الذبول.

(٢) العتاوية - جمع عتوي -
الهر - أي القط - الأسود الشرس.

(٣) لعبة شعبية قديمة تعني:
إن جاءكم الخطر فماذا تفعلون.

بين توهج الذاكرة

• فاطمة يوسف العلي / الكويت

يموج صدره بالفرح عندما
يتمكن من استفزازها .. فهي في
ريعان العمر وتحمل حكمة جدتها
سبيكة المعروفة في (الفريج) (1)
القديم بلقب أهل الرجال، حيث
كانت بنتا وحيدة جاءت بعد
سبعة ذكور، فأصرت على أن
تكون بالحكمة والرزانة والتعقل
(الأخ الثامن) ولكن هذا الأخ
الثامن الذي يقاوم الطبيعة في
الفهم والميول، لم يستطع أن
يقاومها في الشعر الناعم الفاحم
الطويل، والقوام الأنثوي الجميل،
والصوت المدغدغ الساحر،
الحفيدة أخذت الجانبين: الحكمة
والجمال.. ورغم سعادته
بجمالها الموعود له.. فإنه كان
يشعر بالهزيمة أمام عقلها.

قالت وهي تشد حزام الحقيبة
وتثبت عليها «تكت» (2) الخطوط
الجوية الكويتية:
- هذا موضوع انتهينا منه... وقلت
لك من قبل الحب غير الشفقة.
- وأنا قلت لك إنه الحب... هكذا
بدأ... هكذا يستمر.
- وقلت لك... لنتنظر، ونعطي
أنفسنا فترة اختبار.

خلاص:
- وكذلك قلت لك أنتهى عصر
الاختبارات والامتحانات، أنت معلمة،
وأنا ضابط، وبلغنا.. أقصد.. أنا بلغت
سن الرشد... وعليك يا صغيرتي أن
تكوني واثقة بي... مد يده ليحمل
عنها الحقيبة، ولكنها أزاحت يده
برفق، ونظرت إليه نظرة حاولت أن
لا يظهر فيها ضعف الحب. وجرت
الحقيبة حتى استقرت على عجلاتها.

على مدخل لندن بـدرج. وضغط على يدها.

كانت أختها الوحيدة الأصغر منها، قد سبقتها إلى المطار مع بعض زميلاتهما المدرسات، وكان الوداع باسمًا، يحاول أن يتغلب على توقعات الخوف ومشاعر القلق. ذهبت الأختان، وعادت الزميلات، وركب هو سيارتها عائداً بها إلى منزلها، وهناك عاد إلى سيارته... وكان هاتفه يرسل إشارته بإلحاح.. كان في حالة لا تجعله يرحب بأحاديث التلفونات..

لم يعبأ به.. حتى توقف تلقائياً... وشرد خياله معها في رحلتها القلقة.. سلوى ابنة العم، نشأ مثل قيس وليلى، يلعبان ويتخيّلان، ثم فرقت بينهما المدارس، وظهور براعم الأنوثة هنا، وعلامات الذكورة هناك، ولكن

الحلم ظل يسكن القلب، ويلهو على هواه... ويلوب.. يلوب... ليعود إلى بيتها الأولى، وحب الطفولة الجميل.. ولكن ماذا بقي من الطفولة؟ كل شيء تغير... كل شيء يتغير إلا هو.. إلا هو القلب بابنة العم؟ لم يعرف كيف وصل إلى ديوانية صديقه وليد الهملان.

سيارته تعرف طريقها... فقط عليه أن يضع قدمه فوق دواسرة البنزين، وتقوم هي بالباقي... فوجئ بوليد واقفاً أمام الديوانية، قفز من فوق الدرجة الأخيرة واحتضن مقدمة السيارة، وهو يقول بمرح مقصود:

فايز كنعان بوعركي عندنا؟ يا مرحبا يا مرحبا...

«ما أدراه أنني كنت أفكر في قيس وليلى؟ هل للقلوب لغة خاصة بها؟

ثم قالت:

- إنني أثق بك، على هذا الأساس قبلت الخطبة... تنهد، تنهدت بحرارة: وما الضرر لو كان عقد القران قبل سفرك؟

نظرت إليه بعتاب، قالت بهمس: فايز... هل تعود إلى هذا الموضوع؟ دع القدر يقول كلمته!!

خفض بصره إلى الأرض، قال بألم: سواء تركنا القدر يقول كلمته، أو لم نستمع إليه... فهو صاحب القول الفصل.

قالت بثقة: آمنت بالله. قال: تمنيت لو كانت ظروفي سمحت بأن أسافر معك.. هكذا تسافرين وحيدة؟ - وهو صاحب في السفر.. - سبحانه وتعالى..

تلامست يدهما على يد الحقيقية، تركتها له، دفعته أمامه قليلاً ثم حملها، وبعد دقائق كانا في سيارتهما وكانت هي التي تقود، وكان المطار وجهتها... وقال لها في الطريق: سيكون لي اتصال كل ليلة، وكل صباح.. الساعة العاشرة بتوقيت الكويت.. ليناسب مواعيدك هناك. أرادت أن تثبت الطمأنينة في نفسه، فأكدت:

- أنا بخير، وسأصل أنا بك بمجرد الانتهاء من التحاليل واستلام صور الأشعة والنقيرير.. وحينئذ.. قاطعها:

سأطير أنا إليك.. أقسم أن أفعل، وهدية فرحتي بك من (هارودن).

قالت ضاحكة: بل تفاحة مغروسة في السكر ثمنها عشرة بنسات تباع

والتقط وليد الكلمة وقال قبل أن يفكر في معناها: خطرة!! هل وصلك شيء عن الحشود... والحدود؟! إذن الكلام صحيح
- الكلام؟ أي كلام؟

عرف وليد غلطته بعد قوات الأوان... ولا مفر من البحث عن الحقيقة، وفايز ضابط وإذا لم يعرف الآن، فسيعرف بعد دقيقة.. أو بعد ساعة... تحركت شفتاه بغير كلام... ثم تصاعد رنين الهاتف في الديوانية، وكان الصوت على الطرف الآخر مسموعاً بوضوح:

- ديوانية الهملان؟ وليد الهملان...
- نعم
- الملازم أول فايز ترك رقمكم في القيادة... هل هو موجود؟
- موجود...

وانقض فايز على السماعه...
- أنا... أية أوامر؟
واتسعت عيناً وليد، أما فايز الذي كان يتخيل سلوى في الطائرة، يتصور أنها تكاد تهبط (هثرو) الآن، فقد توهجت الذاكرة بالموقع... ها هو خط المطلاع يشتعل ناراً... ها هو فايز يتقدم بمدرعته فيلقي الحمم على المعتدين... ها هي سلوى تقضي ليلة في المستشفى وهم هناك يشفقون عليها فلا يخبرها أحد بما تعرض له وطنها من عدوان... لكنها الآن مطمئنة بخصوص المرض... أما الوطن فله رب يحميه ورجال يدافعون عنه.

فتتح (دبة) (4) السيارة ورفع الغطاء، وسحب حقيبة الخدمة

فماذا تفعل سلوى الآن؟ بعد ساعات تكون في (لندن كلينيك) ساعات أخرى أو أيام ونسمع كلمة أخيرة في موضوع الصداق وخفقان القلب... لو أن الفداء يقبل ياسلوى لوهبتك عمري لأنك أغلى من العمر.

فتح الباب... جذب المفاتيح من (التابلو) أمسك بيده:
- انزل، لا تقل إنك مشغول، أعرف من أين جئت..

- ولا تعرف بماذا أشعر؟
- وأعرف، ولهذا يجب أن تنزل ولن تغادر الديوانية حتى تكون في أحسن حال.

- ذاك زمان
- في كل وقت... هذي مسألة إرادة.
- إرادة..

التقت تنهيدتان، كل من الصديق يفكر في اتجاهه، كان وليد الهملان تلقى مكالمات من أصدقاء تحمل إليه شائعات عبور قوات عراقية الحدود الشمالية.. ولكن وسائل الاعلام التي لم تذكر شيئاً عن الموضوع جعلته يحفظ في إخبار فايز بمجرد وصوله، خصوصاً أنه عائد من وداع خطيبته التي سافرت للعلاج. بعد أن أخذ فايز مكانه المعهود على القنفة (3)، ولم يكن في الديوانية غير صديقه، الذي أخذ يتشاغل بصب الشاي، قال فايز:

- رأسها صخر... يابس، لو سمعت كلامي ووافقت على إتمام الزواج قبل السفر، لكنت حققت لي، ولها أملاً يرفع معنوياتنا في هذه الظروف الخطرة.

سلوي وقد رقدت على سرير في المستشفى ، وقد جاوز الليل منتصفه في لندن، ولعلها تحلم الآن بأن تكون فحوص الصباح مبشرة بالسلامة !! ولكن هذا لم يعطله عن الاستلقاء على ظهره وقد ركز الرشاش عيار خمسين على ترقوة كتفه، وصوبه على الطائرات الهلوكبتر المتهداية المغرورة.

لقد أدرك حين أطلق هذه الزخات من الرشاش، والتي لم تصب أي طائرة أن سلاحه غير مناسب للمعركة، وأن «التخويف» لا يكفي، فلا بد من إسالة الدم، لا بد أن يعرف المعتدي أن ابتلاع وطن فيه رجال ليس بهذه السهولة التي يظن.

هكذا التقى من جديد بوليد الهملان، بعد فراق دام خمسة أيام، كان فايز قد أتم فيها تنكره، فقد أطلق لحيته، وحمل بطاقة تؤكد أنه مدرس في مدرسة ابن رشد !!! حاول وليد أن يجد ثغرة للابتسام، حتى لا يموت قهرا.

ولماذا ابن رشد بالذات يا وليد بوعركي؟ لأنها في الفيحاء.. قريية من بيتكم؟! ... نسيت وقريية من بيت الخطيبة العريضة.. حتى في التزوير تريد أن تكون قريبا منها؟

بصراحة لم يخطر هذا ببالي... وأنا لن أقيم في فيلنتا.. لكن تريد أن تعرف؟

ياليت..

ابن رشد كان فيلسوفا... وموقفنا الحالي يحتاج إلى فيلسوف لكي نفهم معنى ما يحدث الآن..

العسكرية الميدانية، وأعاد غلق السيارة. سلم المفاتيح لصديقه: - لن أكون بحاجة إليها فقط وصلني بسيارتك إلى منزل الملازم أحمد الطاروة... سيأخذني معه في «الجيب» إلى مقر اللواء.

تحرك وليد في اتجاه سيارته دون أن يجد كلمة مناسبة لكنه كان يفكر:

- إذا كان هذا واجب الضباط... فما واجبي... وأمثالي، وليست لنا تجربة سابقة في هذا الاتجاه؟!

وتطلع نحو السماء، في الوقت الذي كان فايز يفتح أربطة الحقيبة ليراجع المحتويات...

بدا أن كل شيء قد انتهى.. قبل أن يبدأ.. فقد ذهب إلى مقر اللواء لسادس فوجده في يد العدو فتجنباً الطريق الرئيسي واستمرا في الاتجاه شمالاً، ليعانينا كثافة الزحف وقوة النيران، بحيث يكون التصدي لها انتحاراً، ليس أكثر.. قال فايز لزميله نريد شهادة ميلاد..

هز الآخر رأسه غير فاهم، فأكمل فايز: ليس في استطاعتي أنا وأنت أن نعترض هذا السيل الجائع المنحدر، ولكن من واجبنا ونحن نرتدي هذه الثياب أن نزعجه... نعطله نشعره بأننا لسنا لقمة سائغة.

- والسلاح؟

- معسكر قوات الاحتياط في العمق، لم يأخذه ننضم إليه...

واتجهوا على أقدامهما بعد أن وارا «الجيب» خلف أحد الكتبان الرملية، ووصلا المعسكر قبيل الفجر، كان فايز يستطلع الموقع حتى لا يحدث خطأ، وكانت ذاكرته المتوهجة ترى

أذهب.. وكيف سأرى فايز؟!
 كز على أسنانه، نظر إلى أعلى ،
 حبس دمعة تغالبه.
 وضع يده على كتف وليد:
 - سنعود إلى هنا طبعاً...
 (وتوهجت الذاكرة) وستراني كما
 كانت تراني دائماً... إن شاء الله..
 - هيا بنا...-

لم تمض سوى أيام حتى كانت
 دلائل وجود مجموعات مختلفة من
 المقاومين تؤكد قدرتها على العمل.
 المجموعة التي انضم إليها فايز كنعان
 بوعركي كانت من الضباط الذين
 يحملون بطاقات تقول إنهم لاشأن
 لهم بأعمال السلاح. انفرد فايز
 بأعمال الاستطلاع والتجسس على
 قوات العدو لمهارته في التمويه،
 والتخفي وقدرته على التعرف على
 أنواع الأسلحة ومقدرة كل نوع، وقد
 أبدى جهداً كبيراً في إحضار أسلحة
 من مخائبها لكي تستخدم في المداخلة
 لأماكن تجمع العدو، والتخلص منها
 فوراً حتى لا تكون إداة إذا ما وقعت
 في يد العدو.. ولكنه كان منزعاً من
 تعدد خلايا المقاومة دون أن يكون
 بينها تفاهم وتنسيق، حتى لا يفسد
 بعضها مجهود بعض دون أن
 يقصد... وهكذا أخذ على عاتقه مهمة
 الاتصال بمجموعة 25 فبراير، وخلية
 الشهيدة وفاء العامر وغيرها. وكذلك
 تفتق ذهنه عن اختيار أماكن لإخفاء
 الذخيرة والأسلحة لا تخطر بخيال
 أحد، وفي تلك الليلة كان يخطط مع
 خليفته لاقتحام مخفر الفيحاء
 ومدرسة ابن رشد!! كم يعذبه هذا...
 كم له هناك من ذكريات؟ نعم

- فعلاً يا فايز.. شيء لا يصدق..
 شيء خارج العقل... لأنه ليس له
 أي مبرر حقيقي... لكن إذا تحول
 الأسد أمام عينك إلى كلب مسعور...
 فهل تظل تعامله على أنه ملك. أم
 تبعده عنك بعصاً أو حجر... فإذا
 اقتحم عليك دارك... فلا مفر من
 ضربه بالرصاص.

- كما يصطادون الثور في حلبة
 المصارعة.. سهم من هنا.. وسهم من
 هناك.. وهو مجنون باللون الأحمر،
 حتى يغرس قرنيه بنفسه في (طوفة)
 (5) تفجر رأسه.

وردد وليد: سهم من هنا.. وسهم
 من هناك.. نعم... هذا وقت العمل.
 وبعد تردد أمام قسوة الصمت
 وصعوبة الكلام.

خطيبك اتصلت بنا بعد أن اتصلت
 بكم وطبعاً... لم يرد أحد..
 - كلمتها؟

- قلت لها إنك بخير.. وكفيت
 وليسأمحني الله... قلت أنك اتصلت
 من الصليبخات.

- سبحان الله... أنا كنت مختفياً في
 الصليبخات، وهناك غيرت هيائي
 واستخرجت بطاقة ابن رشد.

ابتسم، كنجمة وحيدة في سماء
 ملبدة:

- سامحني الله... قالت إن
 الفحوص الأولى جيدة... وإنها تأخذ
 دواء بسيطاً جداً، لكن الصداق
 تراجع.. بنسبة كبيرة... و... و...
 - لماذا تسكت..

- آه... ماذا أقول؟ بكيت يا فايز..
 بكيت بدموع غزيرة.. تقول لو انني
 سليمة وخرجت من المستشفى.. أين

وهي تعيش خطرهما الخاص... ترى ماذا قالوا لها؟ وهل حين تحصل على البراءة من المرض تستطيع أن تقول: إنني سعيدة الآن أم أن هذه العبارة محرمة علينا حتى يرحل العدو عن الديار. إنها تندثر حتى في غيابها، تضعه تحت عينيها وهي نائمة في سرير مرضها، لقد تسلل إلى مدخل بيتها، من زاوية كراج سيارتها أخذ يراقب حركة الجنود الذين يحتلون المدرسة... عدد الحراسات، ومواقعها، تسليحها، درجة الاستعداد، أوقات استبدال الجنود.. سجل هذا كله في ذاكرته المتوهجة.. وهو يستعيد اللحظات الفاصلة في عمليات سابقة..

حين اعترضوا رتلاً من الشاحنات على الدائري الرابع، ودمروا حمولاتها المنهوبة من بيوت الكويت، وقتلوا الجنود اللصوص الذين يحرسون المسروقات، وتذكر ليلة ذهب إلى بيت أخته في مشرف، وأراد سحب كمية من القنابل الخفيفة المخبأة عندها، فوجدها قد حزمته في كرانيش الحجر الأردني الذي يطوق أعلى الفيلا من الخارج، وكان وجود هذه القنابل في مرأى العين على الشارع، سببا في عدم الانتباه إليها. ولكنه لم يستطع الحصول عليها إلا بعد نزول الظلام، إنه يتذكر بتوهج الذاكرة كيف أخذ يتأمل تلك القنابل، ويخاطبها كأنها فلذات كبده، ويناجيها كمعشوقته... أن تذهب إلى أهدافها، أن تقوم بواجبها.... وقد أرسلها إلى مقر مخبرات العدو في

سنهاجم المخفر... والمدرسة... المدرسة التي تلقى تعليمه المبكر فيها، والمخفر الذي كان يجلس فيه منذ شهر واحد. أو شهرين يحتسي القهوة العربية مع صديقه الذي يعمل محققا فيه.. هل جاء زمن تمتد فيه يده بالأذى، فيلقي القنابل، ويطلق الرصاص على أماكن ذكرياته.. على مبان وساحات بناها الوطن بحر ماله لينعم بها الناس ويشعرون معها بالأمان والثقة في المستقبل؟ وهل يستطيع أن يمر أمام المدرسة، أن يتسلل إلى المخفر.. ويركز انتباهه على الهدف دون أن تنحرف نظراته إلى بيت سلوى المقابل للمدرسة، وبيت أسرته خلف المخفر.. هل يستطيع؟

توهجت الذكريات لكنه أخمدها بقوة، أوقف سيل المشاعر، وهو يتحسس الرشاش تحت مقعده في السيارة، لعله يذكره بأنه اللغة الوحيدة المعتمدة الآن، ولعله يتذكر أنه لأشياء أغلى من الوطن. ما أهمية مدرسة أو مخفر... ما أهمية وجودي أنا بالذات؟ المهم أن نكون... أن يكون في المدارس أطفال.. وفي الشوارع سيارات، وفي المصانع والمؤسسات... بشر.. رجال... ونساء... يقولون كما تقول الإذاعة كل يوم. هنا الكويت... أما فايز كنعان بوعركي... فإنه مجرد شخص... واحد، حياته في أداء دوره، ولا بد أن يؤديه.

توهجت الذكريات.. لم يستطع أن يخمدتها... إنها هناك... لاسبيل إلى الاتصال، يرمي بنفسه على الخطر..

وليد قصده.

بصراحة (يا الربع) (6) ... أنا ما أشك ولا واحداً بالمائة في قدرة فايز بوعركي على الاستطلاع ودقة معرفته بكل شيء... كل شيء. حين كرر عبارة «كل شيء» تزايدت الدهشة وأصبح الهدف أكثر غموضاً، ولذلك سار:

- الذي أقصده أن هذه المنطقة والمدرسة والمخفر، معروفة لفايز بالشبر، وهذه ميزة ومشكلة، ميزة أنه يعرف كل نقاط الاتصال والعبور بين القطع والمنازل والمخازن.. إلى آخره... ويمكن أن يفيدنا جداً في هذا الجانب، لكنه.. وهذه المشكلة سيتصرف في رسم الخطة، وكأن كل واحد منا يعرف نفس الشيء، وله اطلاع على الجوانب... وهذا ليس صحيحاً.. اختصر فايز الموضوع وقال مؤمناً... فهمت.. موافق.. تريد أن تذهب.. الشرط اليوم أو الغد قبل أن تأتي ليالي القمر... ظلام الليل هو حليفنا المتعاطف لابد من التنفيذ في مدة يومين على الأكثر.

قال وليد: أنا لا أصلح للاستطلاع، لكن إذا كان هذا أمراً.. فأنا موافق... تدخل زميل ثالث، وقال: ليس في العمل التطوعي أو امر... نحن نركب في زورق واحد، وحياة أي واحد فينا تهماً جميعاً بنفس الدرجة، وقال: سأقوم أنا بعملية الاستطلاع الثاني ما دمت موافقين من حيث المبدأ.

كان وجود وليد في الاجتماع داعياً لتذكر مواقف قديمة، يوم سافرت سلوى، يوم تحدثت إلى وليد حين لم

قصر نايف، وإلى استعلامات فندق انترناشيونال، وإلى مدخل نادي كاظمة... وستكون الضربة الكبيرة لمدرسة ابن رشد ومخفر الفيحاء.. الاحتفال الكبير بمناسبة مرور خمسين يوماً على الاحتلال.. نعم لابد أن يدوقوا بعض ما أذاقوه لشعبه الطيب المسالم ولا ثمن للدم غير الدم.

عاد إلى مجموعته في موقع تلاقيهم ومكانه، وبدأوا بتبادل الأخبار حيث لا يسمح لهم بالمكالمات الهاتفية خوفاً من التجسس عليهم، وبدأ استعراض جدول الأعمال: أسماء الشباب الراغبين في الانضمام إلى المجموعة، والسماع لرأي كل عضو في الشخص، وتقسيم نشاط المجموعة طول الأسبوع الماضي، وآخر أخبار التنسيق بين مجموعات العمل الفدائي، وجهد العضوات في إمداد البيوت المحتاجة ببعض ما ينقصها من مال أو طعام، ومحاولات الاتصال بالذين حملتهم ظروفهم على البقاء في الخارج لتنظيم التعاون، وإعداد حملات دعائية لتنوير الرأي العام وفضح ممارسات العدو ووحشيته..

لقد انتهى كل هذا سريعاً، وكان أعضاء الخلية السبعة في سباق يلهثون ليصلوا إلى نقطة محددة للاستراحة وهي عملية المدرسة والمخفر.. وهنا قال وليد الهملان:

طبعاً الأخ فايز قام بالاستطلاع المطلوب.. ولكن... ليسمح لي.... نريد استطلاعاً آخر.

وقبل أن تظهر الدهشة على وجوه الجميع، وأولهم فايز نفسه، شرح

من أوراق، مقرونة بابتسامة تغريه
بنهب ما فيها، وهو يقول: هذا كل ما
معي... ضرب حافة باب السيارة
بالسونكي وهو يقول: كل ما معك...
وليس كل ما في جيبك... أقول...
أنزلا، وسنقوم بالتفتيش.

كانت تلك الورقة في الدرج تحمل
نتائج استطلاع للمخفر والمدرسة...
حين رآها أمر قاطع السيطرة...
ابتسم وجهه وقال: (هلا بالضيوف
العزاز)... تفضلوا معنا... على الفور
قال فايز... خير إن شاء الله.

- خير...

- السبت؟

- لاتعرف؟ فقط سؤال بسيط عن
ورقة صغيرة.

- برباطة جأش..

زين؟ وهذا ما ذنبه؟

- أنتما شريكان...

- كيف يكون شريكي وأنا لا
أعرفه؟ إنه عابر سبيل طلب مني أن
أوصله إلى الدوار... فأشفقت عليه.

- لامانع... يقول هذا في التحقيق

إنه الآن يعرف لماذا وضع الورقة
في الدرج ونسيها... حيث توهجت

الذاكرة بالوطن.. غابت التفاصيل،

حين توهجت الذاكرة بالألم الكلي

للناس.. اختفت أوجاعه.. حين

توهجت الذاكرة بضرورة عمل

مزلل كبير، هانت في نظره كل

العمليات التي قام بها... حين رأى

بعين الخيال كيف سيحيل المدرسة

والمخفر إلى مقبرة للمعتدين.. لمعت

في الأفق صورة سلوى عائدة إلى

بيتها... وتراءت له سيارتها التي

يرد هو عليها، ولكن ماذا جرى لها
وكيف تعيش هناك؟ وماذا قال لها
الأطباء؟ وماذا تعرف عنه.. وهل
تعتقد أنه نسيها؟ وأخذ وليد من يده
وخرجا معا، وجلسا متجاورين في
السيارة، وقال فايز بهدوء كأنه
يتجول أو يقصد مكانا قريبا لكنه كان
في طريقه إلى منطقة صباحان
لاستقبال كمية من الأسلحة أمكن
تهريبها من مخازن خفيفة مملوكة
للجيش الكويتي، وأخفاها هناك حتى
تتاح فرصة إدخالها إلى المدينة.

لاحظ وليد أن لدى فايز ورقة

معبنة في درج السيارة، فكر أن ينبهه

إلى خطورة الإبقاء على أية ورقة..

أخذهما الحديث بعيدا حيث كانت آلام

الغزو قد أخذت شكل الداء

المستعصي، كان يظن أنه لن يستمر

أكثر من أسبوع، وهما هي خمسون

يوما تمر، وصخرة البلاء حاشمة على

الصدر، ولا بد من عمل كبير، لأن

هذه الضربات المحدودة لن تقوض

الغرور المتجذر، وكان يفكر: هل

يؤدي التوسع في تسريب الأسلحة

من مخازن الجيش إلى إمكانية القيام

بعمل كبير؟

- قف... أوراقك..

وأطلت فوهة الرشاش ليس بينها

وبين رأس فايز أكثر من شبر

و«السونكي» (7) من الناحية الأخرى

موجهة إلى صدر وليد.

أخرج فايز هويته، وأوراق السيارة

ورخصة القيادة.

قال أمر قاطع السيطرة: كل ما

معك من أوراق

أعطاه حافظة نقوده بكل ما فيها

على الكلام.. فاطمأن إلى أنه أبدا لم
يبح..
أمام بيته الخالي من أهله.. هتكت
الرصاصات مؤخر الرأس..
أرسلت الذاكرة آخر توهجها..
وأغلقت الصندوق على أسرارها.

هوامش

- (1) الفريج : الحي
- (2) تكت: بطاقة
- (3) الأريكة
- (4) صندوق السيارة الخلفي
- (5) جدار
- (6) أيها الاصدقاء والاصحاب
- (7) الحرية التي تركب فوق
البندقية
- (8) المخطط
- (9) كتابات وخطوط غابثة
لامعنى لها.

أوصلها بها إلى المطار وقد عادت تقف
من جديد في موقعها المؤلف.. لقد
نسي في هذه اللحظة أن السيارة
نفسها اختفت قبل أن يعود هو من
اختفاء الصليبخات.
تنهوج الذاكرة الآن بالمجاهدين
القدامى، في زمن بعيد.. قريب..
بلال في رمضان مكة، عمار بن
ياسر يجلد بالسياط.. أنه يتعزى بهذا
عن خلع اظافره.. عن تعليقه من
ساقيه عن حرمانه من الطعام
والشراب..
عن صب الماء على رأسه طوال
الليل حتى لا ينام... لكنه أبدا لا يبوح
باسم زميل، ولن يتعرف على رفيقه
في السيارة... إنه مجرد عابر سبيل..
ولن يفضي بسر (الكروكي) (8) الذي
يحملة.. إنه مجرد (شخابيط) (9)
للعبة الكلمات المتقاطعة.
صمد... صمد... حتى فقد القدرة
لامعنى لها.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أشياء فريية.. ثمنا!

• منى الشافعي/ الكويت

لأصورك في كامرتي المتواضعة.. لم ترفض، ابتسمت ابتسامتك اللذيذة التي زادت وجهك الملائكي وسامة ونورا، وأنت تستعد.. وعندما بدأت بالتقاط الصورة الخامسة، بدأت تعرف أن التصوير هوايتي المحببة، فأخذت تشجعني على ممارسة هذا الفن، وبأقل من ساعتين تعلمت منك الكثير من فنون التصوير.. زوايا.. أبعاد.. ظل.. نور.. كانت متعتك الوحيدة أن تعلمني فقط وتهيئني للنجاح.. أذهلني تلك التصرفات وملائتني بأحاسيس جديدة أدهشتني بطموحات كبيرة.. وعندما تناولنا الآيس كريم.. طلبت أنا من البائع أن يلتقط لنا بعض الصور.. أغلقت عيني وتذكرت، ملامحك الوسيمة، حركاتك، لفتاتك.. نبرات صوتك العاشقة وأنت توجه البائع البسيط كيف يلتقط صورة أجمل من الزاوية الصحيحة والجانب الأفضل.. هذه هي حقا تصرفات المحبين!

الفتاة قالت، ساعة وأستلم الصور.. عدت إلى سيارتي، جلست متأملة منتظرة.. كانت ألف فكرة تتنافس على احتلال قناعاتي.

عندما انهمرت دموعي ترطب خدي،

بعنفوان مرتاحة بين أشيائي الصغيرة المبعثرة في ذلك الركن المهمل من خزانتي المحشو بقصاصات الصحف، وبطاقات الدعوات وأنواع البطاريات وأغلفة الموبايل الملونة.. لقد نسيتها هنا بعد أن تعودت على هديتك الأحدث تقنية.. ولكن كيف لم أتذكرها؟!.. بخفة، قبضت عليها خشيعة أن تتلاشى، احتضنتها بين راحتي، ثم.. بحذر شديد أخرجت الفلم الغالي.. بقلب ينبض وجعا ويد ترتعش الماء، وضعته باحتراس في حقيبة يدي الصغيرة.. هرولت خارجة.

كنت أقود سيارتي بيد والأخرى تتحسس موضع الفلم في حقبيتي التي تربعت بأمان في حضني.

تذكرت تلك الأمسية الرقيقة.. فرطوبة البحر الخفيفة، ونسمات هواء البحر المنعشة، زادت المكان جمالا وروعة.. وقبل أن يبتلع البحر حمرة شمس ذلك النهار الرائع.. طلبت منك أن تقف وظهرك للبحر وللغروب،

تصرفاتك توحى بأنني قريبة منك
وأنت تعرفني منذ ألف عام أو يزيد..!
أصرت نخوتك أن تبقى قربى حتى
يفيق أبي من غفوته.. ثلاث ساعات،
كنا نتحدث عن تحديات الألفية الثالثة..
الوضع الاقتصادي العالمي.. الاقتصاد
المحلي.. المشكلة السكانية.. التركيبة
السكانية.. البرلمان.. الأحزاب..
الحقوق السياسية للمرأة.. القرار
السياسي لهذا الحق.. مفهوم الحرية
عند المرأة.. حقوق الإنسان.. العمالة
الوافدة.. التوجهات السياسية
والاجتماعية.. أتدري لم أسألك حتى
عن اسمك.. أعتقد أن تلك اللحظة كانت
لحظة السحر في حياتي.

قبلته بحرارة عندما أفاق فجأة..
احتضنت يده وأنا أنتفض كطائر صغير
بلله المطر، إنه كل أهلي وناسي..
أحسست أنني كسمكة خارج الماء من
غيره.. إنني وحيدته.. تنقلت نظراته
بيننا، يدي تصرخت على يده، ويدك
تضربت على مؤخره سريره.. أفلت
لسانك:

- الحمد لله على سلامتكم سيدي!

الفتاة قالت، بعد ساعة استلمي
الصور.. نظرت إلى ساعتى.. باقى من
الزمن نصف ساعة أخرى.. بدأت
أتململ من الجلوس داخل السيارة..
التقطت حقيبة يدي.. أقفلت باب
السيارة.. سحبت نفساً عميقاً وأنا
أجول بين البوتيكات الصغيرة
والحوانيت الجميلة.. أبحث عن شيء
يخفف اللوعة والألم.. فاجأتني أم
شابة تصرخ في صغيرها، ثم تضربه
بكفها بقسوة لم أحتملها.. لم ترجمه
من ضرباتها الموجهة إلا بعد أن ازدادت

كانت يدك ممدودة بالمنديل المعطر، قبل
أن أجفف دموعي وأحبس شهقاتي،
بادرتني بصوت حنون رقيق:
- ما الداعي للبكاء.. إنه مجرد عطل
في سيارتك؟!

رددت عليك بشيء من الخجل،
وكثير من التوتر:

-... إنه في المستشفى.. يحتاج نقل
دم.. فصيلته نادرة.. أحاول أن أبحث
عن متبرع.

وماتزال يدك تعالج عطل سيارتي،
سألتني بهدوء:

- ما هي فصيلته.. علني أستطيع
المساعدة.. سيدتي..؟!

بوجع أجبك:

-إنها -O!

بعجالة، تركت ما بيدك من أدوات،
أمسكت بيدي، جذبتني برفق وأنت
تردد:

-ماذا ننتظر..؟ لنذهب حالا إلى
المستشفى.. إنها فصيلتي -O!

مذهولة، لم أنبس بحرف، ونحن
مانزال نهرول معاً من موقف
المستشفى الكبير، إلى المدخل، عبر
الأجنحة، إلى حيث يرقد والدي
العجوز.

وأنت ترقد هادئاً، ويد الدكتور تعالج
الإبرة المغروزة في وريدك بدقة.. كنت
أأملك.. لم أتصور أنني ألتقي رجلاً
عادياً كالإنسان.. كان فيك شيء خفي
أجهله.. أحسست أنني أعرفك من ألف
عام أو يزيد وليس هي فقط تلك
الصدفة الغريبة التي جمعتنا في موقف
المستشفى المترامي.

وأنا أقدم لك كأس العصير ممتنة
شاكراً كانت نظراتي مرتبكة، كلماتي
الهامسة متحشجة، نبراتي.. كانت

بأموري الخاصة وأشياء المهمة..
وما إن مرت الشهور السبعة، وأنا
مسكونة بقوة تأثيرك، حتى لم
اسمي في عالم المحاكم والقضاء.. لن
أنكر توجيهاتك الثرية في تلك القضية
المعقدة الشائكة التي شغلت الرأي
العام كما شغلتنى وحيرتنى، واحتلت
المانشيتات العريضة في الصحف
المحلية.. كما احتل اسمي معها أكبر
المساحات.. أحسست لحظتها أنني
عاجزة عن شكرك وشعرت أنني جزء
منك يحتل عقلك وقلبك.. روحك
وجسدك.. تمنيت أن تبادر بشيء ما
يفرحني.. لكنك لم تفعل!!

أتذكر ذلك الصباح الرائق.. وأنا أفتح
هديتك الغالية بمناسبة نجاحاتي
المستمرة.. لا أدري كيف تشجعت،
فتجرات وسألتك:

- هل تعمل في إحدى شركات
البترو؟ وأنا التي لأن لا أعرف غير
اسمك الأول والثاني، وأنت تحمل
وجبة الدكتوراه هي هندسة البترول..

أجبتني بشيء من التحفظ:
- لا أعمل في شركة محددة ولكنني
أعمل على مشروع هندسي خاص..
سأقدمه لشركة بترول قريباً.

أنستني هديتك الرائعة، أسئلتني
المشوشة عن عملك وتخصصك
وشركات البترول.. وهكذا أمضينا معا
ساعات طويلة وأنت تشرح لي مزايا
هذه الكاميرا المتطورة.. لحظتها قلت
لي، بعد أن أعياك الشرح والتلقين
والتمرين، وعلى وجهك تلك الابتسامة
الرائقة الغريبة:

- سيدتي.. ستلتقط هذه الكاميرا أدق
اللقطات وأوضحها، حتى اللامرئي..!
من خلف ابتسامتي، وأنا أنظر في

نظرات المارة تفرزها من هذا التصرف
اللاإنساني.. فجأة!.. تذكرتك وأنت
تقلب ملفات القضايا الاجتماعية،
وقضايا الأحوال الشخصية التي كنت
أترافع عنها.. يومها سألتني:

- هذه قضايا صغيرة وبسيطة على
فطنتك وذكاك، من المفروض محامية
مثلك تكون تجاوزت هذه المرحلة..
حشوتني زهوا وفخرا، ابتسمت لك
وأنت تضيف:

- لماذا لا تستلمين قضايا كبيرة
معقدة يكون صداها أكبر لدى الرأي
العام؟!

بشياء من الخجل أجبك:
- صاحب المكتب المحامي المشهور
يقول إنني مازلت صغيرة وقليلة
الخبرة على مثل هذه القضايا.
بهدهوء رددت:

- لكنك أثبتت جدارة ونجاحا في كل
مرافعاتك السابقة.. من حقك أن
تطالبه بقضايا أكبر مادامت واثقة من
قدراتك!

لن أنسى لحظتها، كيف أنك جلست
معي وبكل جد واهتمام بدأت تلقنني
ماذا أقول وكيف أتصرف وماذا أفعل
حتى أنال ثقة رئيسي وإعجابه..
وكانني طفلة صغيرة جالسة بين يدي
أستاذها الذي ملأها بالطموح بعد أن
كانت فارغة.. ما أروعك، وما أجمل
هذه اللحظة التي لن أنساها طوال
عمري.. وإحساسي يقول إنك أنت
أيضا لن تنساها، فقد شعرت أن أنا
وأنت هو أنا..!!

أتدري على كثرة ترددك علينا
وعلى امتداد علاقتنا.. لم أعرف عنك
إلا القليل.. كنت تشغلني دائما

عمق عينيك الساحرتين قلت ملهوفة،
مندهشة:

- تقصد حتى الملائكة؟!

لا أدري، لماذا تبدلت ملامحك
فجأة!.. ولا أدري لماذا تنهدت بعمق.

لم يمض من الوقت غير عشر
دقائق أخرى، ومازلت أتجول بين
الفاترينات الزجاجية الكبيرة، وكأنني
لا أرى غير وجهك الصبوح
وابتسامتك الغالية مرسومتين على
الزجاج، ولا أسمع غير أصوات
أفكاري التي تتلاحق بشيء من
الوجع.

أدري.. عندما ظللت أشهرا
تشجعني وتساعدني على إقامة
معرضي الأول للتصوير
الفوتوغرافي، بعد أن أثارت لقطاتي
فيك شيئا من الدهول والدهشة
والحماس.. وكيف أنك اعتذرت عن
عدم حضور الافتتاح متعللا بأنك
تخجل من التجمعات وتشعر
بالحرج.. لا أدري كيف كنت أقتنع بما
تقوله دون حتى أدنى سؤال أو أبسط
استفسار!.. كثيرة هي الأمور
والأشياء التي كانت تحدث، وكان
يصعب علي فهمها!!

دائما كنت تتابع حياتي الشخصية
ومدى ما حققته من نجاح.. كنت
الوحيد الذي كرس كل وقته
لاحتياجاتي وتطلعاتي.. وهكذا لمع
اسمي في عالم المحاماة.. وهكذا
أخذت شهرتي تتابع في عالم
التصوير وتأخذ حيزا أكبر وأوسع
خاصة بعد إقامة معرضي الثاني،
الذي كانت بصماتك واضحة عليه..
والذي أيضا لم تحضر افتتاحه!

ذات مساء وردي اللون، ناعم
الملس، بحرارة سألتنني، وكأنني
طفلتك الوحيدة المدللة، أو هكذا كان
إحساسي:

- سيدتي.. هل بقي هناك شيء ما
تريدينه؟!

وددت لحظتها، لو غافلتك،
واحتضنتك بين ذراعي وصرخت:
- أحبك.. أحبك!

لا أدري، هل حياء اللحظة، أو كبرياء
الأنثى.. أم احترامي الكبير لشخصك
منعاني، إلا من تلك الكلمات اليتيمة التي
رددتها بخجل وأنا مطمئنة الرأس:
- أشكرك سيدي!

الساعة تخبرني، أنه بقي من الوقت
عشر دقائق، فلأسرع بالعودة إلى
الفتاة..

أدري، أنني لم أخبرك بعد، أنه في
إحدى الليالي القريية.. سألني والدي:
- ابنتي العزيزة.. متى سيتقدم
تطلب يدك؟ الخشي عليك كلام
الناس.

أحسست لحظتها، أن كلام أبي
ينبهي إلى أن غدا يوم آخر.. سأتجرأ،
وأفاتحك أنا بحبنا.. وبشجاعة أطلب
منك أن نعلنه حالا على الناس، مادنا
قد خلقنا لبعضنا.. كنت واثقة من حبك
لي وأعلم جيدا مدى تعلقك بي.. فقد
كان إحساسي هذا يستبقيني دائما
ملتصقة بك.

وجاء الغد.. وبعد غد.. واكتمل
الأسبوع.. وتوالد الشهر من رحم
آخر.. وما زال أبحث عنك.. تذكرت
حديثنا في إحدى جلساتنا الطويلة،
المتلهبة حميمية، عندما قلت لي
وعواطفك الدافئة تسبقك نحوي:

- تذكرني دائماً أن هناك أشياء غريبة.. تحدث!
وكأنك تهينني لشيء ما.

بحثت عنك في شركات البترول الكثيرة المنتشرة في المنطقة.. الغريبة أن أحدا لا يعرف اسمك.. ولم يلتق بك أي شخص.

كنت أحفظ أرقام سياراتك المرسيديس البيضاء اللون.. عندما أخبرتني صديقتي التي تعمل بإدارة المرور أن هذه الأرقام غريبة التشكيل، لا وجود لها في الدفاتر والقوائم.. وأنها من ترتيب خيالي.. كدت أتبعثر جسداً وروحاً!

تذكرت أمسياتنا الجميلة التي جمعتنا فوق الرمال الرطبة، على شاطئ البحر الغارق برووعته، تتأمل الشمس تلك المعجزة الإلهية وهي تودعنا لحظة انفجار الغروب.. ملتاعة، سألت بائع الآيس كريم عنك، أتدري، ماذا أجابني؟!.. قال بثقة تملأ ملامحه الشابة:

- سيدتي.. إنني لم أر أحدا يرافقك هنا.. كنت وحدك تفترشين الرمال.. تحتضنين كامرتك.. وتارة تصورين البحر والغروب.. وتارة تأكلين الآيس كريم من عربتي.. تبتسمين لي ثم تذهبين!

أحسست بشيء من المرارة والوجع يعتصران قلبي، وأن الجميع يتآمرون عليّ وعليك، شركات البترول.. إدارة المرور.. وحتى بائع الآيس كريم.

أوشكت ساعة الزمن على نهايتها، سوف أستلم الصور، وأتباهى بوسامتك وأنا أعرضها على الشركات

وعلى إدارة المرور وعلى بائع الآيس كريم.. فلن يستطع أحد بعد أن يراها إنكار وجودك!.. أتدري ما هي أجمل الصور؟!.. هل تتذكر تلك الصورة الأخيرة التي التقطتها لنا بائع الآيس كريم.. كان ينبهني أن ألتصق بك أكثر.. أتدري كنت خجلة ولكن راغبة.. كانت يدك بحنان تطوق خصري.. أشعرتني أن تلك اللحظة التي تقاسمناها معا هي أصدق لحظات الحب الذي كان بيننا.. لاحظت ذلك الإحساس في عينيك الغامضتين.. كيف نظرت إليّ بشوق، وكيف لمست يدك خصري..

وأنا أرتجف وقلبي تزداد خفقاته، تسلمت مغلف الصور من يد الفتاة.. مذهولة، دفعت المبلغ وأسهرت إلى سيارتي.. جلست خلف المقود، تماكنت نفسي قليلاً قبل أن أفتح المغلف الثمين.. أخذت أقلب الصور.. جميلة صورتني هذه وأنا أعبت بالرمال، استشعرت برودتها ورطوبتها.. ها هي الصورة الأخرى، ما أجملني وأنا أنظر بثقة إلى قرص الشمس.. يا لونه الدامي.. وهذه صورتي الثالثة وكأنني أحتضن البحر بكل غموضه وسحره.. يا لها من لقطة فنية..

أتدري يا حبيبي سوف تعجبك هذه الصورة إنها إحدى لقطاتك الرائعة والغريبة.. أما تلك الأخرى فقد كانت النسمة ليئمة وهي تداعب طرف ثوبي الحريري.. حتما سأحمر خجلاً عندما تقلبها بين يديك.. وهذه صورتي وحدي.. وتلك صورة أخرى وحدي.. وهذه أنا.. وتلك أنا.. أنا.. أنا وحدي.. و.. و.. و.. و..!

أكلة سمك

روحه، حتى الاتصالات تعذرت..
ربما لم يعد له وجود في الوطن... كاد
أن ينسى كل شيء.

× × ×

في ذلك البلد الآسيوي الذي
تزدحم فيه الأجساد عاش حمد بين
الأزقة في غرفة تآلف فيها مع
مخلوقاته الزاحفة... عمل في كل
شيء وادخر بعض الشيء.
- آه!

خرجت من أعماقه التي تتن على
غير العادة... لكن الأنفاس الحارة
زادت الأزمة اشتعالا... ما زالت
حواسه التي انطلقت من محبستها
تتشكل... حتى عاد يرى ويسمع
ويشم... رائحة السمك المشوي الذي
أخرج حيا من النهر نفذت إليه عبر
الزمن... تذكر معها جلساته
وصحبتهم الطويلة... كانت الوجوه
كما عرفها هناك تبتسم له... رآهم
جميعا بجانبه.

- محمود... هذا أنت!

ابتسمت الذاكرة له.

- دع عنك الحديث ولنبدأ الأكل.

انقضت الأصابع على السمكة التي
توسطت الإناء المعدني تحيطها
شرائح الطماطم والبصل... تمرقت
وتناثرت أحشاؤها.. الصمت يحيط
بالجميع بينما الأصابع تنتقل بين
الإناء وبين الأفواه الأكلة... بعد قليل
هدأت المعركة وبدأ الارتياح على
الجميع... استمرت سهرة الليل حتى
سكنت العاصمة وانقطع المشاة لينام
النهر القديم... تحرك الأصحاب
بأقدامهم القافزة نحو بيوتهم.

• خالد أحمد الصالح / الكويت

عندما لا يستطيع حمد التنفس
بهدهوء وهو جالس فوق حافة
سريره المتهاك ويشعر أنه
سيختنق في هذا الحيز الموحش
يعرف أن شيئا غير طبيعي سيلم
به.. وأن ثمة أشياء تتأزم في روحه
وتمزق سكونه الذي اعتاد عليه،
آنذاك ارتفعت حواسه التي ظلت
معطلة سنوات طويلة حاملة
أشواقه إلى هناك حيث النهر
المنساب بهدوئه الدائم على أرض
الرافدين...

ومع تصاعد أزمته بدأت كوة من
ماضيه تتسع في مخيلته ووجد أنه
يتعامل مع أحداثه القديمة كأنه يعيش
معه... تذكر في لحظات كل شيء
تركه وراءه... أمه وأباه وجميع
أصحابه الذين لا يمل الضحك معهم..
ثم تجسدت في مخيلته معاناة فراره
من الوطن لحظة بلحظة حاملة نفس
مشاعر الحزن والترقب والأمل..
عشر سنوات لم ير فيها أحد تألفه

نهض متثاقلاً لإخراج نقوده الثمينة
من حرزها وغادر ملجأه.. لم يكن
أمامه حل آخر.

× × ×

من بين الزحام شق طريقه في
العاصمة المزدحمة... ينظر إلى
الوجوه المتسارعة ولكن كعادته لم
يميز بينهم... حتى رئيسه في العمل
تطلب منه وقتاً وجهداً ليفرق ملامحه
عمن سواه... خطواته تتسارع حتى
اختفت أنوار العاصمة... ما زال
يتلمس عبر النهر الطويل صورة
يألفها... هناك حيث تأكل اليابسة
خاصرة النهر عرف المكان.. تحت
عريش من ألواح القصب وبعض
طاوولات خشبية وفحم اصطفت
الأسماك.

وقف أمام البائعة التي كانت تنظر
إليه مبتسمة... ربما شعرت بحنينه
المتدفق... ألقى نظرة على الأسماك
المتراصة ومزج على واحدة قريبة
الشبه من سمكه القديمة... ثم نظر
إلى البصل والطماطم... وضعت المرأة
ما أراد في إناء واسع ثم أشارت إليه
بيدها.. فهم مرادها... خمس دقائق
وقت الشواء... جلس في المكان
الوحيد الذي رآه خاليا.. حدث نفسه:
- كأن اليوم يوم السمك.

ما زالت حواسه تثقل على
روحه... الدقائق تمر بطيئة... نظر
إلى البائعة فأشارت إليه..
- خمس دقائق.

تحسس النقود التي جمعها ليوم
عودته... تذكر الجهد الذي بذله لأجل
توفيرها... ولكن متى يعود... لم
يتغير شيء في الوطن... ما زال

- حمد... لقد تأخرت.

- نظر إليها... وهي مرتدية
وشاحها فلثم رأسها معذراً... رفعت
رأسها وعادت قولها هامة:

- والدك انشغل عليك.

- أهو نائم؟

- لا أظن.

دنوت برأسي لاقترب من أنفاسها
الحانية وقلت بفخر:

- حفلة سمك على النهر.

- حفلة سمك!

- سألتني فرحة..

- نعم... دعانا محمود.

- ابن خديجة!

ابتسمت فهي تعرفهم بأسماء
أمهاتهم..

- لقد تخرج..

- ها..

قالتها أمه بحرارة... سنة مضت
على تخرجه وهو لا يجد عملاً...
نظرت إليها بحزن قائلاً:
- تصبحين على خير..

بين تراكمات السنين الطويلة
اتضح له صورة والدته.. كان أبوه
يقف وراءها.. عيونهما شاخصة إليه
يمالها القلق... أغمض عينيه ليبعد
بركان الحزن الذي داهمه..

- أما زال الوشاح الأسود يغطي

رأسها؟

منذ فقد أخوه في حرب الخليج
الأولى وهي ملتزمة بالسواد... متى
آخر مرة سمع صوتها؟... خمس
سنين... ربما.. ثقلت روحه وزاد
الطنين في أذنيه... عاد مرة أخرى
يشم رائحة شواء السمك... أمسك
قلماً ورسم صورة سمكه القديمة..

- لعنة الله عليهم جميعا... أضاعوا
الشباب

صرخت بها هناك... ربما كانت
هي تهمني... رفع رأسه بعد أن عاد
إلى واقعه... تلمس نقوده الغالية
ونظر إلى المرأة

- خمس دقائق

ابتسم الجميع ورددوا وراءها

- خمس دقائق

أطرق برأسه وكأنه ابتسم ولم
يعرف كيف ابتسم... ربما تحركت
عضلات وجهه رغما عنه.. ولكن
سرعان ما عاد إلى واقعه وعرف ما
ينتظره..

حتى لو أعادت السمكة له جزءا من
ماضيه فهل سيعود إلى بيته ليرى
والدته القلقة؟... هل سينظر إليه والده
في الصباح مؤنبا!.. واستمرت
أسئلته حائرة تبحث عن خلاص..
قبض على نقوده الغالية بحزن كأنه
يودعها، ومن غير حساب انطفأ
المصباح الذي فوق عربة الشواء...
خيم ظلام دامس وعلت أصوات
الاحتجاج.. ثوان معدودة قبل أن
يحسم حمد معركته... دفع يده إلى
جيبه وأخرج صورة السمكة التي
رسمها في غرفته الموحشة... وضعها
فوق الطاولة... غادر بهدوء وهو
يصافح نقوده تاركا السمكة الغريبة.

مطاردا هناك.. لا يتذكر تهمته...
وتساءل بحسرة:

- هل يعرف أحد لماذا غادر وطنه..
سمعت البائعة هممته فأشارت
إليه بيدها.
- خمس دقائق.

أطرق على الأرض... كانت
الإضاءة الوحيدة القادمة من فوق
عربة الشواء تضيء المكان...
انعكست أنوارها على الماء... لم يكن
النهر الذي يعرفه... أمواجه ملطخة
تعلوها بقايا من كل شيء... الرطوبة
الخانقة تبعده عن حاضره إلى حيث
الهواء الذي ينساب عليلا داخل
رثتيه.. قذف أنفاسه.
- آه.

سمعت المرأة أنته ولم تفهم
مأساته.. صاحت به:

- خمس دقائق
شد نداؤها انتباه جميع الزبائن
فعلت الابتسامة محياهم... التفت
حواله ليرى الجالسين.. لم يكن أحد
منهم وحيدا.. سواح أجانب وقلة من
أهل البلد... تألم لوحده... أول مرة
منذ عشر سنين يتألم لوحده... زاد
حنينه وبدا يصغي لما في داخله:
- محمود ماذا تنوي أن تفعله؟
أجابه بسخرية واستنكار
- وهل وجد أحد منكم عملاً؟

الشجار المر

ينحسر مد الشجاعة عن فعل أشياء كثيرة، ولكنه عندما ينحسر عن قول الحقيقة، فإن للكون مراسمه الخاصة في عزف أنشودة الصدق «عبد العزيز»

استيقظت يا حبيبي؟؟؟... مازلت أفكر بهذا الضمير الغريب الذي يطالبني بشجاعة سلبتني إياها هذه الأفعى التي تختلف اختلافاً كلياً عن باقي الأفاعي التي كنت أهوى تشريحها في أيام الدراسة الجامعية... كل الأفاعي تبيض.. وهذه الأفعى لا تلد ولا تبيض، لكنها تعرف كيف تسلبني الشجاعة... فقد تخلت عن هواية التشريح منذ ليلة الدخلة... سامحك الله يا أمه على هذا المأزق الذي يرفض التخلي عن عناقي!!!!... ماذا كان سيحدث لو وافقت على «حنان» ولم... «هل استيقظت يا حبيبي؟؟؟»

.. وأحسست بصوت طبل يقرع أخته في أذني وبادرني الشعور بأن جسمي قد وقع فريسة لدغة أخرى تضاف إلى مئات اللدغات التي تفننت «زوجتي» في تزيين جسدي بها، نهضت على الفور دون كلام بعد أن صرخت داخل نفسي صرخة أتوقع أنها تزلزل كل شيء عدا خوفي منها، وانطلقت أعبث بجسدي تحت تيار

ويوم آخر..
ويوم آخر يداعب أهداب التوجس في بساط أفكار الحبل بكلمات كثيرة أحتفن بها إلى أبعد الحدود منذ زمن بعيد جداً..
ويوم آخر أستيقظ فيه على صوت ضميري الذي خلّطني بفتنه في صحراء الموت القاحلة بقلبي الجريح، وإذا به يمزق أكفانه ويوظني بكل تبجح وقلة ذوق.. على أية حال.. لقد أصبح الإزعاج في حياتي ديناً لا يفارقها.. إما على أصوات المرضى الذين يتعاركون من أجل أخذ الأدوية التي تروق لهم دون الحاجة لرأيي، أو على صوت فحيح هذه الأفعى التي تدعي أنها زوجتي.. ومنذ يومين انضم إلى هذه القائمة هذا الضمير اللعين صاحب المنكبين العريضين والفم الكبير والشفقتين اللتين تبدوان كإطارات السيارة.

«هل استيقظت يا حبيبي؟؟؟... إنه فحيح الأفعى تتأكد إذا ما كنت على قيد الحياة أم أنني قد فارقتها من تأثير لدغاتها المستمرة...» هل

الصيدالة يجيدونها..
تناولني الثياب كعادتها لتبرهن لي
أنها ليست بالأفعى التي نامت بقربي
ليلة أمس، ولكنها تصر في هذه
اللحظة على شيء غريب... «دعني
أربط لك ربطة العنق يا حبيبي»..
انتفضت رجولتي ورحت أحرق في
عينها الغائرتين وابتسامتها الخبيثة
التي تكشف عن أنيابها، وتخيلت أنها
أفعى كبيرة تبتسم لي قبل أن
تفترسني وتقضي على حياتي للأبد،
ابتسمت حيث إنه لم يكن غير الأسنة
مركبا، ووضعت يدي على كتفها
الأيمن...

«أعرف أنك ماهرة في تطويق
العناق يا حبيبتني»، وكان يجول
بفكري رغبتها في تذكيري بأنها
تربط عنقي وأنه لا مناص من دخول
موسوعة «جينيس» فتراجعت للخلف
وقمت بربطها بنفسي وأنا أتباهي
أمام المرأة بهذا الانتصار العظيم للمرة
الأولى منذ زمان بعيد جدا... ورأيتها
تتلوى من الغيظ وتسالني عن سبب
التغير في أسلوب المعاملة... «لا
شيء. زحمة العمل يزوجني
الحبيبة» لكن سمعت من جارتنا أن
حنان وابنتها يرقدان في المستشفى..
وما شأني أنا... «أتذكر أفدح
خطأ ارتكبته عندما أخبرتها بحبي
لحنان قبل الزواج».

- نعم ؟!!!! أتقول ما شأئك..
اليوم ستمعن النظر فيها، وستتذكر
أيام الطفولة، وترغب في لو أنك
تزوجتها و..و.. «يبدو أن الأفاعي
تقرأ الأفكار أيضا».
- الأفضل أن أذهب... لقد تأخرت

المياه المندلقة من هذا الغربال الصغير
الذي يتدلى من الأعلى، شاهدت في
كل أنحاء جسدي آثارا كثيرة تسجل
للتاريخ عدد اللدغات التي جاءني
منها.. مسيرة سبع سنوات بحول
الله وعونه قضيتها بين فحيح ولدغ
وصراخ مرضى لايتورعون عن
سحب بساط الاحترام من تحتي..
ويأتي هذا الضمير ليضيف نفسه
للقائمة... أف... تعبت... كم سأنتظر
حتى أتخلص من خيوط الخوف؟ كم
سيحتل جسمي أمثال هذه اللدغات؟
أما كانت «حنان» أفضل من... «هل
انتهيت يا حبيبي؟».. وعاد الفحيح..
اليوم سأذهب لأجد أكوام اللحوم
البشرية المتكدسة على باب
المستشفى. اليوم سأسمع الصرخات
الطفولية التي أتمنى أن تدخل بيتي
ولو لمرة واحدة.. اليوم سأجد
«حنان» مع ابنتها الجميلة التي طالما
تمنيت أن تكون ابنتي لولا... «هل
انتهيت يا حبيبي؟».. من الأفضل أن
أنتهي بسرعة قبل أن أدخل موسوعة
«جينيس» للأرقام القياسية محطما
عدد المرات التي استقبل فيها رجل
لدغات الإناث.. «حسنًا يا حبيبتني»..
نطقت بها ويدي تزيح الماء عن آثار
تلك اللدغات.. غريبة هذه الحياة، فكم
ننطق بكلمات لانعنيها حقا... تقول
حبيبي وأقول حبيبتني.. لكنها أفضل
الطرق لتحاشي المواجهة.. لعلني
أسميها «لعبة الشاطر» رغم أنها غير
متضحة المعالم داخل ذهني، تماما
مثل الوصفات الطبية التي أكتبها
ولا يفهمها غير الصيدالة... ولكن من
سيفهم هذه اللعبة؟ لا أعتقد أن

أمام فشل الاختيار.. كم أتمنى كلماتك العذبة يا حنان، أين تلك الموسيقى التي تعودت أن أسمعها معك؟... أخنق المسافة شيئاً فشيئاً وأقترب كثيراً من المواجهة، أهو الضعف يقبع كالجرثومة في بدني؟.. لماذا لا أصارح حنان بشأن ابناتها؟.. لماذا أماطل في إخبارها بالحقيقة؟.. لقد مر أسبوعان منذ دخولهما المستشفى.

في البداية سرت في بدني نشوة غريبة عندما رأيت حنان تدخل مكتبي مع طفلتها.. لقد تذكرت كل الماضي... لعب الطفولة.. مشوار الدراسة بأكمله.. كلمات الغرام التي تناجينا بها طيلة أعوام ماضية... كل شيء حتى أمي التي رفضتها بحجة عائلتها وأصارت على تزويجي لتلك التي تضرب بفحيحها الجدران حتى إشعار آخر.. لقد وقفت طويلاً أراقب علامتها الفارقة التي تتربع على وجهها وتذكرت لحظات الوداع وأنا أصارحها بعدم قدرتي على مواصلة الدرب.. «دكتور»... أغرقنتني في بحر من الآلام، حاولت مجابهته فغرقت بدموعي التي سكبتها في فمي.. «دكتور».. نطقت بها وأنا أرقب شفاها التي نادتنني باسمي في أيام قد انزوت وتساقطت كخريف لن يعود. أنقصد أنها أنها تعاملني على أنني لست ذلك الذي أحبته من قبل؟.. حسناً.. لنرى أين ينتهي التمثيل العشوائي؟

- تفضلي بالجلوس.. بماذا يمكن أن أساعدك يا أختاه؟ «كلمة أختاه رنانة نوعاً ما... دعها تشعر بأنني أنا أيضاً قد دفنت الماضي بعيداً هناك».

عن العمل.

- ماذا؟ ألا تريد أن تفطر؟.. لا بد أنها قد أعدت لك الفطائر كما تعودت منها في أيام الصبا و... وانطلقت وتركت الفحيح يضرب الجدران الأربعة معا حتى إشعار آخر..

يمشي بي الدرب الموحش رغم ازدهامه نحو هذا المستشفى العتيق، لست أدري أي شقاء كتبتة على نفسي باختيار هذه المهنة التي لا تفارق المآسي، موت... إعاقات... عاهات مستديمة... سرطان... وأشياء كثيرة أعرف تشخيصها وأتوصل إليه لأصعق المريض ثم أتركه دون أي أمل في أن يتعافى... لا يوجد علاج للكثير منها فكيف أصارحهم بذلك؟.. أف.. تعبت، أحس بأشياء كثيرة تخنقني، كنت أعتقد بأن الشجاعة في مواجهة المرضى خاتم في اصبعي.. «عندك سرطان وتبقى لك فترة قصيرة لتحياها».. «أنت مصاب بشلل نصفي لا أمل لك في أن تشفى منه»... «أنت فقدت عينك اليمنى ولن ترى بها بعد ذلك».. «لقد مات زوجك».. كل الشجاعة أمام الآخرين - باستثناء تلك الأفعى طبعاً - كانت رهن يدي اليمنى... لكن الأمر مختلف مع حنان....

أخاطب نفسي كثيراً... أعبت بمسجل السيارة لأبحث عن موسيقى هادئة تعيد إلي توازني باقترابي من هذه المستشفى... تبحر بي الذاكرة المهترئة في محاولة لاقتناص مسافات الزمن المشروخ، ألملم جراحي التي لا يتخثر دمه، أعانق أهذاب الماضي وأعاتب ضعفي البرئ

يده بوضعها في النار خطأ...
 «أطمئني.. حالتها تتحسن.. لكن
 نتائج الفحوصات لم تظهر بعد»..
 وأنسحب بالتدريج بعد أن أحتضن
 الطفلة... ومنذ يومين، صعقني
 الخبر... «سرطان».. قالها أخصائي
 علم الأمراض، وانتشل نفسه من
 مكتبي ليترك مهمة إخبار الأم لي..
 «أنت أشجع الأطباء في المواجهة»،
 طبعاً هو لا يعلم عن تلك الأفعى التي
 مازلت تضرب الجدران بفحيحها
 حتى إشعار آخر.. اتجهت في ذلك
 اليوم لأصارع الأم، استجمعت قواي،
 وقفت أمام حنان، نظرت إلى الطفلة
 التي استقبلتني بكلمتي المفضلة،
 احتضنت الطفلة ورجعت دون أن
 أتكلم مع الأم، وعدت إلى البيت لأبدأ
 الصراع مع هذا اللعين المسمى
 بالضمير...

أنا لا أقدر على ذلك... لا أريد أن
 أوجه الصدمة الثانية لحنان، لا أرغب
 في أن أحطم السعادة على وجه
 الطفلة.

- ولكنك تخالف شروط المهنة.
 - لا يهم... المهم أن لا أصدم
 حنان.
 - لكن يجب أن تعرف الأم.. يجب
 أن تودع ابنتها بالتدريج حتى لا
 تصعق بالخبر... لم يبق أمام الطفلة
 سوى فترة محدودة لتحياها.
 - الأعمار بيد الله، قد لامتوت، قد
 يكتشف العلماء علاجاً في الغد، ما
 يدريك؟

- لكن من حق الأم أن تعرف.
 وانطفأ وهج الضمير في تلك الليلة
 لأجد نفسي في صباح الأمس أمام

- ابنتي يا دكتور تشكو من...
 وراحت تقص تفاصيل المرض وبدأ
 قلبي هائماً يلحظ الطفلة الجميلة التي
 بدت منهكة جداً وكأنها قد أفلتت من
 ظلمة القبر. أو لعل زوجتي لدغتها
 لأنها لا تحب الأطفال الذين حرمت
 منهم... ولعلها مصابة بشيء ما.
 - حسناً... سأجري لها بعض
 الفحوصات.. أعتقد أننا سنرقدها في
 المستشفى..

أحسست بدفء يجتاز مسام
 جلدي وحرارة شوق تغلف أوردتي،
 فها قد أصبحت حنان قريبة جداً على
 بعد خطوات مني.
 أزعجني بوق إحدى السيارات
 المارة في الطريق وأثار اشمئزاز
 خلايا دمي الحمراء، فحشدت قواها
 في قواعد المتمرزة في وجنتي..
 عبثت يداي بمسجل السيارة ورجت
 أنعم الموسيقى الدافئة التي كنا نحبها
 أنا وحنان وتنساب كقطرة ماء في
 جدول صغير... وعادتني ذكرى
 حنان مرة أخرى.

لقد أسرني حب الطفلة، وغدت
 تمثل كل شيء بالنسبة لي، أحس بأن
 حبها امتداد لعاطفة أمها المحبوسة،
 ألعب معها كل يوم بالقرب من
 السرير، أضمتها إلى صدري متلذذاً
 بطعم يفتقده أمثالي، أدغدغ شغاف
 قلبي بكلمة «بابا» التي تنطقها بعفوية
 دون أن تدري لمن توجهها.. كم
 أعشقها.. ولكن ثمة سؤال كان
 يرتسم على تلك الشفاه التي طالما
 نادت اسمي.. «خير يا دكتور... أريد
 أن أطمئن على ابنتي». أنتفض
 مذعوراً من حرارة السؤال كمن أحرق

الأولى، وقد أعرض عليها الزواج، ستوافق.. لا.. الظروف غير مناسبة.. بل هي مناسبة.. سأرعى الطفلة حتى آخر لحظات الحياة، سأعتني بها، ستوافق بالتأكيد... لكن تنقصني الشجاعة التي بدأت أحس بوخزها كإبرة منذ يومين.. لا بد أنها تنتظر حبي المدفون في الصحراء، بعيدا هناك، سأصل، سأصل، وسأخلص من تلك الأفعى، لن تبقى في بدني أي آثار لتلك اللدغات.

وجدت نفسي أمام الباب... هل أطرق عليهما الباب؟ قد تأتي الطفلة وتناديني بابا... ولكنني لن أتكسر كموجة أمام الصخرة وأترجع، بل سأخذها في أحضاني وأقترب من أمها وأصارحها... نعم.. لقد بدأت نشوة الشجاعة بغزو جسمي، ها هو مد الشجاعة يقترب من شواطئ حنان، لن أدعه يعاني من الجزر... سأدخل.

فتحت الباب... حنان..... لم أجد أحدا... أين الطفلة؟ .. أين حنان؟... تراجعت للخلف، أغلقت الباب، ورجعت إلى منزلي لأخذ لدغات جديدة من تلك الأفعى حتى إشعار آخر.

سرير الطفلة بعد أن قضيت الليل أرقب الأفعى وهي تتقلب يمناً ويسرة على السرير، اقتربت من حنان، حاولت أن أنطق بكلماتي التي قد سهرت في محاولة تحضيرها واستجماعها، وفاجأني صوت الطفلة تنادي: بابا... أحسست ببرودة تجتاح نخاعي الشوكي وتجمد أطرافي، وأصبح لساني ثقيلًا كمن يحتضر، انسحبت بالتدريج بعد أن احتضنتها، على أمل أن يأتي اليوم، اليوم سأخبرها، فأنا لم أتم من ذلك الضمير اللعين الذي انضم إلى القائمة.

انتشلتني منظر البواب وهو يقف لي احتراماً عند دخولي باب المستشفى.. ربما هو الوحيد الذي مازال يحتفظ باحترامه لي لأنه لم يلتق بعد بزوجتي، بعد دقائق سأذهب إلى حنان، سأواجهها، سأخبرها بأن هذه الطفلة التي كنت أتمنى أن تصبح ابنتي لن تعيش طويلاً، شأنها شأن السعادة على الأرض، سأعرض عليها أن تتمرد على الأحزان وعلى العزلة التي خلفها موت زوجها منذ سنة كاملة، سنبدأ من جديد، سأصلح آثار الصدمة

علي بابا يحكم المدينة

• عبد الله خليفة/ البحرين

صارخة بأبواقها ودراجات مرورها
النارية، قافزة ضلوع المشاة
والإشارات والهدوء؟
إننا نتقدم الآن نحو المحكمة. ثمة
زحام هائل. العدسات تنهمر نورا
على السيارة المتوقفة. وها هو السيد
علي بابا، حاكم المدينة السابق
يتنحى. أنتم ترونه الآن. كم هو
كهل؟ من كان يتصوره بمثل هذا
الجد النحيل المرفف؟ كم تبدو عليه
علامات المسكنة والطيبة والبراءة! ها
هو حارس مجهول يجره نحو
السلم..!

لقطات الكاميرا: تدفق رهيب من
الناس. علي بابا غير قادر على
اختراق كتل المصورين
والميكروفونات والأيدي والرؤوس.
صراخ. ثمة رجل يسقط في الزحام.
آخرون يمسون الحاجز. الضجة
تتعالى. طابور من العسكر يزيج
المحتشدين. علي بابا يختلط بأرباب
السوابق الذين قذفتهم شاحنة.
تدافع. سقوط. ثمة أناس ذوو بدلات
فاخرة يصرخون:
- امنعوا هذه المهزلة! هذا عار!

المذيع: حدث ما لم يكن متوقعا،
حدث الأمر الرهيب، قل إن الشمس
انغلقت، قل إن القمر سقط في قعر
المحيط! فمن يتخيل أن علي بابا
بكل عظمته التي لم ترتعش وتهتز
طوال أربعين سنة، يُقاد مخفورا
إلى المحكمة، يوضع في سيارة
عسكرية مكشوفة، وهي تسير في
الأسواق الضيقة، وحشود الباعة
والمارة تترك حوائطها ومقاهيها
وتحديق في الرجل الجليل، الذي لم
ير أبدا مثل هذه الدروب، ولم
يشاهد هذه الوجوه المعروقة،
والظهور المكسورة، والشوارع
الزلقة؟

هل تصدقون ذلك أيها السادة؟
إنني أصور لكم المشاهد لحظة
بلحظة، ولكن الكاميرا لا تستطيع أن
تندس وتلاحق ذلك «الجيب» المغطى
بالقضبان، المندفع، والرجل الكهل
يخفي ملامحه بغترته، التي غدت
صفراء ذابلة، وأين كان منها ذلك
التاج المتأللئ، وحشود الحرس
شاكية السلاح، والسيارات السوداء
الطويلة التي تمرق مروق البرق،

الادعاء ليست لديه أية تهمة جديدة ضد موكلي. يتحدث عن الجرائم والفساد دون أي دليل واحد. إنه يلطخ سمعة هذا الحاكم الجليل الذي خدم المدينة طوال أربعين سنة، لم يتزحزح فيها يوما واحدا عن كرسي المسؤولية، وماذا كانت هذه المدينة قبل أن يحكمها؟ مجرد قرية صغيرة حقيرة، ثم جاء هذا الهمام وغير كل شيء فيها. أصبحت مدينة عملاقة. لقد كان هناك لصوص سرقوا كل خيرات الأرض ووضعوها في كهف لهم. هو وحده الذي عرف كلمة السر، وفتح البوابة السحرية وأفاض على الناس من كنوزها.. من يذكر شيئا آخر؟ إنني أتحدى أن يعرض أحدا ما كلاما أو معنى أو تاريخا مختلفا؟ منذ صغرنا ونحن نطالع هذه الصورة البهية: علي بابا وهو يقود جحافل الناس للاستيلاء على الذهب والشواريح والمال ويحولها إلى نافورات وطرق ونجوم. لقد حاول الادعاء أن يجلب شهودا فراحوا يتمتمون ويهزون دون أن ينكروا هذه الحقيقة التي حفظها الأطفال مع الحليب.

علي بابا.. علي بابا.. هو الذي فتح الكنز.. هو الذي شيد ناطحات السحاب.. هو الذي أجرى الماء من الأرض اليباب، هو الذي شق النهر الأزرق وصنع الحدائق المعلقة وملا البحر بالسّمك والبراري بالغرلان، والشوارع بالمقاهي، والرؤوس بالآفكار والمشاعر، والتلفزيون بالأخبار. إنني أتحدى الادعاء أن يُحضر أية ورقة تثبت أن الأطفال لم

الصور تضطرب. الوجوه تختلط بمرأى الأقدام والأحذية والبلاط. المذيع: ما زلنا معكم أيها السادة، وقد رأيتم كيف كان الزحام رهيبا، وقد تعثر مصورنا، ولكن ها نحن الآن ندخل قاعة المحكمة الكبرى، ولا تزال كتل البشر تموج بنا. أنتم تطالعون الآن.. وزراء سابقين، موظفين كبارا، رؤوساء قبائل وأحزاب، وعامة مغمورين متألمين.

إن كل الأمة تنتظر. كل وجوه الناس تحديق في هذا المصاب العظيم. لقطات الكاميرا: تنفتح بوابة القاعة، تمتلئ المحكمة بالحضور المتدافع على مقاعدها، يبرز علي بابا في قفص الاتهام. وجهه يكبر شيئا فشيئا، تظهر التهديدات والخطوط المنتفخة أسفل العينين، والوجه العظمي غائر الخدين، والشوارب والأهداب واللحية زال عنها اللون الأسود.

يحصل هرج مفاجئ، الحضور في نهوض مباغت، القضاة يأخذون أمكنتهم البارزة في صدر القاعة، يحدقون لحظة إلى المتهم، ثم يتهايمسون، وتبدأ الجلسة.

الادعاء يتكلم قليلا، ويبدو مرتبكا، متطلعا إلى البوابة، ويروح يعدد تهما.

يحدث قطع أثناء تلكؤ الادعاء، ويبرز رجل من صف المحامين مبتسما، تبدو ملامحه صخرية ونظراته ثاقبة قوية.

المحامي: (متقدما بمهل وكبرياء) أنتم ترون أيها الحضور الكريم أن

يولدوا بعناية، والطرق والمجاري لم تنطق باسمه، والفنادق والمتاجر لم تظهر في أرضه.

الادعاء: امنحوني أيها القضاة الموقرين قليلا من الوقت بانتظار الشاهد الأخير، إنه الرجل الوحيد الباقي من الجماعة التي قيل إنها عصابة الأربعين حرامي.

الحامي: (مقاطعا) إلى متى ننتظر؟ وأين كان شاهدك طوال هذا الوقت؟! الادعاء: إنه في.. مستشفى.. الأعصاب!

الحامي: (ساخرا) هل يمكن للمحكمة الموقرة، وهذه الجلسة التاريخية أن تنتظر مريضا.. من.. من مستشفى المجانين؟!

ينفتح الباب ويتقدم رجل كهل بحذر. لغو وصخب ثم يحل هدوء عميق والرجل يصل إلى المنصة أخيرا.

الرجل: من الغريب أن تنتظر هذه المدينة رجلا مغمورا يعيد إليها ذاكرتها وكل هؤلاء الزعماء والعلماء يملأون شوارعها ومحاكمها.

ترددت في المجيء إلى هنا. لم أصدق أبدا أنه يمكن أن يُقبض على هذا الرجل. أربعون عاما وأنا أبلغ المسامير والحبوب والطعام الملوث في مستشفى الأعصاب. كل رفاقي الذين كانوا يحمون بيت المال طبخوا أو سجنوا وعذبوا حتى الموت.. ثم

استبدل الأمر بحكاية مضحكة.

هذا الرجل القابع في القفص كان بدويا وقاطع طريق ومطلوبا للعدالة.

جاء إلى المدينة وهي مزدهرة، مليئة باليساتين والمعامل والأطفال الحلوين. وكانت غاباتها تتحد بالجبال.. انظروا الآن إلى الرمال وهي تملأ النواوير والعيون! والأولاد يبيعون جلودهم والحبوب.. لماذا تحذقون إليّ مذهولين ومستنكرين؟!

كان يقود ثلة من المجرمين واحتلوا بيت المال وأخذوا الذهب وسندات التنمية ومدخرات العمال والأجيال وحلي النساء. هل يمكن أن يُفتح جبل بكلمة سم سم؟! أتعرفون ماذا تعني هذه الكلمة؟ إنها صيحات المعدبين وهم يصبون الحمم في آذان رفاقي.

(قطع). كانوا يقيمون حفلات الشواء في أجساد.. (قطع)..

الكاميرا مسطرة على وجه رئيس القضاة: تغل المحكمة ببراءة المتهم المدعو علي بابا من التهم المنسوبة إليه لعدم كفاية الأدلة، وعودة الشاهد.. إلى علاجه.

صخب وضجة عارمة.

المدعي: (بسرور ودهشة) ها أنتم أيها المشاهدون الكرام ترون وتسمعون الكلمة الفصل.. التي.. اهتزازات حادة وانقطاع للث!

الكومبارس

• قصة: نيروز مالك / سورية

منذ الصغر أحب التمثيل وحلم في أن يكون ممثلاً، منذ أن كان في الصف الخامس الابتدائي بعد أن مثل في مسرحية دينية تتحدث عن أيام دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.. وما يذكره اليوم، تلك الجملة الوحيدة التي ألقاها على المنصة، وهو يمثل دور أحد القرشيين المناوئين للدعوة. مازال يحفظ تلك الجملة الوحيدة التي قالها وظل بعدها صامتا طوال المسرحية. «من سيقنتله وأولاد عبد المطلب يدافعون عنه؟» منذ ذلك اليوم راح يقرأ المسرحيات ويشاهد كل ما يعرض منها على مسارح المدينة.

... ويذكر أيضاً عندما كانت تفوته مشاهدة واحدة منها لأسباب، وغالبا ما تكون قاهرة، يصاب بالكآبة ويصبح منفرزا فيدفعه ذلك إلى القيام بتصرفات غير لائقة أبداً، لذا،

كان في مثل هذه الحالة يعتكف في البيت ليطالع مزيدا من المسرحيات التي حرص على شرائها من المكتبات أو من باعة الأرصفة، وهو يحلم في أن يكون ممثلا عظيما ذات يوم...

وها هو اليوم الذي سيحقق فيه حلمه قد حل. جاءت فرصته أخيرا. كان يخاف من أن يموت دون أن تأتيه الفرصة... يذكر أن بعض أصدقائه أن يضحكون منه وهم يقولون له: أمرك غريب. أيمن للمرء أن يفكر، في أن يصبح ممثلا؟ ويقول له آخرون: ما أمر ولعك بالمسرح يا رجل؟ فما تسعى إليه هو الجنون بعينه...

وهكذا، لم يكن أحد من أصحابه يشجعه على الاستمرار في تحقيق حلمه. أما بعضهم الآخر فكانوا يتجاهلونه عندما يتحدث عن المسرح وينظرون إليه باستخفاف. ولكن كل هذا أصبح من الماضي... فهو اليوم يعيش ميلاده الجديد بعد أن أخبرته اللجنة بأنها وافقت على أن تضمه إلى قائمة الموهوبين الذين سيخضعون للامتحان، فالناجح منهم يصبح ممثلا في الفرقة الفنية التابعة للمسرح البلدي...

وقد طلبت منه اللجنة أن يتمرن على مقطع من أية مسرحية يختارها بنفسه. ليؤديها عندما يمثل أمام اللجنة الفاحصة... وها قد جاءت فرصته ليبرهن للعالم أنه ممثل عظيم...

هز رأسه وقال: يجب أن أختار مشهدا لأمثله، يجب أن أختار شيئا يخصني ولا يخص غيري. نعم يجب أن أختار...

في تلك الليلة، الليلة التي سبقت يوم الامتحان عاش أجواء خيالية، ورحل إلى بلدان بعيدة، ثم عاد ليوقف أمام المرأة يسأل نفسه سؤالا بدا غريبا أول الأمر: ماذا يعني «الكرسي» للناس؟ قد يسألني أحد ما، أي كرسي تقصد؟ أقول له، أي كرسي كان. عادي أو فريد من نوعه. كرسي يجلس عليه بائع متجول أو ملك أو جنرال!

أبعد المرأة من أمامه، وتقدم من الستارة، أزاحها عن صالة عارية وفارغة. دار حول أضلاعها كأنه يأخذ مقاساتها، ويحسب أطوالها. ثم وقف في وسط الصالة، حيث كرسي عادي، وحيد وهو يتسم ابتسامة خبيثة، وينظر إليه كأنه ينظر إلى شيء عظيم نادر وقال: كم سيلعب هذا الكرسي دورا عظيما عندما يجده إنسان متعب فيريح فوقه أعضاءه؟

وقام بحركة استرخاء بعد أن جلس على الكرسي وهو يغمض عينيه، راح يتخيل بعض الأمور...

تخيل أن اللجنة الفاحصة أمامه، تراقب تمثيله الآن: انظروا، يقول أحد أقرانها، لقد لعب دور الرجل التعبان بإتقان، حتي يخال أنه لا يمثل، إنما هو حقيقة رجل تعبان ومرهق. قال آخر: ماذا لو كان بالفعل رجلا تعباً؟ أجابه أحدهم: هذا يعني أنه لا يجيد التمثيل. قال ثالث: هذا يعني أنه جاء ليغشنا في التمثيل..

ابتسم وهو مستمر في تخيله: يجب أن لا يعرفوا حقيقة ما أقوم به، إن كان تمثيلاً أم إنني تعب عن حق...
وابتسم لنفسه برضى.

عندما نظر بعين النقد والتقويم إلى ما قام به من تمثيل لحالة التعب شعر بأنه لم يكن موفقاً في دوره. شعر بأنه كان بارد العاطفة. غير صادق في إعطاء دوره الشحنة الروحية التي يتطلبها الموقف... فأحس لذلك بالحزن وهو يقول: هذا يعني أنني فشلت، لن تضع اللجنة علامة النجاح لدوري الذي قمت به. لن أكون ممثلاً في فرقة التمثيل البلدي... أي باختصار ضاع الحلم الذي حلمت به كل هذه السنوات...

قام غاضباً وركل الكرسي المتواضع بقدمه فأطاح به عبر المسرح الخاوي من الناس ليرتطم بالحائط ويسقط على الأرض. أما هو فظل يلف ويدور في المسرح، ولكنه مالبث أن قام بحركة نزقة وهو يقول: لن أستسلم. سأثبت لهم أنني ممثل ناجح، ولكي يكون الأمر كذلك، لن أغير دوري لكيلا يقال عني، بعد أن فشل في الدور الصعب لجأ إلى دور سهل بسيط يرفض حتى الكومبارس القيام به!

هرع إلى الكرسي، جره وراءه إلى وسط المسرح، وأقامه على أرجله الأربعة. نعم. يجب أن تقف هنا. هذا الكرسي هو الوحيد الذي سيحقق حلمك في أن تصبح ممثلاً قديراً... ثم مازال الوقت باكراً اللانسيحاب من المعركة، فاللجنة الفاحصة لم تأت بعد، وإلى حين مجيئها عليك أن تقوم بمجموعة من الأدوار لتختار بعد ذلك الأفضل لك والأجمل لتقديمه أمام اللجنة. نعم...
وقفز في الفراغ وهو يصرخ فرحاً بأعلى صوته: ياهو هوووو....

اقترب من الكرسي والفرح يملأ قسما من وجهه. راح يتخيل المشهد التالي: شيخ يتقدم من الكرسي... والكرسي موجود في حديقة صغيرة، يأتي الشيخ ويجلس عليه كل يوم. يفكر أحيانا بماضيه وأحيانا أخرى بحاضره. ولكنه في غالب الأحيان يفكر في المستقبل.. ويجب أن نعرف. أن المستقبل هنا، ليس كما يفكر الشاب به، إنما ما يخبئ الدهر للرجل الشيخ ما بقي له من أيام في هذه الدنيا. فلقد ترك الشيخ الحياة وراءه منذ زمن بعيد، بعيد جداً...

أعتقد، يجب أن يظهر الشيخ طاقة درامية كبيرة في حوارهِ مع الكرسي الذي يقبع عليه، يتحدث إلى الكرسي عن الحنين والماضي، ويتحدث بأسى عن الحاضر، ويتحدث برعب عما تبقى له من أيام على وجه هذه الأرض.

يتحرك الممثل في جلسته فوق الكرسي، ثم يقوم ويتمشى أمام الكرسي وهو يقول: يجب أن أمثل دور شاب فقير لا يملك شروى نقيير، عاطل عن العمل يأتي ليجلس على الكرسي بعد أن هذه التعب بعد أن بحث عن عمل طوال النهار دون أن يجده. أو دور رجل غامض متلفح الجسد والرأس يجلس على الكرسي بانتظار رفيق له، ليعطيه بعض المنشورات السرية.. أو دور شاب في مقتبل

العمر، شاب يجلس على الكرسي ينتظر حبيبته التي وعدته أن تأتيه في ساعة محددة؟

دار حول نفسه وجلس على الكرسي. مد أصابعه ولمس عيدان الخيزران في الكرسي، لمسها برفق وود. ثم قال يخاطب الكرسي: أنجديني أيها ال... فيما تريد أن أمثل لأنجح، لا أريد أن أترك لأبحث عن شيء آخر يشاركني في التمثيل، فقد أحببتك وأريد منك أن تشاركني أمجادي... فأنجديني يا صاحبي، أشر إليّ بدور يضمن لي النجاح وعدم الإخفاق... فكر على مهلك بالأمر، فأنا غير عجل من أمري. وموعد مجيء اللجنة الفاحصة مازال بعيدا.. مازال الليل أمامنا، أي مازال لدينا وقت كاف للتدرب على دور مثالي يحقق لي أحلامي.. هيا يا صاحبي هيا..

وضم الممثل الكرسي إلى صدره كأنه يضم فتاة حياته وراح يقبل خشبه وعيدانه بحنان، يمسح على أرجله بحركات هادئة واثقة من أن الكرسي سيستسلم له ويتأوه بين ساعديه... وعندما قبل ظهر الكرسي قبلة عميقة وهو مغض العينين كان خياله يعمل باتجاه على أن الكرسي... وفجأة توقف عندما ظهر في خياله رجل يجلس على كرسي، رجل في جلسة فريدة من نوعها..

كان الرجل يحمل على كتفيه كل النياشين التي يمكن أن توجد على الأرض كان الرجل أشبه بجنرال كبير أو ملك مهيب أو رئيس دولة مجيد.. كان الممثل لا يزال ينظر إلى الصورة التي في خياله، صورة الرجل القابع بأبهة فوق الكرسي.. فتح عينيه ببطء.. خاف أن يجد ذلك الرجل على الكرسي أمامه.. لا شيء، اختفى الرجل. بقي هو والكرسي لوحدهما. قام عن الكرسي، ابتعد عنه خطوة وراء أخرى حتى وقف في وسط المسرح. فرك عينيه عندما وجد الكرسي العادي المصنوع من أعواد الخيزران الطرية قد تحول إلى كرسي فخم مذهب، منجد بكل أنواع الحرير التي يمكن للمرء أن يتخيلها. كرسي يشع منه نور، يملأ القاعة بالأبهة والعظمة، كرسي عرش حقيقي...

تسللت الفكرة إلى عقل الممثل رويدا رويدا. نعم، عليه أن يمثل دور أحد العظماء. هذا الكرسي هو الذي أوحى إليه أن يمثل هذا الدور... ركض الممثل وهو يصرخ فرحا باتجاه الكرسي: أشكرك.. أشكرك مال على الكرسي وراح يغمره بالقبل ويقول: أنا مدين لك بهذه الفكرة أيها العزيز.. وراح يقول لنفسه معاتبا: كيف نسيت أن تلعب هذا الدور منذ البداية.. أي شيخ أحمق أردت أن تمثل، أو عاشق خائب أردت أن تشعر بمشاعره أو رجل تعب.

كان عليك منذ البداية أن تمثل ما أنت بصده الآن.. نعم يا سيدي، علي أن أمثل دور.. دور.. لا يهم. الجميع دورهم عظيم، لدينا الملك والجنرال ورئيس دولة..

هذا هو الدور الذي علي أن أمثله أمام اللجنة الفاحصة..

ومع تفجر الفرح وتوقد المشاعر وطغيان العواطف في أعماق الممثل. كان يتساءل: ولكنك لم تكن في يوم من الأيام ملكا أو جنرالاً أو رئيس دولة. فكيف ستتقمص دور هذه الشخصية لتقنع اللجنة الفاحصة بدورك؟

لم ييأس ولم يقنط أمام تساؤله، إنما قال بقوة وغضب، سأقنعها بحذائي هذا، أنا الملك! أنا الذي سآمر اللجنة وليس هي...

ظل يتحرك في كل الاتجاهات، لا يريد أن يقف. كان يخاف الوقوف. شعر في وقوفه إحباط همته. ومع احباط الهمة تأتي الهزيمة. لن أهزم! أنا الجنرال! يجب أن أمثل هذا الدور. يجب أن أعرف لماذا يستمد قوته من الكرسي الذي يجلس عليه. لماذا يجلس الملك بثقة على كرسي العرش؟ ولماذا يقتنع الجنرال بأن الكرسي هو الوحيد الذي يعطيه القوة والهيبة؟

وأراد أن يعرف الجواب. فجلس على الكرسي وتابع: هذا الكرسي يمثل له الجبروت على ما يبدو؟ يمثل أيضا القوة والأمان والهدوء وحسن التصرف! يجب أن أتخيل كيف يعيش الملك تناقضا صارخا ما بين حياته أمام الناس، أمام رعيته. كيف يفرض الهيبة على جماعته وبطانته. إنه يقتل ببساطة، يسيل دم من يريد دون أن يسأله أحد ما لماذا؟ إنه يرفع من يريد إلى الأعلى، يجعل من التافه عظيما، وأيضا يخفض من يريد إلى الدرك الأسفل... يعرف كل صغيرة وكبيرة في الأمور المتعلقة بأمن كرسيه، وفي الوقت نفسه يجهل كل الأمور المتعلقة بأحوال رعيته..

نعم، يتابع الممثل: يجب أن أعرف أهم ما يشغل ذهن الجنرال، ماذا يحب وماذا يكره، يجب أن أعرف كيف ترتجف أصابعه وتلتوي شفتيه السفلى في حالة الغضب التي يمكن أن يعيشها. يجب التركيز في أثناء التمثيل على حركات أصابعه لأنها خير دليل على انفعالات الجنرال. يجب أن أظهره بمظهر الأنيق الذي يخفي تحت أناقته مخالب وروحا انتقامية..

يجب أن يكون في اختياره لألوان قمصانه وربطات عنقه شيء من الجنتمان.. نعم إن اختياره لألوان ثيابه التي يرتديها في المناسبات مهم جدا. مثلا المناسبات الوطنية. ما هي الألوان التي يختارها، وفي المناسبات الدينية أو المناسبات القومية ومعاركها، هنا برأيي يجب أن يكون اللباس بسيطا، لأنه لا يمكن له أن يظهر في لباس رسمي وهو يتحدث عن أشد المعارك هولا أمام الأعداء...

دار الممثل حول الكرسي وتابع: وفي الليل بماذا يفكر؟ لاشك أنه يخاف المفاجآت والتوقعات. ماذا لو خرج فجأة إنسان ما شاهرا المسدس في وجهه؟ ماذا لو استيقظ على قرع كبير على باب الغرفة التي ينام فيها في قصره ثم يأتيه شخص يقول له: قم. لقد أطيح بك.. هذه المخاوف يجب أن أجسدها في كل حركة من حركاتي وأنا أمثل دور الملك أو الجنرال وهو جالس فوق الكرسي. يجب أن أقوم ببعض الحركات الايمائية توحى للجنة بأنني بثت العيون في كل

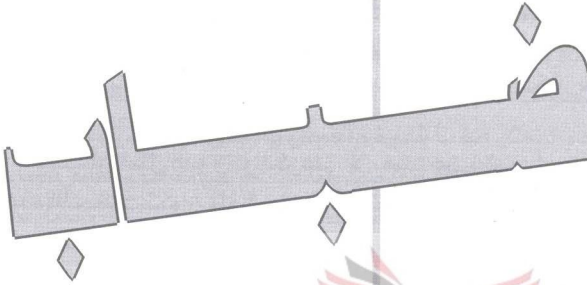
الأماكن القريبة من الكرسي والبعيدة عنه أيضا. ويجب أن لا أنسى كرم الجنرال على رعيته بين الحين والآخر في المناسبات... وأيضاً عليه أن لا ينسى أوضاع حاشيته في إصدار الأوامر والمراسيم لتستفيد منها مادياً ومعنوياً.. هناك التسامح مع المناوئين له، يجب أن لا تنسى إظهاره في بعض قراراته فيطلب من الناس أن يتوجهوا إلى قصره لتقديم الشكاوي والالتماسات وأن يربط أحلام الفقراء بحلمه الذي حققه عندما كان فقيراً.. فقد سعى وجد واشتغل من أجل خير الناس منذ نعومة أظفاره كما يقولون - أنه يمثل لهم الخلاص والأمل والتفاؤل.

كان العرق قد تصبب غزيراً من الممثل عندما وقف عن الحركة. سمع وشيشا في أذنيه عندما توقف عن التفكير. مالبث أن تابع: كل هذه الحالات يجب أن أعبر عنها وأنا أمثل دور الملك أو دور الجنرال. كما يجب أن أفعل بين حياته الداخلية وما يعتريها من الصراع والخوف، وبين حياته الخارجية الهادئة الموحية بمستقبل مشرق..

يجب أن أمثل الدور، والكرسي لا يغيب عن نظري لحظة واحدة، لأن في مثل هذه اللحظات تكون المفاجآت التي تؤدي إلى المآسي.. حتى لو اضطرت إلى الحركة الكثيرة في أثناء تمثيلي، يجب أن أسحب الكرسي ورائي، يجب أن أشعر بحركته خلفي لأطمئن أن أحداً لن يستطيع الجلوس عليه.

أعتقد أن مثل هذه الحركات رغم أنها غير واقعية إلا أنها موحية. يجب أن أستعمل، وأنا أمثل أقصى حالات التخيل في الحب والكراهة والحرب والسلام، في الفوضى والاستقرار، في الأمان وفقدان الأمان... يجب أن يكون التخيل رائدي وأنا أمثل دور الملك أو الجنرال وهو جالس على الكرسي، ومتشبه به بأظفاره وأسنانه..

عندما وصل الممثل إلى هذا الحد من التفكير جلس على الكرسي ليرتاح وهو يغمض عينيه ويتخيل بعض الوجوه التي رآها في الصور والتلفاز والسينما للملوك والجنرالات من أجل أن يتخذ من إحداها قدوة له في أثناء التمثيل أمام اللجنة، من أجل أن تشعر الأخيرة بأنها أمام جنرال حقيقي.. وليس أمام ممثل!



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

• قصة: ممدوح عزام/سورية

يقف أبو يوسف بين أرتال أثلام العدس الطرية المضاعة بذبالة الشمس الغاربة، يرعشه خشيش حرباء تسعى بين بقايا الأعشاب، واختلاج الماء في القناة الضحلة، وخريره فوق الحجارة الناتئة المخرمشة.

تعبان، تنذره السماء التي يطل منها قمر وحيد مضرب، فيغرر عينيه في الأفق الغربي المغلق، في قوس الصخور المتشقة المشظاة في الشمال، في الأرض الحمراء المتلفة بنثار الصمت والتوجس يوغل حزن في أعماقه، فيتمتم: «خلص!» ويضيف: «وبعدين؟»، يدان فارغتان وبطن ضاو.

تأمل يديه، بدتا له في العتمة التي تغشى الكون، نحيلتين، كأصابع المذرة. يوقن أن نصيبه من هذه الدنيا قد انتهى، وأن الرواق الطويل الذي مضى به في الحياة، أوصد الآن، يرتعد، ويرى في المنحدر قرار أهل القرية الذي أبلغوه إياه منذ ساعة، كأنه مكتوب في لوح القدر: «انتهى يا بويوسف. من اليوم ما عاد بدنا ناطور!». مثل حكم بالإعدام.

يقعد، ثم يقوم، ثم يطأطئ رأسه، ويريح فمه إلى قبضة يده غارقا في سعال

جاف طويل، يتخلله عواء يخرج من حنجرته الذبيحة المجرحة، يتكئ إلى جدار كرم منك.

يداه معقودتان إلى حضنه.

ظهره تحفر فيه حجارة الحائط.

وبئر عميقة تخرخر هناك في الصدر.

يخرج سيكاره، يشعلها، يرشفها، ينفث نفسا طويلا ثم يراقب بعينه المهتاجتين دخانها المتقاطع المتكسر في الفضاء.

يرى أبا نجيب مارا، يناديه، ثم يسير معه.

«ما عاد بدهم ناطور! بطلوني!» اشتكى العجوز.

«عرفت!» قال أبو نجيب بفقر، ثم مسح شاربيه بمحرمته، وأضاف:

«بخاطرك».

«وين رايح؟» يسأله بلهفة.

«لعدد حسين، بدي بيع النعجة».

«بتبيع حلالك؟».

«الله يستر، ولا أبيع ثيابي» دمدم وهو يمضي.

يزفر هواء قلبه، يدخل أصابع يده في صدره، ويحك أسفل الثدي، يذهل للمس الجلد اليابس المشدود، لنتوء العظام الواهنة، يحس، للمرة الأولى في حياته، أنه لا يقوى على السير. تؤلمه فخذة هناك حيث طعنه سلمان قبل ثلاثين عاما. يستولي عليه شعور بالاختناق، والضيق ثم تفتر همته ويصيبه الدوار، وهو يجيل عينيه في القرية التي تظهر في غبش المساء، مكتومة صامتة. بماذا تفكر؟! هو يفكر في أمسه الذي أمضاه فقيرا معدما. ينظر زرع البلدة وكرومها. يفكر في غده، يهلع من الأيام التي ستأتي، ولا يعرف إلا الله نهايتها، وكيف يعيش بكيس من الطحين، ومُد من العدس والبرغل، وبضعة قروش شائخة؟.

يعروه رعب، يرى شبح إنسان، فيصرخ:

«وش الزول؟»

«صاحب» أجابه صوت مطمئن.

«مسيك بالخير يا بوزيد». يقترب من الرجل: «ما عاد بدهم ناطور! بطلوني!».

«عرفت!» همس أبو زيد «احمد ربك أنك عايش!».

«الحمد والشكر لله!».

«بك شي؟».

«لا» يقول بلا أمل، ويرى في اللحظة ذاتها ضوء اللوكس في دكان أبي منصور، يصعد الطريق الترابية، لاها، متعبا، هناك يجلس على كرسي قش صغير متآكل، ويقول، بينما وشيش اللوكس يصدعه:

«ما عاد بدهم ناطور! بطلوني!».

«عرفت!» قالو أبو منصور، شكرا لله لأن لهجة الرجل بدت حزينة، فأضاف:

«صار الناس بلا شرف» لكن الدكنجي تلهى بدفتر حساباته ثم أغلقه فجأة،

وحمل قطعة خشب غامقة وقال :

«تلعب الضامة؟!».

«هذا وقتها؟ يا رجل! اليوم طردوني!» يقول الكلمة مثل من يخرج سكيناً من

حلقه، فهز أبو منصور رأسه، وقال :

«تعال! اللعب! شو بتساوي يعني؟!».

«ولا شيء».

ينهض عن كرسيه، غير مصدق، ثم يمضي متثاقلاً مقهوراً، يدق قلبه بعنف،
ويزدحم صدره بذلك الوجيب الثقيل، يشعر أن حياته ما كانت سوى جرة
فارغة، كسروها الآن، وقذفوا بشظاياها هباء في الهواء.

صحيح؟ ما عادوا بحاجة إليه؟! يمكن. لأن أنفاسه صارت تتلاحق. صار
يلهث، ويتراخي، ويتعكز على عصاه. لقد شاخ.. يجلله الخوف وهو يفتن لهذا
مرة أخرى، موقناً أنه لن يستطيع السير في السهب الواسعة بعد اليوم. لن
يصرخ في الليل مفرعاً بنات آوى، لن ينادي بصوته المججل تلك النداءات
الغامضة المرعبة التي تذعر الكائنات، وأنه الآن لم يعد لديه ما يفعله، سوى أن
يحصي بهذه الأصابع الناحلة ما بقي له من المكابدة، والانتظار الكليل، وتداعي
حيطان العمر. آن آوان العودة.

في البيت. كانت أم يوسف تقعد في الفراش، يدخل آسفاً.

يجلس، ويطأطي. ينكش بعصاه الأرض، يقول بأسى:

«ما عاد بدهم ناطور! بطلوني!».

فتستدير، وتستلقي، وتقول قبل أن تغطي رأسها:

«عرفت!».

× × ×

قصص

قصيرة جدا



● نضال الصالح / سورية

ARCHIVE في البدء كان الجرح

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

وأبي الذي كان غائباً في بلاد بعيدة يقول إن الأرض ضاقت بفرحته عندما وصلته برقية عمتي، فأوسعها رقصاً، وحبوراً، ونشوة، ثم دعا كل من يعرف إلى عشاء عامر، لكنه ما إن بدأ الإعداد لاستقبال مهنئيه بمولوده البكر، حتى حاصرت نيران الموقد من كل جانب، فالتهمت نصف وجهه.

وتضيف أم سعيد ولادة الحارة التي ترددت كثيراً، كما روت عمتي فيما بعد، في استكمال مهمتها قائلة إنني كدت أختنق في رحم أمي، وكادت أمي نفسها تودع الحياة قبل أن أشنف أذنيها بصرختي الأولى.

وحين أطلقت صرختي تلك اندفعت جدتي لأمي فأخذتني بين قبضتيها الياستين وأنشبت زغاريدها في فضاء الدار، فتداعت النسوة مهلات، مباركات، ثم ما لبثت جلجلة عمتي العاتية أن مزقت غبطتهن تلك وهي تهوي إلى قاع البئر الذي كانت تنضح الماء منه.

وتتابع: كنت تضرب بساقيك في الفراغ، فتزيد الصخب الذي اشتعل في الدار ضراماً، وببيدك اللتين لم أر مثلهما فيمن اندلق من أولاد بين كفي كنت

عصيا على الامتثال لأسر اللغة البيضاء التي طررتها جديتك لأبيك لك منذ كانت أمك في أيام حملها الأولى، وكنت مأخوذة بعينيك المهرولتين في فراغ الغرفة الصغيرة كأنما تستعجلان التعرف إلى كل شيء. وعندما كنت أقول لها: - ما أبلغك يا أم سعيد! وما أشد فصاحتك! - كانت تقول:

- بعض مما أعطتني الأيام، فليس بالكتب وحدها تكون الحياة يا ولدي يا عرفان، ليس بالكتب وحدها تكون الحياة. ولذلك كثيرا ما كنت أنصرف إلى أم سعيد، فأمرغ روعي بفضة الحكمة التي كانت تقطر من بين شففتيها الهرمتين، أستمطر بها ما ينقذ روعي من عادات الوقت، وما يصد عنها غائلات الحزن.

جمرا الأسئلة

وكانت مريم تلح في الأسئلة، تستطلع ما تنزه قروح القلب من هزائم، وخيبات وانكسارات، لتأخذ بيدي إلى المشتبه من الحلم، لتزمل روعي بما يقيها مخالب الوحشة، ولتدثرها بقرنفل الأمل، وعندما كنت أقول لها: - (إنهم يقتلون الجياد) يا مريم. كانت تسأل:

- من يا عرفان؟

فيغص حلقي بما لا أقوى على الجهر به، تصاعد في رأسي ذكرى تلك الليلة التي أويت فجرها إلى أم سعيد ناشجا بصوت لا يسمعه سواي، مثخنا بأثار وقع قبضاتهم وأخذتهم على تضاريس جسدي كلها، وكانت أم سعيد تنضو بيديها الرؤومين عن رأسي، وتحت عيني، وفمي ما تخر من دماء، وهي تقول: - احفظ لسانك يا عرفان، احفظ لسانك يا ولدي.

نظافة

ثم دفعت بالقصيدة إلى مسؤول الصفحة الأدبية في الصحيفة الوحيدة في المدينة صلاح كزبرة، فأكد بحماسة أنها ستكون قصيدة العدد القادم، وأضاف بحماسة أكثر أنها ستكون فاتحة لقصائد أخرى على أن أكتبها فيما بعد. وبحماسة أيضا، ومنذ أن فتق الصباح أول ياسمينية للضوء، اشتريت بكل ما ادخرت لشهر كامل عشرين عددا لأوزعها على الأصدقاء، وعندما رميت بأرقي الذي كابدته ليلة كاملة في انتظار الصحيفة على أول مقعد في الحديقة، وأخذت عينايا تلتهمان السطور قرأت:

«.. عرفان سعد الذابح: قصيدتك غير صالحة للنشر بسبب ما يتراكم فيها من .. نظفها جيدا، وأهلا بك صديقا دائما لل..»

وللتو تذكرت أن كزبرة ذاك كان مسؤولا عن النظافة في المدينة قبل أن يعين مسؤولا في صحيفتها الوحيدة، ولم أكن أعرف أن من مهامه الجديدة تنظيف

هذه المدينة من الكتاب، والشعراء، والمفكرين، والفنانين، و... و.... أيضا.

بدايات

- . وعندما رأنتني أمي. موغلا في الوحدة، غائضا في قرارة ما يتراكم أمامي من الكتب والأوراق، قالت:
- أي بني، لماذا تدفن رأسك في الكتب دائما؟
- فتدخل أبي قائلا:
- دعيه، فقد تلد الأسرة مؤذنا.
- وعندما ظللت لاثذا بسرور الكلمات المتباسق تحت ناظري، تابعت:
- سيفقد الولد عقله.
- إذا ما حدث ذلك، فهذا يعني أنه يمتلك عقلا.
- لكنه وحيدنا.
- فمسح أبي بيده على نصف وجهه المحروق، وكأنما الصوت الذي غادر فمه كان صاعدا من قاع بئر سحيق قال:
- عادة تبدأ الأشياء بواحد.

نتيجة أولى

- .. ولم أكد أكمل تحية الصباح لأبي عبدو، ومسؤول الاستعلامات في المؤسسة، حتى دفعني بمغلف صغير محكم الإغلاق تماما، فضضته:
- «السيد عرفان سعد الذابح...»
- .. وقد رأينا، لضرورات المصلحة العامة، نقلك إلى فرع المؤسسة في ... عليك الالتحاق بمقر عملك الجديد في اليوم الذي يلي تاريخ تبلغك هذا القرار وفي حال تخلفك سنضطر لاتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة...».
- البارحة تماما كان يمكن أن أحصل على مبلغ محترم، تداخلت الأصوات حولي:
- توقيعك يكفي.
- فرصة لا تتكرر.
- لا تكن مجنونا.
- طيب، اكتف بالسكوت.
- ستظل طوال عمرك وراء الناس.
- يا أخي، لم تحمل السلم بالعرض؟
- قل «نعم» ودع الباقي لنا.

حكمة القروء

... فلا تسأل «لماذا» يا عرفان، آلاف الأسئلة تدق رأسك، وما من أحد يقوى على الإجابة.. تتأكل، يفترس روحك صدأ قاس.. صحراء شاسعة تستطيل

أمامك، وما من أحد يقوى على الجهر بأنها تفتك بكل شيء... أنصاف كائنات إنسانية هذه التي تزحف في الشوارع، أشباه كائنات، ظل بشر، أضغاث بشر، لا يملكون وجوها، أفواههم مرتجة، ألسنتهم مقصوصة، عيونهم مقفلة، موبوؤن بحكمة القروذ: «لا أسمع، لا أرى، لا أتكلم» فكن قردا يا عرفان، كن قردا، أعلق أذنك، أغمض عينك، احفظ لسانك. احفظ لسانك يا عرفان، احفظ لسانك، وإذا لم تحفظه عرفنا كيف نقصه لك. احفظه يا عرفان، احفظه.

حكاية

.. ويتابع الراوي قائلا إن الملك استدعى أطباء مملكته جميعا، أجزل لهم في العطاء إذا ما خلصوا وحيدته من الأرواح الشريرة التي سكنت رأسها بعد أن أنحلتها وذوبت نضارتها معارضة أبيها الزواج ممن تحب، وأقسم برأس أجداده الآلهة أنه سيطعم جثة الشاعر الذي أحبته وأحبت قصائده للكلاب، وكان يدق أرض القصر بقدميه الثقيلتين، ويتهدد، ويتوعد كل من تسول له نفسه حفظ شيء من قصائد الشاعر.

لكن القصائد لم تدعن لإرادة الملك، إذ سرعان ما نبئت لها أجنحة قوية، صارت أسرابا من الطيور المحلقة فوق سماء المدينة، في نوافذ دورها البائسة وأحيائها المغلولة إلى الفقر والجوع والصمت، ثم صارت عاصفة عاتية، ثم دخلت القصر، ثم حملت الأميرة، ثم طارت بها إلى حيث... ثم...

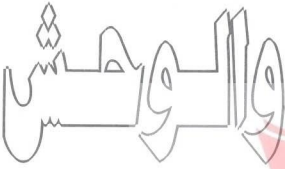
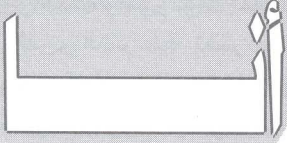
حلم
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

.. ثم قالت مريم:

- هل تحبني يا عرفان؟

وساهما في اليباس الجاثم على صدر الحديقة حولنا كنت آنذاك أحلم بامرأة ذات وجه مدور وساخن كرجيف من الحنطة الصافية، وعينين واسعتين كبحر، وجسد دافئ يمنحني الحب بصدق، ولم تكن مريم تشبهها أبدا.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قصة: أحمد عمر / سورية

ضبع أم ذئب أم ابن أوى؟
هكذا فجأة... انبثق من رحم العتمة كالطعنة فانخلع لظهوره قلبي
من مكانه انخلعا.

يارب.... أستغيث بك.

كانت مناويتي على جرّار «الكيز» القديم قد انتهت منذ ساعتين دون أن تأتي سيارة «البك آب»، كالمعتاد، لتبديلي بالسائق المناوب التالي، وعلى أمل قدوم السيارة سرقتني الزمن وأنا أدور بالجرار والمحراث إلى أن لفظ المحرك أنفاسه الأخيرة... رفرفت صفيحة العادم العلوي وهمدت، ضغطت زر الإقلاع محاولاً تشغيل المحرك فسعل وعطس ثم انخرس تماماً. ساد السكون الثقيل الصلب... شعرت لثوان بالراحة من ضجيج المحرك الهادر ومن الغبار الذي كان المحراث يثيره خلفي، لكن راحتي تلك لم تطل... عيون الثعالب كانت تلمع من حولي كطلقات نارية صامتة، تجرح من دون أن تسيّل الدماء، كنت أشعر بالمراقبة، وكان أمامي خياران، الأول أن أنتظر - جالساً في مقعدي في البرد المكشوف - قدوم السيارة الذي قد يتأخر لأسباب لا يعلمها إلا الله حتى الصباح، أو أن أعود مشياً إلى خيمة «الورشة» المنصوبة على تخوم القرية، وهي تبعد بضعة

كيلومترات وهو الاحتمال الثاني الذي فضلته على الأول تخلصا من قلق الانتظار والخوف والبرد... ولكن إلى أين سأتجه؟ وأين تقع الخيمة؟ عجزت عن تحديد وجهتي... نظرت إلى نجوم السماء الكثيرة مستنجدا... كنت قد ضعت.

على ضوء القمر الشحيح الكابي استطعت تمييز ربوة، ولولا أنه اليوم الأول لورشتنا في تلك المنطقة لاهتديت إلى الطريق الصحيح.. قررت أن أتجه إليها. لأستطيع من فوقها تحديد بعيتي. نزلت من مقعدي خلف المقود، فتحت صندوق العدة والخردوات المعدنية باحثا عن حديدة أتسلح بها من هجمات كلاب القرى الشرسة، تعثرت يدي، أول ما تعثرت بالقضيب الحديدي الذي نستخدمه لإطالة ذراع مفتاح البراغي ورأيت أن أضيف إلى القضيب قرصا مسنناً أسلح به يدي اليمنى، وأستخدمه بدلا من الحجارة التي يصعب العثور عليها في الظلام.

بدأت مسيرتي وطفقت أخب في المعطف الطويل، الثقيل، الفضفاض، يدفعني الخوف وتحفزني لهفة الوصول إلى بر الأمان... كنت أسير بخطوات لاهثة محمومة كأن في آثاري وحشا... وكان فعلا في آثري وحش... وكدت أسقط من هول الصدمة عندما اكتشفته.

زلزلت زلزالا شديدا...

لا أدري كيف تماسكت، وكيف ربطت جأشي وصمدت على قدمي... يبدو أن الخوف مثل كل شيء، إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، الخوف والشجاعة وجهان لعملة واحدة، بل هما نصفان في الوجه نفسه للعملة التي تدور كدولاب الناعورة، فيصبح، مرة نصف الشجاعة، في الأعلى، ومرة أخرى، نصف الخوف.. وهكذا، كأنني الدولاب يدور. وكنت أمشي وكأنني على الصراط، ذلك الجسر الشعري الممدود على ضفتي الجحيم، أي خلل في التوازن يعني السقوط في الهاوية... كنت أمشي مشدودا كالوتر ومنتصبا كهوائي الاستقبال، متنصتا إلى أدق الذبذبات التي يمكن أن تصدر عن الوحش. عيناى كانتا تعملان عمل عشر عيون، وسمعي كان يستطيع التقاط حتى تخلخلات الهواء التي يسببها الوحش بسيره، كان يسير بموازاتي على بعد أربعين مترا أو أقل متخفا عني قليلا، بخطوات ثابتة ومدروسة. ومحافظا على مسافة أمان لكلينا.

كنت أحاول الإيحاء له بعدم مبالاتي به، في الحين الذي كانت فرائصي ترتعد منه، وشعري منتصبا كما الشوك، وددت كثيرا لو استطعت الصراخ... للاستغاثة ولتخويف وترهيب الوحش، لكنني كنت أشك في قدرتي على الصراخ، حلقي كان جافا، وإن كان فيه بقية من صوت فسألظ معها أنفاسي الأخيرة... عدة عوامل كانت تعيق حركتي، تراب الأرض المفلوحة والحصى المتسربان إليه، والمعطف الثقيل الذي اختير، بالأصل، ليتسع لكل أحجام السائقين، والمتهدل على ساقَي.

يارب...

الأفكار تزخ وتتلاطم في رأسي... فكرة وحيدة هي التي تتبلور دائما: كيف سأنجو من الوحش؟

المعطف، قد تكون له فوائد، فهو يضخم مظهري وحجمي، وهو سميك سيققل من نفوذ الأنياب في لحمي، وقد أستخدمه كترس، أو ألوح به للترهيب... لو كان معي أعواد ثقاب أو «قداحة» لأشعلته وحملتها على سنان القضيب الحديدي... موقف كهذا لم يكن في الحساب... يارب... أنقذني؟! ترى هل سأعيش ويمتد بي العمر وأحيا لأروي ما يحدث لي كذكرى منسية.

يارب...

لو بقيت بجوار الجرار لاستأنست بضخامته وحديده... لو... لو... عشرات الـ «لو» تتهاطل عليّ مثل وخزات الشوك التي كانت تخترق لحم ساقي وطعنات الحصى الناتئة في أخصص قدمي.

يارب...

كنت أخشى أن يغمرني عليّ من الخوف، حتى من التكسر، كنت أدعو الله أن أظل صاحيا، وأن يثبت خطاي ويحميها من التعثر في وهدة، أو حجر... السقوط يعني أن أصير لقمة سائغة بين فكي الوحش.

فجأت انخطف الوحش كالسهم إلى الجهة اليسرى، التف من ورائي وغير مساره، صعقت، كاد الدم أن يتجمد في عروقي، زاغ بصري، وبلغ قلبي الحنجرة، أكون قد نوى الهجوم والانقضاض؟ أم هي مناورة، وددت لو استطعت البكاء. شفقة وندبا ورثاء لنفسي.

لن أكون طعاما سهلا يا ابن الـ... كنت أسبه وأشتمه بأقذع السباب والشتائم، وأخاله يسمع نجواي وما يجول في سريرتي، وكنت بالشتائم أوجج جمرة الشجاعة الذابلة في نفسي وأنقوى بها.

يارب...

كيف سينقذني الله؟... هل سيرسل ملاكا ليخسف به الأرض، أم سيرسل سيارة ضالة إلى هذه البرية المقفرة، أم سيبعث أرنابا قربانا لي... فكأي بدءا يؤلمني من العض والكز، والقضيب الحديدي، الذي كنت أعتصم به اعتصام الغريق بالقشة، يكاد ينزلق من يدي من كثرة العرق. الربوة اقتربت... صارت على مرمى حجر... وفي اللحظة التي قررت فيها أن أركض باتجاه السفح جرى الوحش وسبقني إلى الأمام... كأنه يقرأ أفكاري؟

يا إلهي... إنه يدرك أهمية الربوة كموقع دفاعي...

لقد حانت لحظة المواجهة... لحظة النهاية... لحظة الإعدام... تقدمني بمسافة، ثم اندار فلمعت عيناه كنصلين.

فكرت في التخلص من القرص الحديدي لاحسن استخدام القضيب الثقيل بكلتا يدي، فلأرمه رمية إرهابية، تخوفية. اقترب، وعندما أصبح على مرمى مني، رفعت يدي وصرخت وأنا أقذف بكل قوتي، صرخة ارتج لها السكون.

- يا انا انا .

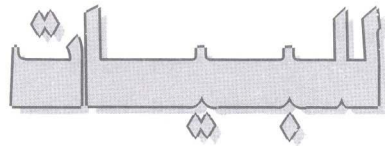
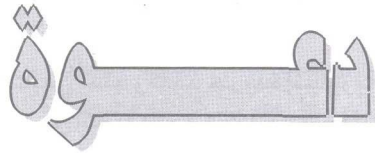
ومع صيحتي انطلقت صيحة عوائية مدوية ومتأله، صيحة وحشية لامعة تكاد تنير الظلمة..
لقد أصبته.

كانت رمية محكمة، لم تكن رميتي... إنها رمية الله...

تركته يتلوى ويهمهم وعدوت متسلقا الربوة وأنا ألهث، عندما بلغت القمة، انزلت قدمي في الحذاء بسبب عصارة الطين والدم، هبت عليّ نسائم باردة، تناهى إلي نباح كلاب، فانشرحت لنباحها كما لم أنشرح في حياتي، نباحها الذي طالما خفته، والذي من أجله تسلحت بأسلحتي هذه، كانت الكلاب قد التقطت عواء الوحش كرسالة تهديد فجاءت تذود عن حماها... نباحها كان يقترب، لاح في الأفق سواد، يبدو أنها خيام الغجر... تنفست الصعداء... لقد نجوت.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



● قصة: فؤاد حجازي مصر

أزاح الستارة عن الشباك قليلا، لمحّه واقفا، على الرصيف المقابل، يتأفف من البرد.

هل أدعوه للعشاء...؟!

سيظن أنني أسخر منه، ومن يدري.. ربما ارتفعت أصواتنا في هذا الهدوء الشامل، أو جعلنا الجيران يطلون من نوافذ بيوتهم.

لا.. ليس لي حق.. كان من الواجب أن أسكن في منزل به مقهى، أو بالقرب من مقهى، حتى أسهل له مهمته. حسنا سوف أبحث عن شقة أخرى، يجد بجوارها مكانا يحميه من البرد. ولكن.. كيف أعثر على المسكن المناسب، وأزمة المساكن مستحكمة. عليهم مساعدتي.. فهل يفعلون...؟!

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه، وحبك بطانية حول جسده كعباءة. سار وهو يكاد يتعثّر، فالبطانية لا تسمح لقدميه بالخطو الواسع. مديده، محاذرا انحسار البطانية عن كتفيه، وجعل يصنع كوبا من الشاي.

أحاط الكوب الساخن براحتيه، أحس بالدفع يسري في أصابعه. مال بأنفه، واستنشق، مستمتعا برائحة الشاي. اقترب من النافذة، وأزاح الستارة قليلا.

أطفئ النور واذهب إلى سريرك. مادام يرى ضوءا لن ينصرف. من قال هذا. لقد أطفأته فعلا، وغفوت ساعة وبعض ساعة، ونظرت فوجدت صنما لم يتحرك. كف إذن عن إزاحة الستارة بين حين وآخر، فإذا لم يلاحظ حركة، سيظن أنك نمت وينصرف.

اضطجع على جنبه، وضغط بيده كمثرية مدلاة فعم الظلام، ضغط مرة أخرى فغمر الضوء المكان، مديده وأزاح طرف الستارة وعلقه على مسمار

صادفه في حافة النافذة، بينما انطلقت قهقهة عالية، رنت في حجرته الخالية إلا منه، كقهقهة شيطان عريد.

دائماً يتلبسني اللعين، عندما يقطنني أحدهم. اليوم في وسط المدينة، عندما كنت أقلب في الجرائد، أحسست -ولست أدري كيف- بعينيه مسطرتين في ظهري. تجاهلته فاقترب ليرى ما سأحمله.

وفي الحال عرّب الملعون، ووجدت أصابعي تمتد وتأخذ جريدة إنجليزية، وزيادة في السخرية، التقطت جريدة، لا يتفق اتجاهها مع ميولي.. وجعلته يرى عنوانها، وحينما تأكدت من ذلك، سرت وداخلي يصخب ضحكا وانبساطا.

واستمر الشيطان اللعين اللهو، فقادني إلى اللف في الشوارع، بدلا من الذهاب إلى المقهى.

جعلت أسرع حيناً وأبطئ حيناً حتى لا يفقدني، ولم ألتفت خلفي، فقط ألمح بطرف عيني عندما أخرج من شارع إلى آخر، فأراه وهو يلهث وقد تعب من المشي، لا تساعده ساقاه المعوجتان، والظاهر انبعاجهما من بنطولونه الضيق، عند سمانتي الساقين. وبأن منظره «مبقلظا»، وهو يدفع كرشه أمامه، وهو ليس كرشا معتبرا، إنه نتوء بارز لبدانة في منطقة الوسط، لا تتناسب مع نحافة ساقيه ولا نحول كتفيه وبانت رأسه بشعرها الخفيف المهوش من الجو العاصف المغبر، كضفدع خارج لتوه من الماء، ألصق أحدهم برأسه شوشة جزرة.

وكلما لحظت لهاته، كلما استطاب شيطاني العبث، وجعلني أسرع في السير، والمروق في الميادين بين العربات والأوتوبيسات المسرعة، والاندساس بين جموع المارة عندما تفتح الإشارة لعبور المشاة. حين ألمح جسرا أسارع بصعوده، وبعد بضع خطوات يغريني شيطاني بالنزول، فأواجهه، وقد اضطرب فجأة، فأضحك ما شاء لي الضحك..

ها أنت تضحك.. ما أدراك أنه لا يضحك منك.. أليس من الجائز أنه يسخر منك في نفسه ويقول، هذا القصير يتدحرج بين الناس «كالزبلة»، بحذائه ذي النعل السميكة. لقد تغير هذا الطراز منذ زمن، ولكنه لم يغيره ليخفي قصره. ألم يكن أصدقاؤك في المدرسة يقولون عنك «زبلة ويقاوم التيار» أترأه يقول هذا في نفسه.. وهل يسخر مني مثل زملائي في العمل.. «أبو راسين.. مزوغ على فين».. إنني لا أزوغ ياسادة.. فقط أخذ كشفا بالأعطال، وأنجزها بسرعة.. لم يحدث أن سألت المياه في موقعي وتركتها وانصرفت. وحين أنهى عملي مبكرا، أستغل الوقت في القراءة بدلا من الجلوس في مكاتب رطبة، أنهش سيرة الخلق.

أم تراه يسميني الشمامة.. كما أطلق بعضهم علي، أم تراه يضحك من فرقي لشعري على الجانبين لأخفف من وقع استطالة رأسي...؟! وحين عجزت عن استشفاف فكرته عني، شعرت بالغيظ، وتطوع شيطاني

يأخراج هذا الغيظ عليه. وجدت سينما فدخلت، ليس إلى صالة العرض، لكن لملتدي جانبي لأشرب قدحا ساخنا، ولما كان باب الدخول واحدا، فقد خُذع ودخل صالة العرض. خف غيظي وأنا أتخيل منظره في عتمة الصالة يبحث عني. حين جاء بعد كشفه للخدعة، أسرعت خارجا حتى لا أدعه يجلس ويستريح.

وجدت أمامي مسجدا فدخلت، ترى ماذا سيقول لرؤسائه.

- دخل مسجد كذا.. وقت صلاة العصر.

- إما أنك كنت نائما، بينما كان هو يمرح، وإما أنك مسطول.

- يا أفندم رأيته بعيني هاتين.

- جرى في عقلك شيء

أم تراه تحدث معهم على هذا النحو

- دخل مسجد

- نعم..؟

- دخل مسجدا ساعة..

- يابني.. لم يركعها أبدا.

- يا أفندم أقسم لك.

- في أي خربة نمت وجئت تغفلنا؟

مد شفتيه ممتعضا.. ألا يأخذون «بدل شتيمة».. يأخذون بدل شتيمة إذا

تعرضوا لبذاءة من أمثالك، وليس بدل تهزيء من رؤسائهم.. وما الفرق..؟

نفض الأمر عن كاهله، وهو يكاد يصيح... وما أدراني أن الأمر سيتم على

هذا النحو أو ذاك..؟

نزع الغطاء.. نظرا من خلف الزجاج، كاد الليل يتتصّف، وثمة ريح تجمد

الأطراف، وربما أمطرت.

سأدعوه ليشرب معي كوبا من الشاي.. ولكن.. كيف أدعوه؟ والمفروض أن

كلا منا لا يعرف الآخر..؟

سيتّعدّ المشكل أكثر، وسيظنني أسخر منه، خاصة بعد لفه ورائي طوال

النهار.

كثيرا ما نهرت شيطاني اللعين، فكان يجيبني ساخرا: أليس هذا عمله، وألا

يتقاضى عليه أجرا، فليحلل لقمته إذن، فأرد عليه موبخا: وهل كان الناس

يأكلونها بالحلل...؟ وما رأيك في آلاف المستخدمين الذين لا يعملون شيئا في

مصالحهم الحكومية، ويتقاضون أجرهم آخر كل شهر؟ يجب الخبيث: ليس

لنا دعوة.. فلا أقنع وأقول وما رأيك في الذين يأكلونها سهلة، يتحدث أحدهم

في التلفون، فتتنقل بضاعة لم يرها من زيد لعبيد، ويكسب آلاف الجنيهات

دون أن يتحرك من مكانه.. لا يستحي الخبيث: لسنا الذين نظمنا الكون.

سأنزل إليه، وأطيب خاطره. هل سيقبل..؟! ولو قبل، فمعنى هذا أنه يعترف

ضمنا، أنني دوخته طوال النهار. محال أن يعترف مثله بذلك.

إذن فلأرتد ملابسي، وحين أمر به، أدعي أنني فوجئت بوجوده. وبما أنه غريب في الحي، أسأله، إذا كان في انتظار أحد من جيراني، يستطيع أن ينتظره عندي حتى يعود، أو على الأقل حتى يمتنع المطر. وإذا لم يفهمها وهي طائفة، ويتجاوب معي..؟ لماذا أتعب نفسي..؟ من أرسله يحل له إشكاله.

وهو يسوي البطاطين، سمع نقرات المطر على زجاج النافذة. أطل فوجده يحاول الاحتماء تحت شرفة البيت المقابل دون جدوى، فالرياح تحرف المطر فينزل بزاوية تطوله في وقفته.

الغبي لا يود الاحتماء في مدخل بيتنا، لا.. ليس غبيا، فماذا يكون موقفه لو نزلت فجأة. إذن فليحتم في مدخل البيت المواجه. لو فعل لغابت شقتي في ناظرية. فليراقب مدخل عمارتنا. فمن أين أخرج لو أردت؟ لعلهم أفهموه أننا عفاريت ونستطيع أن نأتي بغرائب الأعمال، وعليه ألا تغفل عيناه شقتي. رجل ينفذ التعليمات حرفيا. رجل مخلص في عمله.

غزته نوبة متواصلة من الضحك، لم يكن يقطعها إلا ليتفكر في هذا الإخلاص في العمل، ثم يعاود الضحك. وبغثة هتف في نفسه: يا لها من فكرة بنت حرام. ذهب إلى صفيحة الزبالة. أخذ لفافة منها. ألقاها عليه.. وبينما لم يفق من الدهشة، ناداه لينظف له رداءه.

ناولته منامة، وأخبره أن رداءه لن يجف في هذا الجو الرديء، إذا جف، إلا في الصباح، ولم يعن بسماع رده، ودخل مطبخه، ليعد كوبا من الشاي.



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

خواء ليل

● مصطفى عطية جمعة / مصر

يتسرب الظلام من طاقة الحائط
متحشرجا، مذيلا ببقايا ضوء
المغربية. قرفه يتمدد في جبينه.
تتراقص ذبالة مصباح الجاز.
تقرقش من اضطجاعه، هرش في
شعيرات ذقنه.

«الولية تأخرت...» تلمس
السيجارتين اليتيمتين في جيب
الصديري. «كل هذا تزور أمها، داهية
تأخذها مع أمها».

اهتز وجهها المجعد. كطيف. على
ذبالة مصباح الجاز، قامتها القرمزية
جانب طوله الفارع. همسات نسوة
الحارة المتربعات أمام بيوتهن،
حينما يسيران في أوبتهما في
العصاري من السوق. انثناء ظهره
تقترب من قصر امرأته. تساعد في
بيع الثوم والبصل. لعل نفخات
سيجارته تتعمق نخاعه، لتسكن

تنميل الصداع به.

الهلال - من الطاقة - مختنق بين سحابات الليل. ارتعاشة الذبالة لنسمات باردة. زفيره كالنحيب، تأفف لرائحة فمه المطبق، «الولية بنت.....» كانت ثرثرتها تملأ الشقوق، وتطرد هوام الغرفة، تزاحم العناكب بضحكتها المحوفة، الكاشفة عن بقايا أسنانها.

الوحدة: خواء وسواد. دفقات سعاله، تدلّي لسانه. هل ارتكنت جوار أمها؟ أين كفها المعروق الخشن، وهي تدعك صدره ليلاً؟ وهمسها بالدعاء المكرور. ذراعاه في جلبابه المعلق بمسمار في ظهر الباب. «هل قد.....؟» تضيق الحارة بأجساد النساء القابعات، وكلامهن. شريط القطار المتجه لأعماق الفلاحين. تنلوى أعضاؤه ليلاً على صفارته، وتمتمات «نفيسة» دعاءً على السائق والمحافظ الذي نقل الشريط الحديدي وعرباته المتهالكة، بعيداً عن فيلته. وصل بيت ابن خالتها:

-أبا سيد، أبا.....

-نعم...!

يرد من جلسته في الدور الثاني، دون أن يطالعه، يعلم أنه يتربع بسرواله فقط.

-نفيسة عندك؟

-لماذا؟

-كانت راحت إلى المقبرة من أول النهار.

-قد تكون عند أم فتحي.

لم تهتز ترهلات جسد أم فتحي عندما دفع باب بيتها. تحركت جفونها من وراء نظارتها، كاشفة عن رمادية أحداقها. تسأولها له، ثم حركة رأسها نفياً. الظلام جاثم بجنبات حارة أقاربها. من على عتبة بيتها، الذي يسد نهاية الحارة، قالت «أم حسني»:

-لمحتها أمام قبر أمها، حتى أنهيت زيارتي لأعمامي ولأبي، ولم تتحرك.

الجوع يتقلب بأمعائه. الأرغفة السمراء التي «تقمّر»ها على «الكانون»، ودفع يتسرب لعظماته المتيبسة، حكايتها عن السوق والحارة الممتزجة بالخبز المحمص وهو يتسمع إلى الراديو ذي الأحجار. نسمات الليل المتربة، تدلك بزيت الزيتون ركبتيه، وهي تهمس له، هل ثبتت الشهوة فيهما؟ تطاير العظام المفتتة. المقابر: انحناءات طرقاتها وتواءت أحجارها التي تسد الغرف السفلية. حكايات أمه عن الجان ساكنيها. تقول «نفيسة»: -الجان لا يتجاوز مع الصالحين.

ها هي مقبرتهم. أختها وأمها، منذ سنوات لم يخطُ عليها.

هل حركت الحجر الدائري، ودلفت؟

كانت تجمع خرقاً «لعلها تصلح كفناً» إذا همدت أنفاسها فجأة، حتى لا يتحير في خرجتها. تنبش أنامله، ربما يجدها أو «أتمدّد جوارها».

الطريد

● عمار الجنيدي

(الأردن)

كان يتلفت حوله بصورة غير طبيعية وهو يسير في الشارع مما أثار انتباه السابلة المارين والواقفين أمام المتاجر، فبدأ كمن فقد السيطرة على أعصابه، وأصابته حالة من الاضطراب النفسي...

موجة الانفعالات والهواجس تحكم قبضتها على تصرفاته ومشاعره، ويسيطر عليه ميل جارف إلى الانطواء والعزلة، فأثر الوحدة بعيدا عن الناس لأنه يعتقد أنه مستهدف من قبلهم. يعتقد أنهم يلاحقونه بنظراتهم، يريدون الانقضاض عليه... وهذا ما جعل أصدقائه يحجمون عن التوغل في علاقاتهم الاجتماعية معه، بل إنه فقد الكثيرين منهم...

منذ ما يزيد عن أشهر ستة دفع اشتراكا للحصول على صندوق بريد خاص به، وفي كل مرة يبحث في صندوق البريد عن رسالة غير موجودة، كان ينحي باللائمة على رقم صندوق البريد الذي يحمل رقم (13): لا سيما وأنه يعرف أن فكره بؤرة خصبة لهذه المعتقدات التي تتشائم من بعض الظواهر الطبيعية التي ليس للإنسان أدنى قدرة على تغييرها...

فكر كثيرا في حاله وأطال التفكير إلى أن استل ورقة وقلمًا من مكتبة والده، وراح يخط رسالة طويلة فيها من الأشواق والتمنيات بموفور الصحة واللقاء القريب أكثر مما فيها من أي شيء آخر،

وذيلها بأول اسم خطر على باله ثم أرسلها إلى نفسه...
وكان حريصا على أن يصطحب أحد أصدقائه الأقلاء كلما ذهب لتسلم
رسالة ما...

بحث عن أصدقائه لكي يرافقه أحدهم إلى البريد، لكنه أخفق في ذلك،
فاضطر للذهاب وحده...
كانت رسالة غريبة لم يكتبها هو، لكنه خمن أن أحدا يريد أن يمازحه بهذه
الرسالة..

ذهب إلى جدّه واستأذنه بأن يسمعه محتويات الرسالة، فسمح له.
قرأ بصوت عال: «عزيزي فايز: أما أن الأوان لتحطم قيود العزلة التي ترسف
بواقعك؟... أما أن الأوان لكي تخرج من هذه الدائرة الضيقة التي حبست نفسك
فيها، أيها السّجان السجين؟».

تنحّج الجد، ثم قال بشيء من الاقتضاب:

- أعتقد أن هذه الرسالة موجهة إليك...

جلس فايز قبالة جدّه وقال بانفعال:

- نعم يا جدّي وأعتقد أنك باعث هذه الرسالة، فالخط خطك، وهذه عباراتك...

امتعض الجد لسماعه هذا الاتهام، وراح يدافع عن نفسه:

- كلاً، أنا لم أكتب هذه الرسالة، بل إنني لم أكتب رسالة منذ زمن بعيد، حتى

إلى نفسي!...

دهش فايز من هذا الجواب، وقال وهو ينهض عن المقعد:

- حتى أنت يا جدّي، حتى أنت!...

لكن الجد لم يكثرث بهذه الملاحظة، بل أشعل غليونه وانحنى على

طاولة الشطرنج التي أمامه، فرتب قطعها، وراح يلعب الشطرنج... مع

نفسه!...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

قصة قصيرة

الجليد

يبتلع من الذوبان

مصطفى يعلى / المغرب

من أن تحدد هل هي طويلة أم قصيرة. انكشف في مقعد بالصفوف الوسطى. ولما طال انتظار إقلاع الحافلة التي بدا أنها لا تنوي الانطلاق أبدا، جأر لسانه بالاستياء من هذا التأخر القاتل، لكونه سيفوت عليه موعدا مصيريا. لكن السائق حدجه بنظرة باردة، متعللا في حزم محمض أنه لا يستطيع الانطلاق بالحافلة إلا إذا امتلأت عن آخرها، حتى وإن فات موعد الانطلاق بساعة أو ساعتين أو ثلاث، لا يهم، من غير أن يعلم أن الكل يعلم بأن فمه مملوء كذبا، إذ الجميع يعلمون أنه مسحور من طرف قبيلة مهربي السلع الأجنبية وما تيسر من الكيف، ممن يدفعون مقدما ومؤخرا في أريحية متناهية السخاء، لذلك فهو في الحقيقة ينتظر بعضهم ولو إلى الصباح إذا تطلب الأمر هذا. كما لم يخف على الرجل المتوسط أن في الأمر أيضا عطلا أصاب الحافلة، فقد أنبأته أعينه أن رجالا متسخي الثياب يتناوبون على الانبطاح تحت بطن

منذ أربع ساعات هي بمثابة أربعين عاما أو بالعكس، وحافلة المسافرين المتهالكة الآتية من مدينة القصر الكبير، غارقة بحوافرها الضخمة الحافية في الجليد، لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام، أو يتنفس محركها ثانية واحدة، بل إنها تجد لديها استعدادا أكثر للتحقق إلى الخلف بسبب انحدار الطريق، لولا بعض الحجارة التي وضعها مساعد السائق وراء عجالاتها لمنعها من ذلك.

كانت الحافلة قبل أن ينفخ السائق في بوقها ليجلجل بزعيق مزعج متواصل، في ذروة الليل، معلنا انطلاقها، قد تأخرت كثيرا كعادة معظم أخواتها، وكان أول الركابين رجلا متوسط العمر، لا هو مهزول ولا سمين، سحنته مزيج من السمرة والبياض، ثيابه ليست رفيعة ولا رديئة، ذو قامة مراوغة لا تمكن العين

الحافلة لعلاج بعض مصارينها
التالفة، فيما كانت ذاكرته تنعصر
لتجيب عن أين ومتى رأت أعينه وجه
السائق، إذ ألفاه وجها كريها مألوفاً.
وبالمقابل، جعل السائق ومساعد
وباقى الركاب منذ هذه اللحظة،
يرقبون الرجل المتوسط بنظرات
مستريية، شاكين تدريجياً في اتزانه،
حيث أخذت تصدر عنه بين الفينة
والأخرى حركات وهمهمات عشوائية
غير منتظمة.

لدى انطلاق الحافلة مع ظهور
الطلّاع الأولى للنهار، حدث فجأة ما
يشبه اشتعال فانوس سحري دافق
بمهرجان من الأضواء وفيض من
الألوان القزحية الزاهية. لقد كانت
عين الشمس بهالتها الوهاجة الهائلة
قد شرعت تمتص سواد الليل
وتضمخ الشفق ببهجة اللون
البرتقالي، وتبشّير الربيع
الفسيفسائية المترامية في تقاطع يمينا
ويسارا تتنفس بالسحر والروعة،
ناشرة نكهة عبقة ذات طعم فطير
بلدي مخبوز في ليل رمضاني،
وترنيمات الطيور البهيجة تصدح
هامسة بولادة يوم جديد متفائل
ساحر، فتتحف النفس برقة شاعرية،
وتفرح القلب بعذوبة الرنين
والإطراب. وفي خضم دبيب هذا
الرحيق المترع ما كانت عين الناظر
تدري هل الحافلة المهترئة تزحف إلى
الأمام أم تسير إلى الخلف، لكونها
فطساء لا تتمايز مقدماتها عن
مؤخرتها، وإن كان منظرها الخارجي
يوحي بأنها مرت بأمجاد غابرة.
الرجل المتوسط المأخوذ إلى الثمالة
بفتنة المشهد الجليل، التبست عليه

حقيقة الزمن هل هو وقت شروق أم
غروب؟ لا سيما وأنه انشغل بتشجيع
مدينته بنظرات مستطيلة ملاحقة
لأدق تفاصيلها المؤنثة، هي مزيج من
مشاعر الشهوة والحنين والرغبة
والبكاء، لذلك بدت له المدينة
بمرتفعاتها ومنحنياتها وتشعباتها
وتموجات أشجارها الكستنائية
وشطحات أضوائها الناعسة وتطويق
النهر الطيب المتلألئ كعقد لؤلؤ أثيث
لجيدها، جارية بنية خصبة
مضطجعة في انتظار نشوتها
الموعودة. وفي كبد هذه الغفلة،
راوغته رأسه واشربأت نحو غواية
رواء زمن غابر، متوغلة في تلافيفه
أزمانا تحتها أزمان وتحت تحتها
أزمان وأزمان، لإحياء صلة الرحم
معه، رغم انفلات تفاصيله المتكاثفة
من محاولة إمساك الذاكرة بها. تغير
مشهد مداخل المدينة ومخارجها.
وتلاشت بقايا البنايات العشوائية
البئيسة. نبث مكانها عالم بكر طازج
مؤثث ببساتين البرتقال المزهرة،
مزرکشة بكل ما ابتدعته الطبيعة من
ألوان، فواحة بأطيب ما في الكون من
رحيق وريحان، متخللة بكوثر رقرق
يراق فرحه من سواق ممتدة إلى
ينبوع ثر رجراج، تبينت عين الرجل
المتوسط خلال كل ذلك العنفوان
صبايا مطهّمت طريات ونسوة
مكتنزات ناضجات انسكب صفاء
المرمر وحمرة حب الرمان على
وجوههن الفاتنة، يتهامسن في غنج،
يتراكضن فوق العشب المندى بين
أشجار الفاكهة وسيقان الخرشوف،
خفيفات مزهوات كحمام أبيض،
مقهقهات منشرحات في احتفاء طافح

أقرب ما تكون إلى حركة الإنسان
الآلي، تتفرس ببطء شديد متمعن في
الوجوه. ساءلت صاحبها: «هل هي
حفلة تنكرية؟ في الأمام؛ أسد إلى
جانب فيلة، فيل إلى جانب دبة، وحيد
القرن إلى جانب نمرة، ضبع إلى
جانب كلبة، هدهد إلى جانب قردة..
وفي الخلف: ابن آوى، مع ثعلب، مع
حمل، مع عنزة، مع حرباء، مع قنفذ،
مع فأر، مع قطة، مع حمار...». ثم
قالت الرأس لصاحبها أيضا: «أي
سيرك عجيب وغريب هذا يا هذا؟ هل
نحن داخل حافلة مسافرين أم على
خشبة مسرح تجاري؟».

لم يجب الرجل المتوسط على
سؤال رأسه، بل انتبه على صوت
متألق مضخم بعسل ماكر، ذي عينين
مكحلتين، وبشرة لامعة بيضاء
بياض مكياج اليابانيات بفعل طبقات
المراهم والمساحيق، على شفثيه أحمر
قان، ويمين أنفه شامة اصطناعية،
وتشعر رأسه منفوش وفق آخر
تقليعة. الصوت الأملس مثل جلدة
أفعى، تسرب إليه من الخلف، منقفا
برسم الخط الأحمر له، من خلال
أسنان تلوك العلك في ميوعة ونزق:
- أغلق زجاج النافذة وستارتها.

هجس الرجل المتوسط أن صاحبة
الصوت لا بد وأن تكون مومسا، أو
مهربة، أو على الأقل مقدمة وصلات
إشهارية تلفزية رخيصة، تكذب على
جيوب النظارة الكرام ألف أكذوبة
وأكذوبة في الدقيقة الواحدة، وإلا لما
جرات على البداية بهذه اللهجة
الخشبية. لهذا لم يعر اهتماما لما
سمع، ناجيا بأعصابه. فتلاشت عن
الصوت الكرنفالي مساحيقه وكحله

حيوية بالبهاء الربيعي، بدفء
شمسه، وشذا هوائه، ورشاقة
وروده، وقد زالت عنهن رزانتهم التي
كانت من لوازم الحياء والحشمة في
الأيام العادية. وفيما انشغل بعضهن
بقطف الورود والزهر والياسمين
ويتشممنها بتهييد مبهم، راح
بعضهم الآخر يتناوبن بين اللحظة
واللحظة في وداعة على تحريك
أرجوحة معلقة تحت شجرة زيتون
وارفة مثمرة، تنوس بطفل مرح في
حالة استعداد دائم لمباغتته بالأنفاس
السخينة المعطرة تجمشه من خلال
جدائل الشعر الناعم عند عنقه، وتطبع
قبلات رخيمة متلاحقة على صدغيه
وجبينه وعينه وأنفه وفمه، متوقعا أن
تقبل عليه في أي لحظة أذرع رخصة
ملساء بالعناق والضم مطوقة
مهدهدة في احتضان دافئ حنون؛
وهو يرقب في انبهار القامات الفارعة
المتماوجة تنساب بين الأغصان،
والسيقان الممتلئة البضة الساطعة
المطلة من تحت سراويل قصيرة
فضفاضة، تتراقص أمامه في خفة
ورشاقة، مقهقها برنين آنية فضية،
صك له الرجل المتوسط أسنانه وكز
أصابعه. وسمعه الركاب يردد: «يا له
من زمان!..». فظنوه يعنيهم، غير أن
أحدا منهم لم يحتج، بل تظاهروا
جميعا وكأنهم لم يسمعوا شيئا. أما
هو، فقد حار هل يصدق ذاك الزمان
الذي ابتلعه الزمان أم ذا الزمان الذي
تلاشت عنه صفة الزمان؟ أم ترى
الأمر كله خدعة في خدعة؟ لكنه جعل
يردد: «وأنت ليلي وأنا المجنون.. أنا
المجنون...»، في حين راحت رأسه
تتلفت إلى الأمام وإلى الخلف، التفاتة

بطنها سحابا متدفقا من الدخان الأسود. فأحس الرجل المتوسط أن موعده المصيري يزأر داخله ويجري بسرعة فائقة جعلته يبتعد عن الحافلة بعشرات الكيلومترات إلى الأمام. وتسنى له بفعل موقعه بجانب النافذة، أن يطل على الوادي السحيق تحته، فارتاع للمشهد البانورامي الرهيب الممتع «هيه.. مثما في الأفلام السينمائية. ها أنا أركب طائرة أخيرا. أأست أركب طائرة؟ أأست على علو شاهق؟ الدواوير والأكواخ تحت كعرم البعر. الكائنات والأشياء مختلقة لا تتمايز. من منها البشر ومن منها الحيوان؟ أي منها حقول الزرع والضرع التي جادها الغيث؟ وأي منها الخراب الذي صحره الجفاف والسنوات العجاف؟ أين المدارس؟ وأين العمارات والمعامل والسيارات والموانئ والطائرات؟ ها هي المخافير والثكنات...». وحطت الطائرة على الأرض لتعود إلى صورتها الأصلية: حافلة مهترئة، تتزهز فتحث تحت ركابها ديببا ينزعج له البعض ويلتذبه البعض الآخر. وخمن الرجل المتوسط أن صاحبها قد اشتراها بلا ريب من سوق الخردوات، وأكرهها على العمل رغم تجاوزها سن التقاعد بأعوام.

بدأت بواكير الثلج تتراءى للأعين كتلا هنالك فوق القمم الناتئة وكتلا هناك على السفوح المعشوشبة، في بياض الحليب، ابتهج بها الكبار، وتصايح لها الصغار، خصوصا من لم يسبق له أن بيض عينيه بمشاهدة الجليد سوى في السينما أو التلفزة أو المجلات الملونة. حال الانبهار دون

وشامته وأحمر شفاهه، وكشر عن نيويه منقلبا إلى ما يشبه صوت الشيمبانزي:

-أغلق النافذة والستارة قلت لك. ليست الحافلة ملكا لك. ومن حق الركاب ألا يصابوا بالزكام.

قاوم الرجل المتوسط أعصابه بمزيد من الصبر. أوشك أن يقول لصاحبة الصوت: قولي خيرا أو فاصمتي. لكنه لعنها في سره. ثم قال في رقة مسرحية مصطنعة ضاغطا على الحروف في بطء مقصود، من غير أن يلتفت إلى وراءه، وكأنما يخاطب نفسه:

-ومن حقي.. وحقهم... أن نتمتع بالنسيم المنعش وبدفء شمس الصباح اللطيف. أليس كذلك؟

ثم تظاهر باللامبالاة يصفر متشامخا ويدندن بصوت مسموع: «الورد قبيح.. قبيح الورد...». ولم يغلق زجاج النافذة وستارتها. ولم يستأنف الصوت المسوخ احتجاجا أيضا. ربما لانفجار خصام محموم في غاية العدوانية يصله بعض ركاب المقاعد الخلفية، سمع الرجل المتوسط على إثره صليل السيوف وقعقة الخناجر الممردة بالسم الزعاف، وزئير فرسان القبائل، وصهيل الخيل، ورغاء الجمال في بيداء الجاهليتين الأولى والثانية.

ظل المشهد الطبيعي مستقرا على حالة واحدة، وإن كانت روعته قد ازدادت مع اكتمال الصباح وبداية تصاعد الحافلة في الطريق الجبلي المتلوي المحفر، لم ينل منها سوى الشخير المرتفع لبعض الركاب، وزمجرة الحافلة وهي تقذف من

رأسه. انفغر فاه وهو يتمتع في صورة حميدو ذي الوجه الشبيه بوجه هتشوك. إلى هذا الحد العالم واه وهش؟ أين أنا؟ ومن أكون؟ ولماذا أنا موجود هنا داخل هذه الحافلة اللعينة؟ وهل كان الماضي وهم في وهم؟ والحاضر؟! لا.. لا.. لا بد وأن الأمر يتعلق بحلم عابر في آخر لحظات نوم ثقيل. ياه، أصبحت نجما يا منخر الكلب! أخيرا وقعت يا حميدو يا منخر الكلب، فخرست ما وراءك وما قدامك. يا للعجب العجيب! لكم تغيرت يا حميدو؟ من الهزال إلى السمنة. ومن الجلباب المرقع إلى البدلة الأوروبية الأنيقة. دنيا وأي دنيا! حميدو منخر الكلب أخيرا؟ أتذكر يا حميدو لعبة (غميضة) بين ساحة (المرس) الفواحة بروائح الياسمين والعنبر وزهر النارج، وساحة (السويقة) بمسجدها المهيب، عبر شارع (التيارين) المزدان بدكاكين الفاكهة والبقالة والخياطة والحجامة وحلويات (المكزاري) المغربية، وعناقيد العنب السوداء المدلاة من أغصان الدالية الموصولة على طول الشارع الذي تعانقت بناياته المتهالكة واتكأ بعضها على بعض. أتذكر أو لا تذكر؟ لقد كانت لحظة اليوم الرائعة هي لحظة (غميضة) في ألفة حميمة بالناس والأشياء والمكان، تملأنا النشوة والبراءة والمرح. كل أبناء الدار كانوا يلعبون (غميضة) إلا أنت يا حميدو منخر الكلب. كنت تنزوي وحدك مراقبا مفكرا، مثل رجل في الأربعين ذي عقل بورصوي يضرب بأصابعه في استمرار أخماسا في أسداس في أعشار، وليس طفلا يافعا

انتباه معظم الركاب إلى أن الحافلة تدور حول الجبل دورات حلزونية جد بطيئة، كأنها تتسكع من غير هدف تسعى إليه، بحيث لا تكاد تبتعد إلى الأمام حتى تعود إلى نقطة انطلاقها من الدائرة، في رتابة خشي الرجل المتوسط معها ألا تنقطع هذه الحركة المملة إلى الأبد، أو أن تتسبب في نوم السائق. وجعل يدمدم مبتسما:

دب الحلزون فوق حجارة من أين أتى يحمل داره

ولتكسير هذه الرتابة الخانقة، مال على جنبه الأيسر، ورأسه تنفتل ناحية جاره مسترقة النظر إلى العناوين البارزة في جريدة مفردة بين يدي جاره المشغول بفك رموز مربعات الكلمات المتقاطعة (فر من الوطن السياسي المعروف... بعد أن اختلس أموال صفقة القرن) (رواق الموت تخلف في السنة الماضية 555 ضحية) (استفحال ظاهرة السطو على المتاجر والمنازل) (كسر الوقفة الاحتجاجية للمعاقين) (محاكمة المعطلين المعتصمين).. أخيرا، استقر نظره على عنوان عريض (الحكم بالسجن المؤبد على النجم العالمي الشهير في تسويق المخدرات والاختطاف والقتل والاغتصاب، مع مصادرة كل ممتلكاته العينية والمنقولة، وتجريده من جنسيته الوطنية). وأثارت انتباهه صورة ملونة لرجل في مثل سنه كتب تحتها (حميدو منخر الكلب - صورة خاصة بالجريدة). جحظت عيناه. وقف شعر

يمر أبداً. أنا اخترت طريقاً مختلفاً عن طريقك، رغم أنه مفروش بقطع غيار متأكلة، حمدت الله عليه بكرة وأصيلة. فما كان يهمني هو شيء آخر مختلف لا يمكنك إدراكه ولو تصوفت من أجله ما فات وما هو آت من عمرك.

مرة أخرى أعاده اللغظ وتبادل الشتم والسب إلى الحافلة. هذه المرة حمأة الخصام القاتل تلتهب بين الصفوف الأمامية. فأغلق أذنيه بكفيه حتى لا تصكها لعلعة الرصاص ودوي المدافع وهدير الطائرات النفثة، محاذراً من أن تصيبه قذيفة طائشة. بسرعة انقبضت صفحة السماء وتجهمت. طفق وابل من ندف الثلج يتساقط بكثافة معادية. في البداية غطى الثلج زجاج النوافذ، فانطمست رؤية الخارج وما يجري في الخارج. وزاد علوق بخار أنفاس الركاب بالزجاج من تغبيش الرؤية. **تطوع بعمرك**، همسح الزجاج بمناديل سرعان ما تبللت ولم تعد تفيد، في حين شغل السائق ذراعي مساحتي الزجاج الأمامي، وخفض من سرعة الحافلة. وفي حين خمن بعض الركاب أن العاصفة عابرة وستتلاشى بسرعة، سأل الرجل المتوسط رأسه: «ألم يختلط حابلنا بنابلنا، فلم نعد ندري هل نحن في حافلة أم في حمام تركي أو صونة رومية؟ أم ترى كل هذا يجري داخل بيت دماغك وليس خارجه؟». لم يتردد الثلج عن ركوب عناده الجنوني. سدر في تهاطله المتلاحق، محاولاً ما أمكن عرقلة سير الحافلة، كأنه مسخر من قبل ساحر ماهر يريد أسرها، وإلا لماذا بدا كما لو

في التاسعة أو العاشرة كباقي أندادك. كنت دائماً أخير زمانه في الدراسة واللعب والتنكيت. والشيء الوحيد الذي كنت تفعل فيه، بسبب صحة البغل التي كنت تتمتع بها، هو التسلط على أولاد حي (سكرينيا)، إذا ما حاولوا إفساد لعبتنا. إن ذاكرتي يا منخر الكلب لا تزال تذكر جيداً. أو هكذا يتهيا لي. ما كان يقال حول هلاك أمك. قيل أيامها إنك أنت الذي أتيت عليها بسبب عسر الولادة وأخطاء الطبيب، وكأن الدنيا ما كانت ترغب في أن تطأ أرضها، كما لو كنت منحدرًا من أصلاب شياطين أو مرده. والحقيقة أن عقولنا الصغيرة ما كان في وسعها أن تفقه شيئاً مما كان يقال، ولكنني أدرك الآن بوضوح، أنك كنت تنطوي على نفس موشومة بشرار شيطاني مدفون في شرايين دماغك الشغال، لم تستطع أن تعي أنه أنشودة من غرس العصر المدمر. بقدرة قادر وبفعل تلك **أبواب الفردوس**، استطعت أن تغير أكل خبز الشعير بالزيتون الطري أو الجبن الطازج والخوخ البلدي الذي كنا نلتهمه في نهم ولذة ما فوقها لذة، بأكل الشواء والبسطيطة والأفوكادو، فطبق جسمك لحما وزاد شحماً حتى صار في استدارة بالون أو كيس نشارة. ركبت الدراجة النارية، ثم السيارة، ثم الطائرة، ثم الصاروخ. فصرت حاكماً بأمرك؛ طاعتك تدرك الأموال الطائلة، صحبتك تشرع أبواب الفردوس، ومعارضتك تفتح القبور ولا تسدها. ولم أرك منذ عصر (غميضة). ياه! هل حقاً مضى كل هذا الزمان؟ كأن كل ذلك مر البارحة أو لم

اشتط في فرش بقية الطريق المقبلة بطبقات مضاعفة من عراقيله البيضاء. وهكذا لم تتقدم الحافلة قليلا، حتى تورطت في المطب الشاق. أصبحت تسير ولا تسير، تدور عجالاتها في مكانها مثيرة نثارا من شظايا الثلج حولها، وكأنما سلب عليها سحر هاروت وماروت. فلاحظ الرجل المتوسط ضاحكا: «إن الحافلة تجري في مكانها مثل لص ضريح مولاي علي أبي غالب بالقصر الكبير. فقد سرق صندوق الضريح في نصف الليل، وانطلق هاربا، لكن مقدم الضريح ضبطه صباحا يجري في مكانه. هاهاها...». وظن أنه حكى نكتة لا بد وأن يضحك لها الركاب. لم يضحك أحد. بل ولم ينصت إليه أحد. كانوا مشغولين جميعا بالحديث فيما بينهم، وفيما بينهم وبين أنفسهم عن هذه الورطة المبالغتة. لذلك قهقهه وحده، وكأنه وحده في الحافلة. ومثلما وقف حمار الشيخ في المثل المأثور، جثت حافلة المسافرين في العقبة المثلجة. فأشفق الرجل المتوسط على مواعده المصيري معتبرا كل هذا يحدث من أجل الحيلولة دون وصوله في الوقت المحدد، ألم تكن الأمور تسير على أحسن مايرام؟. تحول العالم إلى أقيانوس من البياض منبسطة، ونحن، مرتفع، منعرج في امتداد لا نهائي. شعر الرجل المتوسط باشتياق عارم لأن يتعري ويرقص وينبطح على الجليد، ويتقلب على ظهره وجنبه كما يفعل البغل في التراب. نزل السائق من غير أن يوقف محرك الحافلة، الذي ظل يكح في تعب مسموع. أمر الركاب بالنزول. فنزلوا

أن نيته الحقيقية هي إقبارها. أصاب الركاب هلع ترجمه راكبو الصفوف الخلفية إلى مضاعفة ترديد اللطيف والأدعية والتسبيح، وعبر عنه راكبو الصفوف الأمامية بالتمسك بمقاعدهم أكثر في توتر وانزعاج. لكن هذا الهلع خرج عن طوره لما انزلت الحافلة متأرجحة بين اليمين واليسار، وأفلتت السيطرة عليها من أيدي السائق، فكادت تتساقط في أعماق الوادي السحيق. احتاج كل الركاب في وقت واحد في صخب وفوضى، متصايحين: «الله، الله، الله. يا حفيظ، يا حفيظ، يا حفيظ.. عندك، عندك، عندك...». وصدر عن بعضهم شهيق عال وأصوات حيوانية مبهمه. أما من كانوا نائمين، فقد استيقظوا مروعين وهم يفركون أعينهم الحمراء من كثرة النوم أو قلته. والوحيد الذي ظل متماسكا أو على الأقل تظاهر بذلك هو السائق، فبرغم أن لون سحته حاكى لون قشرة الليمون، إلا أنه صار خصما لدودا للثلج يصارعه بشتى الحيل مصارعة خبير مجرب، ليبدد شك الركاب في حنكته القيادية. انتصب في مقعده. أمسك بالمقود في عصبية ظاهرة، حتى لا يفلت منه الزمام مرة ثانية. رفع رجله كثيرا عن دواسة البنزين. امتنع عن لمس الحvarsات. وبذلك صدر عن الحافلة شخير شيخ مزكوم واستقامت منفلة من مطبها، ثم مضت متمهلة في طواعية وانقياد، تشق طريقا سالكا بين كتل الثلج المترامية. وفيما استعاد الركاب تنفسهم المكتوم، بدا الثلج في غضبه ذا نفس أطول. لقد تملأ في اتقان حيلته بلا رحمة، إذا

قد أعجبت به الحركة الراقصة للحافلة. أخذ يصفق مستحسنا العملية، كما لو كان يركب إحدى أراجيح الأطفال في مدينة الملاهي. لكنه عاد فشبه ارتجاج الحافلة داخل دماغه بهزة الزلازل المدمرة. لذلك انطلق يهذي باللوم والتحذير: «اللي عملها بيده يفكها بسنه. أو نسيتم أن دخول الحمام ليس كالخروج منه؟ فمن أمركم بالسفر في يوم ذي مشأمة كهذا؟ ولماذا لم تستمعوا لنصائح الأرصاد الجوية؟ إذن أروني حنة أيديكم. اخرجوا من هذه الورطة إن استطعتم. قرب ضارة غير نافعة. ها، ها، ها..»

لما ازداد شحوب السائق، تأكد الجميع بأن لا فائدة من معاودة المحاولات. فتسابقوا إلى استخراج هواتفهم المحمولة، أحدهم انتشله من تحت جلبابه، واتصل برجال الدرك. ثأن أخرجه من جيب سترته الداخلي، واتصل بمصلحة الطرق. ثالث استله من جيبه سترته الخلفي، واتصل برجال المطافئ. آخر كان يمسك به منذ البداية في حركة استعراضية مباهية، اتصل بالشرطة. ثم وقفوا في هدوء رمادي ينتظرون وأسنانهم تصطك، محتمين بالحافلة من لطمات الريح ولسع الثلج وعض الزمهرير، وقد فقدوا القدرة على التكهن والتوقع. فتحرك لسان الرجل المتوسط وقال لرأسه: «انتظروا المهدي غير المنتظر أيها الهنود السمر. والله لو وضعوا جبل الحديد في يميني ومثله من الصخر الصلد في يساري، لما قلت لكم سوى (ما حك جلودكم الجرباء غير أظافركم المتسخة). ولبيلغ الحي الميت، والسلام».

واحدا وراء الآخر، باستثناء الرجل المتوسط، فقد ظل مسمرا في مقعده كالوتد. أبى أن ينزل في إصرار، غير مبال باحتجاجات الركاب المستهجنة. دخل في محاجة لم يسمعها أحد: «إلى متى سنظل نعيش في نزول مستمر؟ لماذا أنزل الله أرواحكم إلى صقر؟. ثم قل لي يا سائق آخر الزمان، لماذا لم تتوقف قبل الدخول إلى خضم الثلج؟ أما كان عليك أيها المنحوس أن تنتظر إلى أن يذوب الجليد، أو تعود أدراجك؟». انصرف الركاب يقتطعون من أشجار الأرز المكسوة بالبياض بعض الفروع، ويلتقطون من الأرضة الثلجية بعض الأعواد المدفونة، ليفرشوا بها الأرض تحت عجلات الحافلة من قبل ودبر. ثم تجمعوا خلفها كالنمل مستعدين لمعافرة دفعها، بينما صعد السائق إلى مقعده استعدادا للانطلاق. ويا جاءه النبي.. اللهم صل على رسول الله..

واحد، اثنان، ثلاثة، فقررت عروق الأيدي والرقاب، زلقت بعض الأرجل فسقط أصحابها على قفاهم رغم محاولة حفظ التوازن. تلاحقت الأنفاس صاعدة هابطة. تعرقت الأجسام رغم البرد القارس. وأخيرا ارتعدت الحافلة. تزعزعت قليلا وأجفلت. وفي اللحظة التي كادت تنطلق فيها إلى الأمام، شردت يمينها ويسارها لتجثم عند القارة في وضع معوج، مشلولة الأرجل والقلب، كأنما أصيبت بصدمة دماغية مفاجئة، أو أنها أقسمت بفعل الإجهاد الذي لحق بها بأن لا تتحمل قيد أنملة أبدا، نكاية في ثبات السائق وشماتة في أنفاس الركاب اللاهثة. وكان الرجل المتوسط

الزيارة الطويلة للاستمتاع به أكثر. وفي إحدى الدورات كادت يده تقطف تفاحا ذهبيا حيا من شجرة أغصانها وعروشها من نور فيروزي، ليطعم به الأحباب والأصحاب، لولا أن يدا مشعرة امتدت كقصف الرعد أو لمع البرق نحو البساط وسحبته من تحته، فسقط في واد سحيق ذي نتوءات حجرية سوداء تنتمي إلى كوكب آخر وليس إلى أرض البشر.

فرك الرجل المتوسط عينيه. تمطى في ثقل محدودب مثل قط استيقظ لتوه، مهمهما بتمتمة غير واضحة، ربما كان ترحما على موعدة المصري، ثم نزل أخيرا من الحافلة. زفر وشهق. تعجب كيف لا يشم رائحة الثلج، أم أن الثلج لا رائحة له؟.. أشعل سيجارة. شرع يدخل في هدوء، وهو يمشي الهوينى ذهابا وإيابا، كأنه في حالة تأمل قصوى بحثا عن حلول ناجعة لمشكل مستعص. في لحظة، توقف عن المشي. ثم في مكانه مقهقهة في هستيريا امتلأت لها عيونه بالدموع، وهو يشير بسبابته إلى عجلتي الحافلة الأماميتين اليمنى واليسرى معا. لقد رأهما أو خيل إليه أنهما فارغتان من الهواء. وانتابه إحساس من أفاق فورا من كابوس أسود، حمد الله على أنه لم يكن سوى كابوس وانتهى. ثم أرسل نظره عاليا نحو قمة الجبل. بدت له المدينة من بعيد هادئة بيضاء تستحم بلألاء أشعة الشمس الأرجوانية. فعشيت أبصاره، لكن بصيرته تذكرت مجددا موعدة المصري.

وكما انتفشت السماء الزرقاء بالسحب الدكناء الكميدة في رمشة عين، كذلك انجلت الحلقة، وتوقف تساقط الثلج فجأة. تسلت خيوط الشمس من بين شقوق السحاب المتلاشي رصاصية، ثم فضية، ثم نحاسية، فذهبية. دفع تأخر مجيء مصالح الإنقاذ الركاب إلى حدود اليأس. صرفوا تفكيرهم نحو الأمل في نوبان الجليد وتأكله بفعل الشمس التي أصبحت حامية. غير أن الجليد كان أسبق من هذه الأمنية الجديدة إلى إبرام ميثاق حبي مع الشمس فازداد تماسكا وبياضا ولمعانا. (من القipzig إلى الجليد. ومن الجليد إلى القipzig. هذا هو حال دنيانا). وسوس الرجل المتوسط لنفسه. ثم تساءل وكأنما وطن نفسه على انتظار أي مجهول: «إن لم يذب الجليد بفعل هذه الحرارة ونحن في عز النهار، فكيف سيفعل عندما تشتد البرودة مع زوال الظلام؟». ولم يلبث أن انتابته قشعريرة حار في تحديد أسبابها؛ هل هي خوف غريزي، أم قلق رجل حائر، أم هي برودة الجول والصمت الكئيب حوله؟. تظافر ذلك مع تعب مفرط أصاب جسده بما يشبه الشيخوخة، فتثائب وسقطت رأسه على كتفه، ثم راح في غفوة ناعمة ظنّها نومة أهل الكهف، بينما هي ومضة من نعاس عابر. وجد نفسه سابحا في ضواحي الحلم يجوب آفاق الفضاء البعيدة، ممطيا بساط الريح يطوف به القارات الخمس في لمح البصر. فتلتقط ذاكرته من كل فج مرت فوقه أحسن وأجمل ما فيه، ممنيا نفسه أن تتاح له فرصة

قصة قصيرة:

التحية

• بقلم حياة الرايس - تونس

«هذه العاجلة محبوبة والرفاهة
مطلوبة والمكانة عند الوزراء
مخطوبة»
أبو حيّان التوحيدي

أفاق السيّد ابراهيم هذا الصباح
فزعا يرتعش:
«هل تأخرت عن عملي».
نظر إلى ساعته
- «غير معقول، أظنني سأعجز» -

توقفت، إن النهار قد طلع في الخارج،
يجب أن أطيّر إلى عملي طيرانا، لن
أعطيه فرصة أخرى، ذلك «النذل» كي
يسودّ ملفي أكثر....

ثلاثون سنة لم أتأخر فيها ولو
دقيقة واحدة عن المؤسسة، أصل أول
الموظفين وأخرج آخرهم... وهو
يعرف ذلك جيّدا... والمدير العام
يعرف ذلك أيضا وإلا كيف ردّ على
التحية يوم اعترضته في الدرج...
نعم لم أصدق في البداية أن الرئيس
المدير العام يرد على التحية إنه لم
يفعلها مع أحد من الموظفين منذ
سنوات لاشك أنه يعرف ملفي
الأبيض الناصع جيدا.

تحيته ليست مجانية ولا يمكن إلا
أن تكون إشارة واضحة إلى عزمه
على تعييني في منصب رئيس قسم
الموظفين الذي أحلم به طوال حياتي...
وإلا فما معناها؟ وهل يمكن أن

يكون لها معنى آخر؟
أنا واثق أن الرئيس المدير العام لم
يحييني ذلك اليوم إلا بعدما درس
الأمر جيّدا وعرف أنني سأكون
الرجل المناسب في المكان المناسب
وذلك النذل يعرف طموحاتي أيضا
ويعرف أنه لا يستحق منصبه لأنني
منضبط أكثر منه لذلك عمل على
عرقلي فلم يجد ثغرة في حصني
الحصين حتى جاء ذلك اليوم الذي
اصطحبت فيه ابني إلى مدرسته لأمر
ضروري جدًا.

ورغم أنني لم أتغيب سوى
ساعتين و 10 دقائق و 30 ثانية فقد
استغل «النذل» الفرصة ووجه لي
توبيخا رسميا، ورغم أنني شرحت له
الأمر فقد أصرّ على موقفه وأفهمني
أنه يقوم بواجبه وإن ألححت أكثر
فسيوجه لي إنذارا يرفعه إلى الرئيس
المدير العام.

ولكن كيف وصلتته الأخبار بهذه

عندما مرّ بـ«دكان العمّ» «قدور» حيّاه فلم يردّ عليه التحيّة....

- «هذا العجوز قد خرف! لم يعد يسمع ولا يرى...»

واصل مسرعاً حتى خرج إلى الشارع الرئيسي شارع 20 مارس وقف بمحطة الحافلات بباب سعدون، رأى بعض الوجوه التي يعرفها، حيّاه... فلم يردّ عليه أحد... «ماذا يحدث اليوم؟»

فجأة قدمت الحافلة تزحف مائلة جهة الرصيف لكثرت حملها... يبدو أنّه لن يفتح الباب... سنرتاح عمّا قريب من الحافلة وزحامها

ثلاثون سنة وأنا أركبها يوميا وأحلم بسيارة رئيس المصلحة.... إنّ ذلك لشيء معذب أشدّ من عذاب الحافلة... لقد كرهت حياتي قبل ذلك اليوم الأخير يوم «التحية» ولكنني لم أشعر أنّني متعلق بها، متلهف عليها مثلما هو حالي الآن...»

توقفت الحافلة، فتح الباب، رغم اكتظاظها، تدافع الناس، وقعت امرأة بين الأرجل، لم يرفعها أحد مخافة أن تذهب الحافلة.... احتار كيف سيصعد، لقد تأخر كثيراً، انقبض... تذكر التوبيخ... لم يدر كيف صار فجأة وسط الحافلة واخترق ذلك الزحام كأنه شبح، ولا كيف نزل بعد ذلك بمحطة نهج روماقرب مؤسسته...

لما دخل وجد الحاجب يقرأ الجرائد بمكتب الاستقبال
- «صباح الخير.... ما هي الأخبار اليوم؟»

السرعة؟ ومن نقل له نيّة المدير بترقيتي؟
لا شك أن أحد أتباع «النذل» رأى المدير يحييني!... كلّهم يتجسّسون عليّ.

ومادام الأمر قد وصل إلى حدّ التوبيخات والتهديد بالانذارات لا بد أن ترقيتي أصبحت مؤكدة لذلك أراد «النذل» نسفها، المهم أن لا أتأخر اليوم يجب أن أسرع...

نادي زوجته كي تعجلّ له بالقهوة فلم تجبه... توتر... التفت نحوها ليخضّها ظلّها نائمة.... فإذا هي صاحبة... أعاد عليها طلب القهوة فلم ترد عليه... إشتد غضبه يبدو أنّها لا تعباً بكلامه ولا تهتم به. لكنها قامت بعد برهة، دخلت المطبخ، أحضرت القهوة ورجعت بها، وضعتها على

«الكمود» كعادتها ووقفت أمامه: «إلى متى ستظلّ نائماً اليوم؟ أنسيت توبيخ البارحة؟ قم يارجل واقصد باب الله» ثم تركته وخرجت...

- ماذا دهاها المرأة اليوم؟ هل أصيبت في عقلها أم أنها تريد أن تفقدني صوابي؟

إني لست متفرغاً لها الآن، سأهتم بأمرها عندما أعود من الشغل المهم أن أخرج بسرعة».

لا يعرف كيف تناول الفنجان؟
القهوة خالية من كل طعم أو رائحة رغم بخارها المتصاعد
لا يدري كيف لبس ثيابه وصار بالشارع...

تذكر أنّه لم يغسل وجهه... هل شرب القهوة؟

لم يرفع الحاجب عينيه عن
الجريدة...
- «غريب! حتى الحاجب!... لقد
اشتراه النذل....
هل ينتظر مني رشوة كي يردّ
السلام!...»
في الدرج وفي الأروقة... لا أحد
من الزملاء ينتبه له ولا يشعر
بوجوده ولا يردّ تحيته...
كاد يفقد صوابه...
«أوصل به الأمر إلى حدّ تأليب
جميع زملائي عليّ بين عشية
وضحاها» اشتد غضبه، دخل مكتبه،
احتل مقعده... وبقي يفكر في
الامر... كان في منتهى الحنق
والحيرة والخوف...
فجأة رنّ التليفون....
- «ألو هل السيد ابراهيم التركي
موجود؟»
- «نعم أنا نفسي تفضل!...»
- «ألو. هل السيد ابراهيم التركي
موجود؟»
- «نعم تفضل قلت لك أنا نفسي!»
- «ألو هل السيد ابراهيم التركي
موجود؟»

- «نعم موجود ألا تسمع؟»
مرت برهة انقطع الخط بعدها...
وضع السماعة....
«ماذا يحدث اليوم؟»
أخذ يعيد الشريط من بدايته منذ
قام في الصباح
تذكر أنّه نادى زوجته فلم تحبه
لكنّها خاطبته فيما بعد كأنه لم
ينادها...
القهوة؟ لا يذكر أنّه شربها...
العم قدور... الناس في المحطة...
الحافلة... الحاجب... الزملاء... ثيابه
كيف لبسها؟ لا يتذكر أنّه فتح خزانته
واختارها بنفسه....
كما يفعل كل يوم... نظر إلى
نفسه... أين ثيابه؟ بل أين نفسه؟...
جال ببصره في المكتب أين هو؟
كرسيه شاغر... لا يوجد أحد
بالمكتب...
طار إلى بيته...
بالباب سمع عويلا... عندما
دخل وجد زوجته وأولاده ملتفين
حول سريره ينشجون بالبكاء....
كان جثمان «إبراهيم التركي»
بينهم مسجّى....

الشمس

الشمس

● مليكة الصوطي / المغرب

دخلت غرفة صغيرة حقيرة، حاولت الجلوس أرضاً لأسترجع بعضاً من أنفاسي، بدأت أتفحص المكان، في ركن الغرفة يقبع رجل هناك منكبا على تفصيل قفطان جميل، كان الرجل يكبرني حجماً لكنه قزم مثلي، ملامحه تدل على أنه كهل قارب الأربعين، بحثت في المكان عن مرآة أرى فيها نفسي فلم أجد، مقص الرجل الجريء أغراني بالتقدم نحوه، كنت أحبو ما عدت أستطيع الوقوف لابد أنني طفلة صغيرة أو ربما كسحة، حاولت الإمساك بالمقص بعد أن نحست ثوب القفطان الأبيض، فلم أحس إلا وضربة على أصابعي الصغيرة تصرخ محتجة، تورم خنصري الصغير، فأنزويت، امرأة هناك من فصيلة الأقزام مثلي، تجهز الطعام فتضعه على طاولة صغيرة، وتناديني لا أدري كيف عرفت اسمي؟ ولا أستطيع أن أسألها، فأنا لا أستطيع الكلام... تتوجه نحوي، أحس أنفاسها وصدرها الدافئ، وهي تحضنني وتضعني قرب مائدة أكل صغيرة، جائعة أحاول لمس قطعة الخبز فتصطدم أطراف أصابعي بالطبق الرئيسي، وينكفي عليّ فلا أحس إلا والمرأة تجردني من كل ملابسها،

أشرقت الشمس الأنثى صباحاً، معاً كنا نمشي، خوف رهيب كان يقبع بيننا، نطرده في غفلة من بعضنا، يتعاقب الصمت أمامنا، يتواتر الواحد تلو الآخر، تحديقونه فينا، يشنّج أعصابنا فنطرح ما تبقى من رموشنا أرضاً عليها تداري أسرارنا الصغيرة، كان أحدهم هناك على الضفة الأخرى يعزف سمفونية جميلة على قارعة الطريق عارياً إلا من حزنه، كالغيوم تكتفنا معاً، وانجلي قوس وسخي وراحت امرأة تمسّطه بعناية أيقنت أن الطوفان لن يعود، ابتسمت رددت على أبسامها بابتسامة تحولت لعصفور ملون جميل قبلته... دوت القبلية بعنف مدفع تتابع بعدها قرقرعة رتيبة، تلفت لرفيقي، أيقنت أنه سمع الدوي... كان هادئاً يهمس بنظرة مطرقة لهذا الصمت الوقع، تداعبت أصابعنا وأطراف أصابعنا بجنون هادئ، خطا الخنصر خطوة فرأيتني أهوي أرضاً، أصبحت أصغر فأصغر، صرت في حجم الأقزام، خفت الغرق، في مجرى الماء، أو أن تلحقني إحدى القذائف المائية، خفت أن تدوسني رجل رفيقي الذي لم ينتبه لما حدث لي، بكل ما أوتيت من قوة صرت أجري وأجري إلى أن

أستطع تحويل عيني تجاه رفيقي الذي أحسست بأصابعه أفاعي تعانق أصابعي، كل ما استطعته هو محاولة تبين أصابعي التي أصبح لونها داكنا، خفت أن تضيق أن تصبح ليلا أو رمادا فأتلاشى معها... دقت النظر، ماعدت أقدر على رؤية الأشياء بوضوح، ألم ينزف من عيني، لعل ذلك بسبب سقوط ما تبقى من رموشي، حاولت البحث عنها أرضا، فدهمتني رائحة البخور، تحسست أصابعي مرة أخرى فوجدتها لزجة، كانت مضمخة بحناء ليلة القدر المزركشة.... لم أستطع الحراك فوجدتني أحاول مسك جوزة بالوسطى والإبهام وحررت فيمن يكسرها لي، لدي رغبة غريبة في أكل نوى الجوز، مددتها لابن الجيران المشاكس، فسقطت، بقيت الوسطى معلقة وحيدة، بين الأصابع، كان الألم على ظهر كفي الأيمن يبدد زركشة الحناء، وابن الجيران يبكي مشدوهه حفر الوجع سراديب عميقة وتناهى للسبابة حيث يوجد رجل بجلبابه الأبيض وطربوشة الأحمر ينظر إلي شزرا يمسك بعصا طويلة، أمامه كنت أجنو على ركبتني وكانت يداي على الحصير، وهو يلوح عليهما بكل ما أوتي من قوة وأنا أردد «تبت يد أبي لهب وتب» خرجت من سباتتي والموج يقف في إباء على حافة الحدقة، ارتجفت للحظة وصرخت محاولة إخراج أحد أطراف أصابعي من الموصل الكهربائي، فألقيت بالأصابع وأطراف الأصابع أرضا، رأيتها تساقط بتتال عجيب، ببطء مريب،

بقيت عارية كعازف السمفونية، شعرت بالخلج لكنني تذكرت أنني ربما طفلة، أحسست برعشة ما دريت أهى رعشة البرد أم الخوف أم الخلج؟ انتبهرت وجدتني هاهنا، والأصابع مازالت تداعب الأصابع الأخرى، بجنون هادئ، والمرأة مبتسمة مازالت تمشط قوسها الجميل وتقبل العصفور دونما خلج، تحسست ثوبي، خفت أن أكون عارية، وجدته مبللا يتراوح ذات الشمال وذات اليمين يخرق هذا الصمت الواجم... توقف عازف السمفونية لحظة عن العزف الصامت ورمى بابتسامة خبيثة وصلتني على وجه السرعة،... لا بد أنه رأى كل شيء... بين البنصر والبنصر كان الصوت مستفزا، بدا وكأنه صرير قلم على لوح أو لعله صوت مذياع ييغم ببعض الكلمات، حاولت إرهاف سمعي أكثر لألتقط الصوت، أوقفت حركة ثوبي العنيد، قطعنا أنفاسي تناهى لسمعي صوت يشبه الجلجلة كان صوت القزم، وقد أضحى رجلا بالحجم العادي، وقد ضبطني وأنا أقظم أظافري الشهية، وراء باب الغرفة التي كبرت هي - الأخرى بمحاذاة المجر، فزعت وسقطت أرضا فانكسر المجر، فقد كبر جسدي أنا الأخرى، لا بد أنني في السابعة من عمري، احترق ذيل فستاني الزهري - تلطخت أصابعي بالرماد، بالرغم من رغبتني الملحة في البكاء فإنني لم أستطع خفت أن يلحظ ذلك عازف السمفونية الذي تحولت ابتسامة لقهقهة سالبة، لم

منسابة، لم أكن أعلم أهـي كف عازف
السمفونية أم كف المرأة المبتسمة أم
هـي كف رفيقي في المسير، تحسست
يدي، وجدتـها على المقبض الحديدي
باردة أصابها الخدر.

نظرت يمنة ويسرة فوجدتني وحيدة
أمتعض في الحافلة، حاولت ضبط
فرائصي أعدت ترتيبها من جديد،
نظرت للخارج من زجاج النافذة
المعتم، فوجدت كفا أو ما يشبه الكف
تتحرك في الخارج بحركة أفقية



الصورة البيضاوية

كان القصر الذي غامر خادمي
بدخوله عنوة كي لا يتركني
أقضي الليل في العراء، بعد
إصابتي البالغة، يبدو لي ركاما
هائلا مظلما ورهيبا، وذلك ما
جعله يقبع هناك منذ زمن بعيد،
جهما بين ظلال «أبينين»، مثلما
هو ماثل في خيال السيدة «راد
كليف». وكان يبدو مهجورا إما
بصورة مؤقتة أو حديثا.

• قصة: إدغار آلن بو
• ترجمة: شاهر عبيد

في الداخل استقر بنا الأمر في
أصغر جناح فيه وأقلها ترفا في أثاثه،
جناح في برج ناء من المبنى. وكانت
ديكوراته أنيقة لكنها متهالكة وقديمة.
جدرانه ازدانت بتزيينات كثيرة وعدد
من التذكارات المتنوعة الأشكال لشعار
النبالة، وعدد من اللوحات الحديثة
المفعمة بالحيوية، داخل إطارات جميلة
من الزخارف الذهبية.

ومن على سطوح الجدران، بل من
خلال أمكنة خصصها المهندسون

المعماريون للقصر، تدلت تلك الإطارات حسبما اقتضت الديكورات.

وربما دفعنتني حالة من الهذيان الأولي إلى الانتباه لتلك اللوحات والتعلق بها، لهذا طلبت من الخادم «بدرو» أن يغلق مصارع النوافذ الثقيلة للغرفة. بعد أن دلف الظلام، وأن يضيء الشموع المثبتة في الشمعدان القائم عند رأس السرير، وإسدال الستائر المخملية السوداء التي غطت السرير نفسه. وكنت بذلك أرغب في الخلود إلى نفسي، إن لم يكن للنوم، فأجلس على الأقل لأديم النظر وأتأمل تلك الرسوم أو التمتع في مؤلف وجدته ملقى على المائدة التي يصفها ويتحدث عنها بالنقد.

أنعمت النظر بصفاء وتركيز، واستغرقتني القراءة طويلاً طويلاً، ولم أنتبه إلى الساعات المنقضية في هذا الجو البديع حتى انتصف الليل.

وتذكرت أن وضع الشمعدان يزعجني، فمددت يدي بصعوبة، حاهداً ألا أعكر نوم خادمي المنهك، وجعلت النور مسلطاً أكثر على الكتاب.

بيد أن هذه الحركة كشفت لي ما لم أشاهده من قبل. فقد سقطت أشعة الشموع العديدة (وهي كثيرة على الشمعدان) على مشكاة في الغرفة كانت تلفها العتمة بسبب أعمدة السرير التي حجبته. ووقع نظري على صور لم أرها، كانت صورة فتاة في عنقوان الشباب، اختلست إليها نظرة سريعة ثم أغمضت عيني، لكن لماذا؟ حتى في داخلي لم أصل إلى ما يفسر ذلك. لكن فيما كان جفناي مطبقين، جال بفكري هذا الخاطر المتسائل، إنها دون شك حركة من داخلي، دفعنتني لاقتناص لحظة للتفكير. للتأكد من أن عيني لم

تخدعاني. ولكي أهدئ، بل أهين. خيالي للانصياع للنظرة الأكثر رصانة ويقينية، وما هي إلا لحظات حتى وجدتني أنعم النظر بالصورة.

وقتها تأكدت أن الذي أراه ليس سوى الحقيقة التي لا يرقى إليها الشك، ذلك أن أول شعاع التمتع على صفحة الصورة بدا وكأنما قد بدد الحذر الحالم الذي أخذ يتسلل إلى حواسي، وبيغتني فجأة بهذه الحيوية الناهضة.

قلت لكم إن الصورة كانت لفتاة شابة، لرأسها وكتفها، رسمت بما يعرف فنياً بأسلوب «الفينيت» (VIGNETTE = صورة لا حدود لحوافها التي تندمج بخلفية اللوحة بطريقة فنية)، حيث اندمجت الذراعان والصدر وحتى نهايات الشعر المتألق اندماجاً دقيقاً بالظل الغامض لكن العميق لخلفية الصورة. وكان إطار اللوحة بيضياً وقد وُشي وطُعم بالذهب والموريسك. ولم يكن ثمة ما يثير الإعجاب أكثر مما تثيره الصورة ذاتها، غير أن ما أثارني لم يكن الاتقان في تنفيذ العمل، لا ذلك الجمال الخالد لملاحم صاحبة الصورة. وربما كان على الأقل أن خيالي الذي استيقظ من النعاس، هو الذي زين لي أن ما أراه أمامي هو رأس لكائن حي، كائن يمشي، وليس مجرد صورة. ولاحظت أن تصميم هذه الصورة مع إطارها هو الذي كبح تصوري ذاك، وحال دون استمرار الوهم ومداعبته خيالي. وقد بقيت هناك نحو ساعة ربما، نصف جالس ونصف متكئ. وأخيراً استقر نظري على الصورة ذاتها وتسمر فيها، حتى اكتشفت حقيقة سر تأثيرها، فارتيمت على السرير. والحق أن الصورة التي كانت قطعة من الواقع قد

أنهك صحة ومعنويات عروسه التي لحظ الجميع هزالها إلا هو فلم يلحظه. ومع ذلك لم تتخل هي عن بشاشتها ومرحها، فتضحك وتضحك دون شكوى لأنها رأت أن الفنان (الشهير جدا)، الذي كان يظهر متعة وحماسة في عمله، مواصلا الليل بالنهار لينجز صورة المرأة التي أحبها، والتي كانت حالتها مستمرة في التدهور والسوء. وبعض الذين كانوا يرون اللوحة كانوا يتحدثون بعبارات مكتئبة، تسكينا للوضع، عن الشبه الكبير بين الصورة والأصل، وكأن هناك معجزة تؤكد بالبرهان ليس على مقدرة الرسام بقدر ما تؤكد على حبه الجارف للزوجة التي راح يتفنن برسم صورتها. أخيرا شارف العمل على الانتهاء، ولم يعد يسمح لأحد بالدخول إلى المقصورة. فقد التهب عقل الفنان حماسا لعمله، فانصرف شاردا عن لوحته، حتى من أجل تفقد ملامح تلك اللوحة. وفاته أن الخلفية التي أضفاها على اللوحة قد استمدتها من وجنتي الزوجة الجالسة قبالة. أسابيع من العمل مضت، انتهت إلى لوحة فنية لا ينقصها إلا لمسات خفيفة هنا أو هناك، على الفم أو عند العينين، لكن فجأة انتفضت روح تلك الفتاة انتفاض اللهب داخل المصباح.

وما أن انتهى الفنان من وضع لمسة لونية على الفم، أو ضربة فرشاة عند العين، حتى وقف للحظة قبالة الصورة التي أبدعتها ريشته، وكان مرتجفا وشاحيا ومشدوها. ثم هتف صارخا: حقا هذه هي الحياة! كان كأنما يخاطب حبيبته، إذ استدار صوبها، لكنها كانت قد فارقت الحياة!!

أنهلتني وصعقتني، ثم استلبتني وأفزعتني. وفي خشوع رصين أعدت الشمعدان إلى وضعه السابق، ما جعل الإثارة تتلاشى في أعماقي. فعدت إلى الكتاب وانكبت أقرأ فيه عن الرسوم والصور وتواريخها. وبعد أن اهتمت إلى الرقم الذي يشير إلى هذه الصورة البيضوية، قرأت العبارات الطريفة التالية:

«كانت هي فتاة ذات جمال نادر بديع، مفعمة بالحياة أكثر مما هي محبوبة. ويا لتعاسة تلك الساعة اللعينة التي تعرفت على ذلك الفنان فأحبهته وتزوجته. فقد كان هو رجلا انفعاليا كثير القراءة، صارما ومواظبا، حتى إنه اتخذ من عمله الفني معادلا لحياته. وبالمقابل، كانت هي جميلة جمالا بديعا وفريدا، حيوية مبتسمة دائما وبسيطة، مرحة ودود لطيفة. وهي تحب كل شيء وتتعلق به. ولم تكره شيئا سوى الفن الذي كان ضرة لها في حياتها، كما لم تخش أكثر من الفراشي ومنصة الرسم التي تحرمها من رؤية ملامح حبيبها.

لهذا فعندما طلب منها حبيبها أن يرسم صورتها الشخصية فقد ارتعبت تلك السيدة الرقيقة. بيد أنها كانت مطيعة مهذبة، فأذعنت لرغبته.

وأخذت تجلس ساعات طوالا في عتمة المقصورة المرتفعة حيث لا يسمح إلا لضوء شحيح ينسل من عل ليضيء صفرة قماش اللوحة. ورأح الزوج يتلذذ بفنه واستمر الإطالة فيه لساعات وأيام.

كان هو رجلا حقا، ذا مزاج غريب، مسترسلا في تأمله وأحلام يقظته. وفي غمرة انشغاله، لم ينتبه إلى أن النور الشاحب جدا في المقصورة قد

الجلوس

والمرأة

• بقلم: أنجيلا كارتر/ انكلترا
ترجمة: د. نايف الياسين

كان الوقت منتصف الليل -
اخترت أوقاتي ورتبت مشاهدي
بدقة الفنان بالفطرة. ألم أقطع
ثمانية آلاف ميل كي أجد مناخا فيه
من الألم والهستريا ما يكفي
لإرضائي؟ كنت قد عدت إلى
يوكوهاما ذاك المساء بعد زيارة
لأنكلترا، ولم يلقيني أحد، رغم أنني
توقعته. وهكذا أخذت القطار إلى
طوكيو، رحلة نصف ساعة.

في البداية كنت غاضبة، غير أن
حدة حالتي طغت علي فشعرت
بالحزن. أن تعود إلى من تحب فتجده
غائبا! في الماضي كان قلبي يقفز
ككلاب بافلوف عندما أتوقع شيئا
كذلك، أنا متأكدة أن لعابي كان يسيل
عندما أتوقع شيئا من عدم الرضى،
كنت متأكدة أن تلك كانت الحياة
الحقيقية. كان يقال لي دائما أنني أبدو
وحيدة عندما أكون بمفردي! وذلك
لأنني عندما كنت مراهقة بائسة،
تعودت أن أجلس وياقة معطفي

بالضمير المفرد الغائب، أنا بطلتي، كما لو أن العالم امتد من عيني كالاشعة المنبعثة من محور ممغنط يكهرب الأشياء جميعها عندما أنظر إليها.

أعتقد أنني أعرف الآن ما كنت أحاول فعله. كنت أحاول أن أخضع المدينة بتحويلها إلى انعكاس لآلامي. يالها من غطسة أنانية! المدينة، أكبر مدينة في العالم، المدينة التي لم تصمم للمائة شخص له توقعاتي الأوروبية، هذه المدينة تقدم للغريب شكلا للحياة ذا شفافية ملغزة، وضوح لا يمكن فهمه، حلم. وهي حلم لا يمكن له نفسه أن يكون قد حلمه، يظن الغريب أنه مسيطر على كل شيء، لكنه مطوح به إلى حلم شخص آخر.

لا يمكن أن تعرف ماذا سيحدث في طوكيو. يمكن لأي شيء أن يحدث. لقد جذبتني المدينة في البداية لأنني توقعت أن تجتوي على مصادر هائلة. كنت أبحث دائما في صندوق الأقفنة التي يحتويها القلب عن مظاهر ملائمة لأخذها في المدينة. تلك كانت الطريقة التي حافظت بها على دفاعاتي، لأنني كنت أعاني كثيرا حينذاك عندما أسمع لنفسني بالاقتراب كثيرا من الواقع، حيث إن العالم المحدد للحياة اليومية بحوافه الصلبة وأصوائه الحارقة، لم يكن له الرنين الكافي ليعكس المتطلبات التي كنت أفرضها على التجربة. كنت وكأني لم أجرب التجربة كتجربة. لم يرق العيش زبدا إلى مستوى آمالي - إنها أعراض بوفاري. كنت دائما أتخيل الأشياء الأخرى التي كان يمكن أن تحدث بدل

مرفوعة إلى أعلى بطريقة توحى بالوحدة، كي يتحدث الناس إليّ. ولم أستطع الاقلاع عن تلك العادة حتى الآن، رغم أنها أصبحت الآن عادة فقط، وأدرك أنها عادة سيئة.

كان الوقت منتصف الليل وكنت أنتحب بمرارة وأنا أمشي تحت براعم الكرز الاصطناعية التي يزينون بها أعمدة الضوء من نيسان إلى أيلول. يفعلون ذلك حتى تبدو مرابع الشهوة وكأنها في كرنفال دائم، رغم موجات الهياج التي تزعج الجموع الكثيبة، الهادئة، اللطيفة، التي تدور دون توقف وتملأ شبكة الأزقة الضيقة تحت سقف زائف من المظلات. كانت كلها تبدو مكفهرة كماردي جراس. * كنت أبحث بين حشد من الوجوه غير

المعروفة عن الوجه الذي أحببته، في حين كان المطر الضيف في الثقيل، السميك والذافئ يلمع وجوه الشوارع حتى بدأت تشع، بعد فترة، كفرو حيوانات الفقمة الناعم عند خروجها للتو من قاع البحر.

انثنت الجموع من حولي كالأمواج مليئة بالعيون حتى شعرت وكأني أمشي عبر محيط سكانه أناس يتحركون ويشيرون ولا يتكلمون، كالمخلوقات التي اعتقد فلاسفة العصور الوسطى أنها تسكن قيعان المحيطات وتبدو وكأنها صور انعكست في المرآة للناس الذين يعيشون على اليابسة. وتحركت بين هذه المنظورات التعبيرية بثوبي الأسود وكأني كنت خالقة كل شيء وخالقة نفسي أيضا، بثوبي الأسود، أحب وأبكي، وأمشي عبر المدينة

السقف وشرائط شهوانية سوداء
تلف سريرا فاسقا. وطوال الليل طفا
القمر الذي اتخذ شكل منجل والنجمة
المعلقة عند نهايته السفلية فوق المطر
الذي كان ينقر على زجاج النوافذ
وكانت هناك ساعة تعج بطنين
الزيزان. وكان الجرس المعلق
بالإفريز يصدر رنيناً كثيباً.

لم يدخل شيء من الشهوانية
الغنائية لهذه الليلة المقمرة الحزينة،
الحلوة، التي يتخللها المطر الصيفي
في توقعاتي، أتوقع أن يختفي. ذوى
إدراكي تحت عبء الاستجابة. تداعى
إدراكي تحت وطأة الهجوم على
حواسي.

لقد استولى على خيالي.
كانت الغرفة صندوقاً من الورق
المزيت المليء بأصداء المطر. بعد
انطفاء الضوء، عندما استلقينا معاً،
كنت لازلت أرى الشكل المتفرد لعناقنا
في المرأة فوقتي، تركيب رائع غير
متوقع في المشكال الغامض للمدينة.
كان جلدنا مرقوشاً بالظلال المتلاشية
التشكيل المطرزة كما أصبح جلدنا
لباساً موحداً تقدمه الإدارة لجعل كل
أولئك الذين يمارسون الحب في ذلك
الفندق دون هوية. ألغت المرأة الزمان
والمكان والشخص، كرسست المرأة،
لدى رسامة ذلك المنزل، لتعكس عناق
المصادفة. ولذلك عاملت الجسد
بطريقة مثلى، بإحسان ولا مبالاة.

كانت المرأة تقطر جوهر لقاءات
الغرباء الذين تكون ادراكهم لبعضهم
البعض فقط من خلال العناق العابر.
خلال الزمن غير المحدود الذي
قضيناه في ممارسة الحب، لم تكن

الأشياء التي تحدث فعلاً، وهكذا فقد
شعرت دائماً بأني مخدوعة، ودائماً
غير راضية.

دائماً غير راضية، حتى ولو
تجولت، كبطلة كاملة، باكية، في
بحثي الكثيب عن حبيب مفقود، في
متاهة الشوارع الضيقة المعطرة. أو لم
أكن في آسيا؟ آسيا! لكن، ورغم أنني
كنت أعيش هناك، فإنها بدت دائماً
بعيدة عني. كما لو كان هناك زجاج
بيني وبين العالم. لكنني كنت أستطيع
أن أرى نفسي بوضوح تام على
الجهة الأخرى من الزجاج. تلك أنا،
أمشي جيئةً وذهاباً، أكل وجباتي،
أتحدث، أعشق، لامبالية، وهكذا. لكنني
كنت دائماً أسحب خيوط دميتي،
كانت تلك الدمية هي التي تتحرك على
الجانب الآخر من الزجاج. وأنا أنظر
إلى أكثر المغامرات روعة بالعين الملولة
للوكيل الفني الذي يدخن سيجاره
ويشاهد اختباراً آخر نفخت رمال
السيجار وطلبت مزيداً من الأحداث: «
ماذا بإمكانك أن تفعل أيضاً؟»

وهكذا حاولت أن أعيد بناء المدينة
طبقاً للمخطط الموجود في خيالي
كخلفية للمسرحيات التي تمثل على
مسرح العرائس، لكنها رفضت
وبهدوء أن يعاد بناؤها بذلك الشكل.
كنت أتخيل فقط أنها كانت قد بنيت
على ذلك النحو. وفي الليلة التي عدت
فيها، مهما بحثت عن أحببت، لم
تستطع إيجادها في أي مكان، ورمتها
المدينة بين يدي غريب مشى إلى
جوارها وطابق خطواتها مع خطواتها
وسألها لم كانت تبكي. ذهبت معه إلى
فندق غير غامض فيه امرأة على

ونسخة محورة عن نفسي لم يكن لها أي علاقة بحياتي، التي راقبت نفسي وأنا أؤديها.

ولذلك تجنبت المرأة تملصت من بين ذراعيها وجلست على حافة السرير وأشعلت سيجارة جديدة من عقب السيجارة القديمة. وسقط المطر قويا، كان إظهاره للانعراج كاملا بكل تفاصيله، كما في السينما. صفقت له. شعرت بالرضا أن المرأة لم تغوي لأتصرف بطريقة غير لائقة - أعني أن أهر كتفي وأنام، كما لو لم تكن خيانتني ذات أهمية على الإطلاق. صدمت الآن بالشعور بأن هذا الرجل بعينيهِ البراقَتين، والذي كان لطيفا معي، كان بديلا للآخر الذي أحببت، وكان الكرنفالات الاعتباطية في الشوارع قدمت لي هذا الشاب لاكتشف ما إذا كنت قادرة على التصرف بهذا الشكل الغريب علي ثم عكست تقاطعنا على المرأة، كدرس موضوعي في طبيعة الأشياء.

ولذلك ارتديت ملابس بسرعة وهربت حالما انتشر الضوء في الخارج، ذلك الضوء الغامض عديم اللون، عندما تنطلق الغربان من بساتين المعبد لتستقر على خطوط البرق تنعَب في كورس فجري مشؤوم تردد صداه الشوارع التي فرغت الآن من الباحثين عن المتعة. كان المطر قد توقف، وكان صباحا ملبدا حارا الدرجة أنني كنت أتصعب عرقا عند أقل حركة. أطفئت كل الصور الالكترونية المضيئة. وكان المشهد كله رمليا رماديا، وكان الهواء مليئا بالغبار. لم أر في حياتي صباحا

أنفسنا كأنا ما كان ذلك، كنا بشكل ما أشباح أنفسنا، لكن الأنفس التي لم نكنها، الأنفس التي هي إدراكنا المعتاد لأنفسنا، كان لها جوهر أقل مادية بكثير من الانعكاسات التي كناها. قدمت لي المرأة السحرية مفهوما غير مألوف حتى ذلك الحين لنفسي على أنني «أنا» دون قصد مني، كان قد تم تعريفني من خلال الفعل المنعكس في المرأة. لقد ألقيني كنت فاعل الجملة المكتوبة على المرأة. لم أكن أراقبها. لم يكن هناك شيء على الإطلاق وراء سطح الزجاج. لم يحجبني شيء عن الواقعة، عن الفعل، كان قد طوح بي في معرفة الظروف الحقيقية للعيش.

المرايا أشياء غامضة. تصدر لي بيروقراطية المرأة جواز سفر إلى العا لم، تريني مظهري لكن ماجدوى جواز السفر لشخص يسافر في كرسي المقعدين النساء والمرايا في حالة تواطؤ لتجنب الفعل الذي تؤديه أنا/ هي ولا تستطيع هي/ أنا مشاهدته، الفعل الذي أخرج به من المرأة، الذي أصبح فيه مظهري. إلا أن هذه المرأة رفضت التآمر معي، بدت وكأنها المرأة الأولى التي أراها في حياتي، عكست العناق الذي تحتها دون أي رياء كل ما أظهرته كان محتوما. لكن ما كان يمكن أن أكون أنا نفسي قد حلمتها.

رأيت الجسد والمرأة لكنني لم أستطع التكيف مع المشهد. كانت استجابتي المباشرة هي أنني شعرت بأنني لم أكن نفسي كان القناع التنكري الذي لبسته للملأمة المدينة قد خانني وقادني إلى غرفة وسرير

مبتدلاً كذلك الصباح.

صباح أمس ، الصباح الذي أتى قبل هذا الصباح الكئيب، استيقظت في كابينة على مركب، طوال سيرنا على الشاطئ في اليوم السابق، كنت أحلم باللقاء الذي ينتظرني لقاء حبيبين بعد غياب ثلاثة أشهر قضيتها بعيداً، حيث عدت إلى بلادي بسبب موت في العائلة. سأعود حالماً أستطيع - سأكتب. هل ستلتقيان على الرصيف؟ طبعاً، طبعاً سيأتي. لكنه لم يكن على الرصيف. أين كان؟

وهكذا ذهبت إلى المدينة وبدأت جولتي الكئيبة في كل أماكن المتعة، باحثة عنه في كل البارات التي كان يرتادها. لم أجده في أي مكان. لم أكن أعرف عنوانه بالطبع، فقد كان يتنقل بخفة اللامبالي وكما نتراسل على عناوين السكن، المقاهي، شبابيك البريد، إلخ، إضافة إلى أن مشاكل البريد تذكر المرء بمخالفات وإيات القرن التاسع عشر، من حيث إنه يصعب تصديقها ويمكن أن يكون مصدرها الوحيد رغبة يائسة في إحداث أكبر قدر من الاختلاط. كان كلانا فخور بالطبع بالدفق العاطفي الذي كنا نتمتع به، كان ذاك شيئاً مشتركاً بيننا! وهكذا رغم أنني كنت أعتقد بأن منظري وأنا أتجول وأبكي في الأرقعة أكثر رومانسية من أي شيء يمكن أن تتخيله، فقد كنت في الواقع في خطر - كنت قد سقطت في واحدة من فجوات الحياة، تلك الفجوات العجيبة كانت مداخل إلى طاولات تدفع عليها ثمن طريقتك في الحياة.

تعمل المصادفات العشوائية من خلال هذه الثغرات الوجودية يتعرث المرء ويهوي فيها عندما يضع مؤقتاً بسبب الجوع واليأس والأرق والهلوسة، أو بسبب القراءة الخاطئة المتعمدة لمواعيد انطلاق القطارات والطائرات، والتي تترك هوامش من أوقات الفراغ. يصبح المرء عندها تحت رحمة الأحداث. لذلك أحب أن أكون غريبة، أسافر فقط من أجل الإحساس بانعدام الأمان. لكنني لم أكن أعرف ذلك وقتئذ.

وجدت قدرتي الذي فرضته على نفسي، حبيبي، باكراً ذاك الصباح لكننا تشاجرنا مباشرة. تشاجرنا باجتهاد طوال اليوم، وعندما أردت أن أمسك بخيوطي وأسيطر على الحالة دهشت بأن وجدت أن الحالة التي كنت أريدها كانت الكارثة، الحطام. رأيت وجهه وكأنه بقايا وجه، رغم أن ذاك الوجه كان المنظر الذي كنت أعرفه أكثر من أي شيء آخر في العالم، وأول مرة رأيته، لم يبد وجهها لا أعرفه. بدالي، بشكل ما، وجهها احتل دائماً موقعاً هاماً في وجداني فكفرت ووجدت الآن تعبيرها المرئي لأول مرة. وهكذا فإنني لا أعتقد أنني أعرف كيف بدا وجهه، ولا أعتقد أنني سأعرف أبداً، إذ أنه كان بصراحة شيئاً خلقه خيالي الفانتازي. كانت صورته لاتزال موجودة في مكان ما من عقلي وكنت أحاول اكتشافها بوجودها الفعلي، ناظرة إلى كل وجه أقابله عسى أن يكون الوجه الصحيح - أي الوجه الذي يتطابق مع فكري أنا عن الوجه المرئي للشخص الذي

مجعلكا وراء ظهري. وكان المصور
مخمورا. وأصيب المخرج بانهيار
عصبي أخذ على إثره إلى مصح
عقلي. وشريكي في البطولة التقط
نفسه من على طاولة العمليات ولملمها
حسب تصميمه هو! حدث كل ذلك
وأنا أنظر في المرأة.

تخليلوا إهانتني.
تشاجرنا حتى الليل، وكنا لازلنا
نتشاجر عندما وجدنا طريقنا إلى
فندق آخر، لكن هذا الفندق وهذه الليلة
كانا تقليدا ساخرا لليلة السابقة،
(هكذا! قذارة وإذلال ها!) هنا لا يوجد
ستائر مطرزة ولا أجراس ولا
همسات حزينة يطلقها المطر، كان هذا
المكان كثيبا مقيتا، وكانت الشراف
ملطخة بالأوساخ، رغم أننا لم
نلاحظها في البداية، لأنه كان من
الضروري أن فتاها بالعاطفة
العاجلة التي كنا نشعر بها عند
وجودنا معا حتى لو لم نعد نشعر
بها، كما لو كان التظاهر بالمشاعر
بالكثافة الكافية يمكن أن يعيد خلقها
بلمسة يد، رغم أن جلودنا (التي كانت
تعرفنا أكثر مما كنا نعرف أنفسنا)
أخبرتنا أن فترة التبادل قد انتهت.
كانت غرفة مقيتة، وكانت النوافذ تطل
على موقف للسيارات خلفه شارع
عام، فكانت الجدران الورقية ترتج
طوال الوقت بفعل الضجيج الجهنمي
لحركة المرور. كانت هناك مروحة
كهربائية بطيئة على شفراتها ذبابات
ميتة، والنيون فوقنا يلفحنا، وكل
شيء حولنا، بضوء قاس بالكاد يمكن
احتماله. أحضرت لنا امرأة قميئة
المظهر أكواب شاي بني خفيف وبارد

يفترض أن أحبه، وجها خلقته عذريا
رغبة في الحب كانت تلتهمني. وهكذا
نفسه، وأعني بنفسه الشيء الذي
عنا لنفسه، لم تكن معروفة بالنسبة
لي.

خلقت فقط لعلاقته بي، كعمل فني
رومانسي، شيء يتطابق مع الشبح
الذي يسكنني عندما أحببته في
البداية، أردت أن أمزقه، كما يمزق
طفل دميته ليفهم آلية عملها من
الداخل. أردت أن أراه أكثر عريا مما
يبدو عندما يخلع ملابسه. كان من
السهل تعريته، ثم أخذت مبضعي
وبدأت العمل. لكن، وحيث أنني كنت
مسؤولة بشكل كامل عن التشريح،
فقد اكتشفت في داخله فقط ما كنت
قادرة على إدراكه من قبل، من خلال
تجاربتي السابقة. وإذا وجدت أي
شيء جديد كنت أتجاهله بإصرار.
استغرقت في ذلك العمل إلى حد أنه
لم يخطر في بالي ما إذا كان يؤلمه
ولخلق الشيء المحبوب بهذه
الطريقة وإعطائه وثيقة تأصيل
كحبيب، كان لا بد لي من إقناع نفسي
أنني في حالة حب. راقبت نفسي بدقة
لاكتشاف كل الدلالات، وظهرت
كالمتوقع: الاشتياق، الرغبة، نكران
الذات، إلخ. ابتليت بكل الأعراض.
رغم كل هذه المشاعر، فإني لم أشعر
إلا بالمتعة عندما عانقني ذلك الشاب
في غرفة النوم الفاسقة تلك. لم أشعر
بالذنب إلا لاحقا، عندما اكتشفت أنني
لم أحس بالذنب مطلقا لحظتها، وهل
كنت نفسي عندما أحسست بالذنب،
أم عندما لم أحس؟ احترت. لم أعد
أفهم منطق أدائي. كان السيناريو

مصنوع من الشعير ثم أغلقت الباب علينا.

أذكر أن الهواء كان أكثر كثافة من الشاي المغلي طوال اليوم، وكانت الصراخات تتراكم على السقف. بكيت طوال الجزء الأول من الليل، بكيت حتى تعبت في حين استدار هو على جنبه ونام. اكتشف خديعتي رغم أنني لم أكتشفها أنا نفسي، حيث إنني لم أكن أعرف أنني كنت أكذب. لكنني لم أسطع النوم بسبب ارتجاج الجدران وضجيج السيارات. كنا قد أطفأنا الضوء وعندما رأيت ضوءاً خفيفاً يسقط على وجهه فكرت: «لا يمكن أن يكون الفجر قد بزغ بعد». لكنه كان شخصاً آخر يتسلل بصمت من الباب غير المقفل، في هذا الفندق السيء السمعة يمكن لأي شيء أن يحدث. صرخت واختفى المتسلل.

أما حبيبي الذي أوقظته الصرخة فظن أنني جننت وفي الحال أمسك بي وكثفني خشية أن أقتله.

عندما أشعلت الضوء لأرى الوقت، لاحظت، لدهشتي، أن ملامحه كانت تتلاشى كالكتابة على لوح ممسوح. لم يمر وقت طويل قبل أن نفترق. بضعة أيام، لا يمكن أن تستمر على ذلك الحال طويلاً.

ثم اختفت المدينة، لم تعد فجأة، مكاناً سحرياً ومريعاً. استيقظت ذات صباح ووجدت أنها أصبحت وطني. رغم أنني لازلت أرفع ياقة معطفي بطريقة توحى بالوحدة ولازلت أنظر إلى نفسي في المرايا، فإنها أصبحت مجرد عادات ولا تدل على شخصيتي، كما كانت.

أصعب أداء في العالم هو التمثيل بطبيعية، أليس كذلك؟ كل ما عدا ذلك مصطنع.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الظلمة

كميل أودينو (فرنسا)
ترجمة: حسام الدين جلال



السيدة أوراي ربة منزل مقتصدة موفرة في مصروف بيتها، وهي تعرف قيمة كل قرش يدخل جيبها معتمدة على ترسانة من المبادئ القاسية الشديدة في كفة مضاعفة ثروتها. لدرجة أن خادماتها تجد صعوبة بالغة في توفير بعض المال لنفسها من المشتريات التي تقوم بها. أما السيد أوراي، فلا يحصل على مصروفه اليومي إلا بعد مشقة وعناء كبيرين.

مع هذا كله كانا مرتاحين هانئين بحياتهما، حتى دون أن يرزقا أطفالا. تعاني السيد أوراي معاناة شديدة وتتألم كثيرا لمشاهدتها النقود تخرج من جيبها. يبدو الأمر بالنسبة لها كجرح يمزق قلبها ويفطره فطرا. وفي كل مرة عليها أن تنفق بعض المال لأشياء ضرورية، وحتى هامة جدا، تمضي ليلتها وقلق كبير يؤرق نومها فيردد أوراي باستمرار على مسامع زوجته: «يجب أن تبسطي يدك بعض الشيء ولا تغليها إلى عنقك، لطالما أننا لن ننفق أبدا ما سندخره.» تترد عليه قائلة: «من يدري ماذا يخبئ لنا الدهر، الأفضل أن يكون لدينا الكثير من المال وليس القليل منه.»

السيدة أوراي امرأة قصيرة القامة في الأربعين من العمر، ترك الزمن أثره عليها بتجاعيد على وجهها، لكنها نشيطة ونظيفة، وغالبا عصبية سريعة الغضب. أما الزوج فهو دائم الشكوى من حرمان فرضته عليه زوجته، يعاني

منه معاناة شديدة، ومن المؤكد بأن هذا الحرمان كان يجرح كبرياءه. أوراي موظف كبير في وزارة الحربية وذو شأن، أما في بيته فهو مطيع زوجته في كل شيء بغية زيادة المال المدخر. لأجل هذا، وخلال عامين، كان يأتي إلى مكتبه حاملاً ذات المظلة المرقعة التي تثير الضحك لدى زملائه.

أخيراً طُفح به الكيل، ولم يعد يحتمل سخريتهم ولا تهكمهم عليه، فآلح على زوجته أن تشتري له مظلة جديدة. فأشفقت المرأة على زوجها واشترت له واحدة جديدة بثمانية فرنكات ونصف. في الواقع كانت المظلة الجديدة دعاية لأحد المحلات الكبرى.

ويمكن لأي شخص أن يعثر على واحد مثلاً بأرخص الأثمان، فهي بالآلاف في شوارع باريس. عاد زملاؤه في العمل يسخرون منه مرة أخرى، وعاد السيد أوراي يعاني الأمرين. فالمظلة لا تساوي شيئاً، وهي رخيصة رديئة، فلم يحملها سوى ثلاثة أشهر فقط. وانتشر الهرج والمرج في كل الوزارة، حتى أن الموظفين ألفوا أغنية على المظلة يرددونها من الصباح حتى المساء في كل مكتب من مكاتب بناء الوزارة الضخم.

لقد بلغ السيل الزبي، فطلب من زوجته أن تنتقي له واحدة جديدة من الحرير الناعم بقيمة عشرين فرنكاً فرنسياً، وأن تحضر معها إيصال الدفع.

فاشتريت له واحدة بثمانية عشر فرنكاً. وأعطتها له صارخة والشرر يتطاير من عينيها من شدة الغضب «ستحافظ على هذه المظلة خمسين عاماً على الأقل». أخذ أوراي يتبغدد في مكتبه منتشياً بالفخر الذي حققه وبالنجاح الذي حصل عليه. عندما يعود في المساء إلى بيته، تنتظر زوجته أول ما تنتظر إلى المظلة قلقة متفحصة، تقول: «عليك أن لا تتركها مربوطة بسلك من المطاط، فهذا يؤثر على الحرير ويقطعه، انتبه! تقع على عاتقك مسؤولية المحافظة عليها لأنني لن أشتري لك واحدة غيرها». أخذتها منه، فكت الحلقة وهزتها المفاجأة والصدمة. هناك ثقب في المظلة، كبير بحجم الفرنك. تفاجأت به في منتصف المظلة إنه حرق سيجار. فصرخت متلعثمة بكلماتها: «ماذا بها؟»

أجاب زوجها بهدوء وبرودة أعصاب دون أن ينظر «من ماذا، ماذا تقولين؟» في هذه اللحظة، كان الغضب يعتصرها عصراً ويخنقها خنقاً لدرجة لم تعد تستطيع الكلام. «لقد... لقد... لقد حرقت... م... مظ... مظلتيك. أذ... أنت بالتأكيد فقدت عقلك!... أنت تريد أن تدمرنا!» فاستدار قائلاً وقد أصابه الشحوب: «ماذا تقولين؟».

أقول لقد أحرقت مظلتيك. انظر... ووثبت نحوه كما لو أنها تريد القضاء عليه، وأرته الثقب الدائري واضعة المظلة في وجهه بعنف. فاضطرب من هول الصدمة لرؤيته الثقب وغمغم قائلاً: «هذا... هذا... ما هذا؟ أنا لا أعرف! لم أفعل شيئاً أبداً، أقسم لك».

عندئذ صرخت بوجهه قائلة: «أراهن بحياتي بأنك عبثت بها في مكتبك، بأنك هرجت ومرجت بها، بأنك فتحتها لتريتها لزملائك».

- «نعم فتحتها مرة واحدة لأريها لزملائي وأتفاخر كم هي جميلة، هذا كل ما في الأمر، أقسم لك».

ما سمعته لم يهدأ من روعها بل راحت تضرب الأرض بقدميها من شدة الغضب، ووضعت في جو من المشاحنات والمشادات، جو يجعل عش الزوجية أكثر رهبة من ميدان معركة حيث الرصاص كوابل المطر، آخر الأمر قامت بترقيق المظلة المثقوبة قطعة من الحرير مختلفة اللون قصتها من المظلة القديمة. وفي الغد انطلق أوراي إلى عمله حاملا المظلة المرقعة وقد بدت عليه مسحة الحزن واليأس. عندما وصل إلى مكتبه وضعها فوراً في خزانته ولم يعد يفكر بها، لقد أصبحت شيئاً يثير لديه ذكريات بشعة، في المساء وما إن دخل إلى بيته حتى أخذت زوجته المظلة من يده فتحتها وأخذت تتفحص حالتها. أما هو فقد أصيب بذهول كبير خانق أمام كارثة لا ينفع معها شيء، المظلة مليئة بالثقوب كالمنخل، ومن الواضح أنها نتيجة حرق أصابها، كما لو أنه أفرغ فوقها غليون مشتعل. لقد ضاعت، ضاعت دون أن يكون لها أي حل، لقد انتهت. تأملتها أوراي دون أن تثبت ببنت شفه، يتملكها الغضب الشديد لدرجة لم تعد تستطيع النطق ولو بحرف واحد. رأى هو الآخر الضرر الذي لحق بالمظلة فتجمدت أوصاله مذعوراً مذهولاً. من ثم نظرا إلى بعضهما البعض، أغلق عيني، وإذا بزوجته تلقي المظلة بوجهه صارخة بعاصفة من الغضب بعد أن استجمعت قواها: «آه يا نذل، يا حقير، لقد فعلت هذا عن قصد! سيكلفك هذا غالياً! لن تحصل على مظلة أبداً...».

تكرر هذا المشهد مرات ومرات، لكن بعد ساعة من عاصفة الغضب تلك استطاع أخيراً أن يعبر عما يحول في نفسه، أقسم لها أنه لا يعرف كيف حصل هذا، وأنه لم يكن ليحدث ما حدث إلا لأحد أمرين:

عدم انتباه أو عملية ثأر. في هذه اللحظة قرع الباب، لقد جاءه الفرج. إنه صديق جاء ليتناول العشاء معهما، أخيراً سيتخلص من الورطة التي وقع فيها. عرضت أوراي المشكلة على الضيف. بالنسبة لشراء مظلة جديدة الأمر مستحيل. زوجها لن يحصل على واحدة أخرى. فعلق الضيف على الأمر بحجج مقنعة.

«إذا يا سيدتي سيخسر ملابسه، وهي بتقديري تساوي الكثير» فردت المرأة غاضبة: «إذا سأخذ مظلة المطبخ، لن أعطيه مظلة أخرى من الحرير».

انتفض أوراي معترضاً على هذه الفكرة: «إذا سأقدم استقالتني، لن أنهب إلى الوزارة بمظلة مطبخ». فعلق الصديق: «قم بتبديل قماشها، هذا لا يكلف كثيراً جداً». غمغمت أوراي حانقة غاضبة: «هذا يكلف على الأقل ثمانية فرنكات. ثمانية وثمانية عشرة، أي ستة وعشرون فرنكا، ستة وعشرون فرنكا من أجل مظلة، هذا الجنون بعينه». تنهد الضيف المتوسط الحال قائلاً: «اطلبي من شركة التأمين أن تعوضك كلفة إصلاحها. فشركات التأمين تعوض عن الأشياء المحروقة، شرط أن يكون الضرر قد وقع في منزل».

هدأت المرأة من روعها بسماعها هذه الفكرة، وبعد لحظات من التفكير والتأمل قالت لزوجها: «غدا وقبل ذهابك إلى وزارتك، اذهب إلى مكتب شركة التأمين وقدم طلبا لتعويض المبلغ». فقفز أوراي منتفضا: «لن أجراً على القيام بهذا طوال حياتي كلها! إنها ثمانية عشر فرنكا خسرناها، لن نموت بسببها من الجوع».

في الغد، خرج إلى عمله ممسكا بعصاه دون مظله، ولحسن حظه كان الطقس جميلا. بقيت السيدة أوراي وحيدة في البيت دون أن تستطيع تقبل خسارة الثمانية عشر فرنكا التي لحقت بها في قرارة نفسها. كانت المظلة المنكوبة مسجاة على الطاولة في غرفة الطعام. راحت أوراي تدور حولها وهي تفكر بمخرج من هذه المشكلة، لكن دون جدوى كانت فكرة شركة التأمين تتبادر إلى ذهنها في كل لحظة، لكنها لم تكن تجرؤ هي الأخرى على تحمل نظرات السخرية والتهكم التي سيقابلها بها موظفو الشركة، لأنها في الواقع خجولة أمام الناس.

فهي تحمر خجلا لأتفه الأمور، وترتبك عندما يلزم الأمر أن تتحدث مع أغراب. بيد أن الحسرة والألم التي عانت منهما على الثمانية عشر فرنكا سببت لها معاناة شديدة، كجرح كبير. لم تكن تريد التفكير بالأمر ثانية، لكن كانت فكرة الخسارة الفادحة تؤرقها باستمرار ككابوس رهيب. لكن ما العمل؟ مرت الساعات تلو الساعات ولم تتخذ قرارها بعد.

وفجأة انقلب التردد الذي يسيطر عليها إلى حزم وجراءة. لقد اتخذت قرارها. «سأذهب وسنرى ما سيجري».

لكن عليها قبل أن تنهض أن تحضر المظلة لكي تبدو الكارثة طبيعية، معقولة، وسهلة الإقناع. تناولت عود ثقاب من على المدفئة وأحدثت حرقا بين أسلاك المظلة، كبيرا بحجم الكف. من ثم طوت بلطف ما تبقى من حرير المظلة، ربطته بسلك من المطاط، ووضعت شالها على كتفها وقبعتها على رأسها ونزلت السلالم بخطى حثيثة سريعة متجهة نحو شارع «ريفوري» مقر شركة التأمين. لكن كلما اقتربت من موقع الشركة تبطئ خطواتها. ماذا ستقول؟ وماذا سيردون عليها؟ أخذت تنظر إلى أرقام المباني، مازال هناك ثمانية عشر مبنى، حسنا جدا، هناك متسع من الوقت للتفكير. خفت من مشيتها، فجأة ارتعدت أوصالها، ها هي أمام باب كتب عليه بأحرف ذهبية لماعة «شركة التأمين ضد الحريق» وصلت بهذه السرعة! وقفت للحظة مرتبكة، خجلة. دخلت بهذه السرعة! وقفت للحظة مرتبكة، خجلة دخلت.. ثم عادت... ثم دخلت من جديد... ثم عادت وخرجت مرة أخرى، قالت في نفسها أخيرا: «يجب أن أدخل، والأفضل أن أسرع في الأمر بدل أن أؤخره».

لكن عندما دخلت إلى الشركة أحست بقلبها يخفق بشدة، وصلت إلى قاعدة كبيرة ذات كوات من حولها، يظهر من كل كوة رأس شخص حجب باقي جسمه بشبك من الخشب. فجأة لمحت رجلا يحمل أوراقا، توقفت أمامه وقالت بصوت

ناعم خجول: «عفوا يا سيدي... لو تفضلت... أين أقدم طلباً للتعويض عن الأشياء المحروقة». أجابها بنبرة رنانة: «الأول على اليسار، مكتب الكوارث». زادت هذه العبارة خجلها على خجل وزادت موقفها سوءاً فأحست برغبة شديدة بالانسحاب، بأن لا تتحدث عن أي شيء بأن تضحي بالثمانية عشر فرنكا.

لكن مجرد ورود هذا المبلغ في ذهنها، كان يدفعها إلى الأمام ويشجعها على الماضي قدماً من جديد. صعدت الدرج بأنفاس متقطعة متوقفة على كل درجة. المكتب الأول! رأت باباً، قرعت عليه. فجاءها صوت واضح. «ادخل». دخلت، وإذ هي بقاعة كبيرة فيها ثلاثة رجال بكامل أناقتهم يتحدثون واقفين. سألتها أحدهم: «ما الأمر يا سيدي؟» تلعثت بكلماتها وتأتأت قائلة: «أتيت... أتيت.. لأخبر عن كارثة» فأشار الموظف بكل تهذيب إلى كرسي لتجلس عليه «لو سمحت، تفضلي بالجلوس يا سيدي سأكُون معك خلال دقيقة واحدة».

عاد الموظف إلى الرجلين الآخرين واستأنف حديثه معهما: «يا سيدي لا ترى الشركة نفسها ملزمة تجاهكم بأكثر من أربعمئة ألف فرنك فرنسي، لا يمكننا قبول مطالبكم من أجل المائة ألف فرنك الأخرى التي تلحون على أن ندفعها لكم، وعلى كل التقديرات.... فقاطعه أحد الرجلين قائلاً: «هذا يكفي يا سيدي، سوف تبت المحكمة في ذلك، سوف ندعك الآن».

وخرج الرجلان بعد جملة من التحيات البروتوكولية، آه لو استطاعت الانصراف معهم، كان عليها أن تفعل ذلك، كانت ستخلص نفسها من هذه الورطة! لكن هل كان باستطاعتها ذلك؟

عاد الموظف إليها وانحنى نحوها قائلاً: «بما أستطيع أن أساعدك يا سيدي؟» فأجابت وهي تلفظ كلماتها بصعوبة بالغة: «أتيت لـ.. لهذا». خفض المدير عينيه باندھاش ساذج نحو الشيء الذي مدته لتريه إياه.

حاولت أن تفك السلك المطاطي ويدها ترتعشان. أخيراً نجحت بعد جهد جهيد، وفتحت فجأة بقايا المظلة المنكوبة فقال الرجل بشيء من الشفقة: «تبدو لي في حالة مزرية جداً» فأجابت بتردد: «لقد كلفتنى عشرين فرنكا». فرد مندهشاً: «حقاً، عشرون فرنكا».

«نعم، نعم لقد كانت بحالة جيدة جداً، انظر حالتها الآن». «من كل بد، نعم أرى ذلك، أرى ذلك، لكن لا أعرف بالضبط بما يمكن أن أساعدك، هل الأمر يخصني؟»

هنا وجمت واضطربت واحمر وجهها. لعل هذه الشركة لا تعوض عن الأشياء التافهة. أجابت بعد تردد: «لكن.. لقد حرقت». لم ينكر المدير هذا قائلاً: «نعم أرى هذا جيداً». ففتحت ثغرها لا تعرف بما تنطق! فجأة تذكرت شيئاً، فقالت باستعجال: «أنا السيدة أوراي، نحن مشتركون بالتأمين في هذه الشركة وأنا هنا لتعوضوا لي هذا الضرر». ثم أضافت بسرعة خشية أن يرفض طلبها: «

أريد فقط أن تبدلوا لي قماشها».

فقال المدير حائراً في امره: «لكن يا سيدتي نحن لسنا بائعى مظاهرات، نحن لا يمكننا أن نأخذ على عاتقنا هذا النوع من الإصلاحات».

أحسّت المرأة بالثقة تعود إليها، نعم لقد كان عليها أن تقاوم، وستقاوم حتى النهاية! ذهب عنها الخوف وقالت: «أريد فقط كلفة إصلاحها. أنا سأقوم بالباقي بدلاً عنكم».

فبدت على المدير علائم الحيرة: «حقاً يا سيدتي. هذا قليل جداً، اسمعي لم يسبق وأن طلب إلينا التعويض عن حوادث وأضرار بهذه الدرجة القليلة من الأهمية. لا يمكننا التعويض عن مثل هذه الأشياء: كالمناديل والقفازات والمكانس والأحذية، كل الأشياء الصغيرة المعرضة كل يوم لخطر الحريق».

فاحمرت خجلاً واستولى عليها الغضب: «لكن يا سيدي نشب عندنا حريق من نار المدفئة في كانون الأول الماضي حريق تسبب لنا بأضرار تقدر بخمسمائة فرنك على الأقل. لكن السيد أوراى لم يبلغ حينها عن شيء، ولم يطالب الشركة بشيء فمن الإنصاف اليوم أن تعوضني الشركة عن الأضرار التي لحقت بمظلتي!» فأجاب المدير بابتسامة بعد أن، كشف الكذبة التي روتها له: «من المدهش، كما ذكرت يا سيدتي بأن السيد أوراى لم يطالبنا بالتعويضات عن ضرر يقدر بخمسمائة فرنك، كيف تأتي أنت اليوم وتطالبينا بكلفة إصلاح المظلة التي تقدر بخمس أو ست فرنكات».

فأجابت دون تردد أو خوف: «عفوا، فمبلغ الخمسمائة فرنك قيمة أضرار الحريق السابق تخص السيد أوراى، أما مبلغ الثمانية عشر فرنكاً فتعود إليّ شخصياً، وكما ترى الأمر مختلف» لا حظ المدير بأنه لن يتخلص منها بسهولة وبأنه سيضيع وقته معها دون فائدة، فقال لها: «تفضلني أخبريني كيف وقع الحادث».

هنا أحست بنشوة النصر الذي حققته وأخذت تروي قصتها: «ها هي يا سيدي، عندي في المرش شيء من البرونز أضع فوقه الشمع وأعواد الثقاب ذات مرة مددت ذراعي وأخذت أربعة أعواد ثقاب قدحت واحداً، فلم يشتعل جربت الثاني لم أنجح حاولت بالتالي ففشلت أيضاً». هنا قاطعها المدير مداعباً: «هل أعواد الثقاب من صنع القطاع العام؟» لم تفهم ما عناء وتابعت: «يمكن أن يكون كذلك، أخيراً قدحت الرابع فنجحت وأشعلت الشمعة، ثم دخلت إلى غرفتي لأرقد للنوم».

لكن بعد ربع ساعة، شممت رائحة حريق ما. أنا أخاف كثيراً من النار. فقلت في نفسي آه لو كان هناك حريق في بيتي لن أكون أنا السبب. وخاصة بعد حريق المدفئة الذي حدثت عنه والذي من حينه لم يهنا لي عيش، فنهضت وخرجت من غرفتي أفتش في البيت، وأنا أشم في كل أنحاء البيت ككلب صيد. اكتشفت أخيراً بأن مظلتي تحترق. ومن المحتمل جداً أن عود ثقاب سقط داخلها. أترى الحالة التي أصبحت عليها الآن...؟»

أجاب المدير بدوره، سألها: «بكم تقدرين قيمة الأضرار؟»
سكتت ولم تجب. لم تجرؤ على إعطاء رقم محدد. أخيرا أجابت: «تولي أنت
بنفسك أمر إصلاحها لي، سأترك الأمر لك».

فرفض قائلاً: «لا يا سيدتي، قللي لي كم تريدن؟»
أعتقد.. أن... حسناً يا سيدي أنا لا أريد أن أربح عليك... أنا.. سأقوم بأخذ
مظلتي إلى صانع المظلات، وهو سيغير قماشها بحريز من النوع الجيد، حريز
متين يدوم طويلاً، وسأجلب لك الإيصال، هل يناسبك هذا؟.
تماماً يا سيدتي هذا واضح، هذه ورقة مني للصندوق الذي سيقوم بالدفع». .
قدم المدير بطاقة للسيدة أوراى، أخذتها ومن ثم نهضت وخرجت تشكره
مسرعة خشية أن يغير رأيه.

أصبحت تمشي الآن واثقة الخطى سعيدة. بحثت في الشارع عن محل
مظلات رفيع المستوى. وعندما رأت محلاً تبدو عليه الفخامة، دخلت وقالت
بصوت واثق هادئ: «ها هي مظلة، أريد أن تضع لها قماشاً جديداً، من الحريز
الجيد. ضع لها أفضل ما عندك من أنواع الحريز، لن أبحث معك في السعر».



السؤال

● فاسيليس اليكساكيس (اليونان)
● ترجمة: محمد صوف / المغرب
أنا الآن أجلس إلى جذع شجرة،
أقرأ الجريدة بهدوء، أسمع صوت
طفل يقول:

- أتلعب معي الكرة؟
طفل صغير. سبع سنوات
تقريبا... وجه لطيف... شعر أشقر
مجعد.

- خسارة... يقول
يولي بظهره ثم يبتعد ببطء،
وهو يضرب الكرة بقدمه، لقد
فاجأني اقتراحه، يبدو المسكين
قلّة. لا أحد في الغابة في هذا
الوقت. ولا أحد في الضواحي
إطلاقاً.

إنه آخر النهار، بدأت أشعر برطوبة
المساء، أوشكت على الانتهاء من
قراءة الجريدة نفس الصوت يقول:

- أنا جائع
يقف الطفل على بعد متر واحد مني
وقد وضع قدمه اليسرى على الكرة.
أقول له:

- عليك أن تبحث عن والديك.
يحدثني بنظرة وفجأة ينفجر
ضاحكا.

- ماذا حدث؟
ضحكته تثيرني. أطوي الجريدة.
أنهض. أحكم إغلاق سلسلة معطفي.
حسن. إذن.... مع السلامة!

أشعر في مغادرة المكان. لكنني لا أستطيع أن أتركه هنا وحيدا
- ألا تبحث عن والديك؟ هل جئت مع والدتك؟
- لكننا جئنا معا يا والدي!
أحرق فيه لحظة وأنا غير قادر على قول شيء. لم يعد يضحك. يركز بصره
عليّ ببراءة أسأله محالوا أن أتكلم بهدوء.
- أنا من تناديه أباك؟
لا يعير اهتماما لسؤالي. يقول:
- لنذهب... إني أشعر بالبرد.
- إلى أين تريد أن تذهب؟
يبدو أن سلوكي أغاظه. يصرخ
- إلى البيت!
- اسمع يا صغيري لا تغضب وإلا غضبت أنا أيضا.
- أريد أن أذهب بك إلى بيت والديك، لكن يجب أن تقول لي أين هما.
لم يكن عليك أن تأتي وحدك إلى الغابة، وأنت في هذا السن. أليس كذلك؟ قل
لي إذن مع من جئت؟
- جئت معك يا والدي!
لعل الطفل أحمق. هل يمكن أن يكون شخص في سنه أحمق؟ لعلها لعبة...
لكن أي أنواع اللعب هي؟ لقد ضاع في الغابة. الأمر واضح...
جاء نحوي لأن لا أحد غيري هنا. أقول له:
«لنذهب من هنا. قد نجد أحدا نعرفه...»
يمشي خلفي غير متسرع. أسمع ركضه بين الحين والآخر. أتوقف فجأة!
- لعلك تسكن قريبا من هنا. جئت وحدك للغابة، اليس كذلك؟
تحت ذراعه الأيسر كرتة، وفي يده اليمنى غصن شجرة.
- ألا ترد!
- إني أشعر بالبرد يا والدي.
أشعر بأن علي أن أحمله بين ذراعي، أزيح معطفي وأضعه على كتفيه
الصغيرتين.
- لا أفهم لماذا تناديني بابا. قلت - أنا لست أباك، إن عمري إثنتان وعشرون
سنة، لا يمكن للإنسان أن يكون أبا لطفل كبير مثلك في سن إثنتين وعشرين
سنة. أفهمت؟
نستأنف السير، لا أرى أحدا. ماذا سأفعل بهذا الطفل؟ لاشك أن والديه عادا
إلى البيت. لعلهما أخبرا الشرطة عنه. أسأله:
- أين تسكن؟ أتعرف اسم الزقاق الذي تسكن فيه؟
بصوت خافت يرد:
- زقاق مورو.
أمل ألا يخطئ. يبدو أن مورو اسم الزقاق

- حسنا سنأخذ سيارة أجرة

نصل إلى زقاق مبلط

- سنتنظر هنا... هل تعبت؟

يقول «نعم» برأسه، ينظر إلى الغابة التي تمتد على الجانب الآخر من الرصيف، ماذا سأفعل عندما أدخل إلى البيت؟ سأهيء أكلة بالبيض، ثم أنام. وإذا استطعت سأراجع درس الأدب في الفراش.

سأستمع إلى الراديو، سأرتاح في سريري، ها هي أضواء الطريق تشتعل.
- ما اسمك؟

أشعر بأن شيئاً يتفاعل في داخله، شفتاه ترتعشان ثم يندفع إلى أحضاني وتتدحرج الكرة على الأرض، يضمني إليه بقوة بيديه، لعله يبكي، أداعب خصلات شعره.

- ألا تريد أن تقول لي ما اسمك؟

- لكن تعرف اسمي يا والدي!

نعم إنه يبكي، ها هي سيارة أجرة! تقف، آخذ الكرة والطفل من يده ونركض نحو السيارة.

- «زقاق مورو»

إذا قال لي السائق إنه لا يعرفه معناه أن الزقاق غير موجود، لا يقول السائق شيئاً، تنطلق السيارة، أجلس في المقعد الخلفي مرتاحاً، أنا الآن مطمئن.

نتوجه نحو الشمال، نحو الشمال، نحو سان مانديه، ثم نسلك الطريق الخارجية ونستمر في السير نحو الشمال.

نخرج من الطريق الخارجية إلى باب لي ليساس، ندور في المدار، ندخل باريس، ينظر الطفل إلى الخارج عبر النافذة، تلمح علي الرغبة في سؤاله «هل تعرفت على المكان؟ لكني لا أقول شيئاً.

ندور على اليمين. أحاول أن أقرأ اسم الزقاق، إنه زقاق مورو!

- أين هو بيتك؟

- هناك... حيث علامة ممنوع المرور

أقول للسائق:

- قف هناك من فضلك... حيث علامة المرور

- لقد سمعت... يقول هو.

عمارة عصرية، أصغر قليلاً من برج، لم أكن لأفاجأ لو وجدت سيارة شرطة في الزقاق وشرطيين في مدخل المبنى أو حتى رجلاً يرتدي منامة... لكن... لا أحد.

- في أي طابق؟

- الخامس

ماذا لو تركته هنا؟ لو تركته يصعد وحده؟ لم يعد لدي ما أفعله هنا، ولا رغبة لي في رؤية والديه وفي أن أضيع وقتي وأحكي لهما ما حدث. وجدت أن هذه

الدعابة طالت بما فيه الكفاية. أريد أن أعود إلى بيتي. إنني أشعر بالتعب كما لو بذلت مجهودا فوق طاقتي، وفوق إرادتي أيضا. إنني أشعر بأن الصبي ضحك علي. أتفادى النظر إليه. لم أعد أطيق وجوده. تنفتحت بوابة المصعد. لنذهب.

يدخل إلى المصعد، لازلت أحمل الكرة، أضغط على زر الطابق الخامس. إن قلبي يدق بشكل غريب.

نصل. يهرع الطفل إلى الباب، يقف على أصابع قدميه ليدرك الجرس. تفتح الباب امرأة، ترتدي قميص نوم بنفسي مطرز بأزهار بيضاء، شعرها مجعد وجهها جميل، تقترب من الأربعين، تقبل الطفل بسرعة... لا يبدو عليها أنها لاحظت وجودي. تختفي داخل البيت، يتبعها الصغير، تاركة الباب مفتوحا.

أقف هناك، ألاحظ في ركن الصالون حقيبة قديمة وسجادا أبيض، أنتظر قليلا ثم أحشر رأسي في إطار الباب وأقول.

- من فضلك سيدتي!

تأتي السيدة إلي:

- سأذهب الآن يا سيدتي.. كان عليك أن تشكريني على الأقل!

تبدو ضاحكة؟

- أشير إلى أنني لم أكن مرغما بتاتا على الإتيان بطفلك إليك.. إن لدي أشغالا أخرى...

اسمع. أرجوك أن توقف هذه التمثيلية.

- أي تمثيلية يا سيدتي؟ أي تمثيلية؟

- لا تصرخ... سيسمعنا الجيران.

- لا يهمني! ثم إنني لم أسمح لك أن تكلميني بصيغة المفرد.

- اسمع يا جان أوقف هذه التمثيلية أرجوك!

تقترب نحوي بخطوات خائفة مترددة.

- أتعرفين اسمي؟

- طبعيا يا جان

لعلها صديقة لوالدتي، صديقة لم أرها منذ زمن بعيد، بعيد جدا.

ترقص ببالي هذه الفكرة «تدع طفلها في الغابة وتظاهر بمعرفة الشخص الذي جاء به إلى البيت، كيف عرفت اسمي؟

ترد:

- سنتحدث في الداخل بكامل راحتنا أليس كذلك؟

ماذا سأخسر لو تبعتها؟ أريد أن أعرف كيف خمنت اسمي.. ندخل. تقول:

- اجلس...

- لماذا تحدثيني بصيغة المفرد؟

- لا أعتقد أنني كلمتك يوما بصيغة الجمع! لم أفعل ذلك حتى في أول يوم

التقينا فيه .

- هل أنت متأكدة أننا التقينا من قبل ؟

ها هي تضحك، كما فعل طفلها من قبل، ضحكة يهتز لها جسدها كاملاً .
إنها حمقاء، لاشك في ذلك، وطفلها أيضاً أحمق .

- طبعاً أنا متأكدة من ذلك تمام التأكد ...

- أنت مجنونة !

- تستطيع أن تكلمني بصيغة المفرد، أعتقد أن بإمكاننا أن نفعل ذلك بعد خمس عشرة سنة من الزواج .

يبدو أن حديثنا يثير ضحكها . لقد نجحت في أن تثير ابتسامتي . أقول :

- نحن متزوجان منذ 15 سنة !... أعتقد أنها مدة طويلة

- طويلة ... بالطبع ...

- ونحن متفاهمان .. بشكل عام

- نعم، لم يحدث بيننا مشادات عنيفة، إذا كان هذا ما تقصد، أنت تعيش حياتك وأنا حياتي لا نتقاسم شيئاً كبيراً !.

- ماذا تعيين علي بالضبط ؟

- كونك لا تساهم بقسط وافر في الحياة العائلية، وإذا حدث واهتممت بباتريك . فأنت تثور بعد خمس دقائق وتؤنبه لأتفه سبب ... لأنه لم يحكم إغلاق الحنفية، لأنه ترك لعبة في البهو، لأنه لا يسرع في ارتداء ثيابه، تريد أن نبتعد عنك . لا نأكل قط على مائدة واحدة نحن الثلاثة .

- ليس لنا سوى طفل واحد ؟

- نعم

تشعل سيجارة . تعود ملامح وجهها جادة تبدو متعبة .

- إذا تزوجت - قلت - سأكون كما وصفت . لكني الآن لا رغبة لي في الزواج . لا أرغب في أن يكون لي أبناء وأن أكون مرغماً على العمل لإعالتهم . لا أريد أن أصبح عبداً لأحد . أنا سعيد هكذا . أفهمت .

تقول المرأة :

- مسكين يا جان !

لا داعي لأن أسألها كيف عرفت اسمي . ستقول لي إن الأمر طبيعي لأننا متزوجان ! لقد نطقت باسم مصادفة فأصاب، إنه اسم تافه، لعل زوجها أبا ولدها، اسمه أيضاً جان ؟ ألاحظ على أحد رفوف المكتبة صورة رجل في الأربعين أو الخامسة والأربعين . أصلع لعله هو زوجها . لعله هجرها وذهب مع امرأة أخرى . لعله ذهب ببساطة ليعيش وحده . لعله هو السبب في فقدائها لصوابها، وتعتقد أن كل من تلتقي به زوجها . تناديه جان وتخطبه بصيغة المفرد ... لرجل الصورة وجه جد عاد لا يحمل نظارتين . ولا لحية له . إنه يشبه عدداً من الناس سأشبهه عندما أدرك سنه . لقد بت أفقد شعري، مسكينة هذه المرأة ... لا أستطيع أن أقول لها أي عندما أتزوج سأتزوج واحدة من سني لا امرأة عمرها أربعون سنة .

- حسنا. يبدو أن اللعبة طالت، سأعود إلى بيتي...

تسألني:

- وأين هو بيتك؟

- إنني أسكن قرب ساحة إيطاليا في غرفة خادمة... ليست بعيدة عن الكلية

تظل جالسة على السرير ترمقني بانتباه مبالغ فيه...

- ما اسم الزقاق؟

لماذا تطرح عليّ هذا السؤال؟ وجهي يحترق، إنني أجتاز امتحانا. في كل مكان

داخلي اصطقق باب

- لماذا هذا السؤال؟

- هكذا! ألا تذكر؟

أرى جيدا الزقاق الذي أسكن فيه. في زاويته الكنيسة والمقهى والمرآب...

- هل هناك أشجار؟

- نعم على الجانب الأيسر...

وفجأة يأتيني اسم الزقاق... وأقول:

- زقاق سالفيرينو.

- أنت تسكن هناك حيث عرفتك... أذكر الغرفة قليلا، كانت جدرانها مغلفة

بالورق الملون بالورود أليس كذلك؟ وكان السرير حقيرا جدا.

- إنني لازلت أسكن هناك يا سيدتي ها هي المفاتيح

- أريها محفظة مفاتيحي ويدي ترتعش

- إنها مفاتيح هذا البيت.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- أين هو الحمام؟

- مسكين يا جان؟

- أين هو الحمام؟

سؤالي يحيرها.

- في البهو.... الباب الأول

أسرع إلى البهو وأفتح الباب ألتمس الجدار باحثا عن زر النور. أجده. فوق

المغسلة مرآة. أنظر إليّ في المرآة... هذا ما كنت أخشاه... إنني أرى الشخص

الذي في الصورة.

Vassilis Alixakeis

فاسيليس أليكساكيس

كاتب يوناني. ولد سنة 1943. يعيش في فرنسا منذ سنة 1968. صحفي

ورسام أصدر ثلاث روايات وكتب عدة سيناريوهات للسينما.

اصطراص

على الطريق

• دينو بوتزاتي / إيطاليا
• ترجمة: د. منذر عياشي

- قل أيها الأستاذ، ماذا يوجد
خلف السياج؟
- يوجد شيء خلف السياج،
ومن الأفضل ألا نعرفه.

- وماذا يوجد خلف الزاوية؟
- يوجد الملل خلف الزاوية. إنهم
ينتظمون خيطاً، الواحد تلو الآخر،
وإنهم ينتظرون أن يمر شخص،
فأي واحد منكم يريد أن يمر؟
- وماذا يوجد خلف الحاجز؟

- خلف الحاجز، يوجد الطريق،
والحصى، والغبار، حصى أو زفت
معدني، والإسفلت، بالإضافة إلى كل
العلامات التي حددها القانون، وعلى
الجوانب، هناك النصب التي تقول
للسواح: ها قد مضى عشرون متراً،
وهناك عشرون متراً أيضاً، ولقد
يحترق الغبار، والحصى، والإسفلت،
ولا ينتهي ذلك أبداً، ولقد يطير
الطريق ويتجاوز الغابات والجبال،
وإننا لنراه يتوارى هناك في البعيد،
فإلى أين يقودنا؟

- نعم، نعم يا أستاذ. اقصص علينا
قصص الطرق الكبرى، فمن يدري ما
رآه الطريق، ومن يدري عدد الناس
الذين ساروا فوق الغبار، والحصى،
والزفت المعدني، والذين ربما لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يزالون، يجرون ماداموا يستعجلون الوصول. أين؟ أين؟ اقصص القصص علينا.

- سأقص، يا أولادي، قصة العبور المأساوي، وإذن - لقد كانت هناك «ستمئة»، فأرادت أن تتجاوز عربة واقفة، بينما وصلت شاحنة في الاتجاه المعاكس، فما الذي رتب له، هذا لا نعلمه بالضبط، لقد كانوا خمسة في السيارة، وكان يبدو أن أعمارهم جميعا تتراوح ما بين الثلاثين والأربعين عاما، ولقد جرى الحديث عن شقراء جد جميلة، ينسدل شعرها الجميل على كتفيها، إنهم استطاعوا أن ينجوا بأنفسهم من الشاحنة، ولكن في اللحظة الأخيرة، ومع السرعة في العودة إلى اليمين، لامس الصدام الخلفي عجلة من عجلات العربة، لقد لمست لمسا خفيفا، وبالفعل، إنه لأمر لا يكاد يكون شيئا، ولكنكم تعلمون كيف أن هذه السيارات خفيفة، وربما كان الإسفلت غمرا أيضا، وفي النتيجة، فقد بدأوا بالانزلاق هنا وهناك، والخلاصة، لم يحصل شيء رهيب، لأنه لم يصل أحد بعد الشاحنة، وكان الطريق حرا، فهل يمكن أن يكونوا قد انعطفوا انعطافة سيئة؟ هل شددوا على الكوابح؟ لقد كانت السيارة ستقف من غير أضرار عندما مرت فوق صخرة أو فوق حدة، من ذاك الذي يعرف. إنها انزلقت، ثم انقلبت على الجنب. ولكن من غير أضرار، وبهدوء، فإن أحدا لا يستطيع أن يؤدي نفسه أذية كبرى، ولكن مثل هذه القضايا، لا ندري أبدا كيف

تنتهي، فأثناء السقوط، حدث شيء لا محالة، لأن خزان الوقود انفجر، ولم تعد السيارة سوى محرقة، وأخذ الخمسة يصرخون في الداخل، وحاولوا فتح الباب، ولكنه انسد، ووصل فلاحو العربة، وسائقو الشاحنة، وسائقو شاحنة أخرى، كان الوقت شتاء، وحل الظلام، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يقترب من اللهب؟ لقد حاول ذلك سائق لمرتين، وحمل وجهه بغطاء، بيد أنه لم ينجح إلا في حرق اليدين، أما الخمسة في الداخل، فقد كانوا أحياء، وكانوا شبابا، سليمين وأحياء، غير أنهم أصبحوا مجانيين إذ فكروا أنهم سيموتون بهذه التفاهة كما تموت الفئران، ولقد صرخوا: «النجدة، النجدة. تعالوا افتحوا لنا. بسرعة، بسرعة». «أخرجونا من هنا». وحاول سائقو العربة وسائقو الشاحنات، ولكنهم لم يستطيعوا اقترابا، كانت ترى ثياب الخمسة وقد أصبحت سوداء، كما كان يرى شعر الشقراء وهو يحترق احتراق الهشيم، «تعالوا افتحوا لنا، جبناء». هكذا كانوا يصرخون، «ملعونين، ملعونين، لا تتركونا نموت هكذا». ولقد تعرضت إلى أحد هؤلاء السائقين، فقال لي إنه خاض ثلاثة حروب، وأنه مر بكل ألوان التجارب، ولكنه لم يرق شيئا مرعبا بهذا القدر الذي رآه في هذه، حيث كان في داخلها خمسة شباب يلقون الموت وهم يلعنون العالم. «خنازير، ملعونون، قذرون»، هكذا كانوا يصرخون، خاصة المرأة منهم، فقد كانت تقول: «ستموتون بالسرطان،

يجرون بالسيارة، لا لسبب آخر سوى شبابهم، ومما لا ريب فيه، إنهم كانوا سيذهبون لممارسة الحب. أما الصغیرتان، فقد كانتا نموذجین وحشیین ومستعدتین لكل شيء، وكانت إحداهن، في لحظة معينة، تقول لدانيلو: «اسمع، يا إعلان، هل أنت قادر أن تتجه رأساً نحو السيارات التي تصل إلينا من عل، ثم تنزاح عنها في اللحظة الأخيرة؟ إننا نسمي هذا لعبة اليمامة، ذلك لأننا نظن أن اليمام سيدهس نفسه فوق الطريق، ولكنه يطير في اللحظة الأخيرة، فهل أنت قادر، يا إعلان؟

أجاب:

- أولاً، أنا لا أدعى إعلان، ثم إنني أجيد هذا اللعب الذي تتحدثين عنه، غير أنه لا يناسبني، لأنك تعرفين ما تفعلين ولكنك لا تعرفين ما يدور في دماغ هذا الذي يصلك من عل، وربما ينزاح هو أيضاً في اللحظة الأخيرة من الجهة نفسها، وحينئذ، ننتهي مسطحين مثل فطيرة محلاة.

- إذا كنا قادرين ولكننا لا نجرؤ، فكأننا غير قادرين، فافعل ما يفعله واحد من الشباب.

قال الآخر:

- بالتأكيد، لا يجب الخوف. وفي النتيجة، بدأوا يضايقونه، واستمر هذا خلال كيلومترات وكيلومترات إلى أن أضاع صبره وقال:

- حسن، اصغوا إليّ جيداً أيها المخطّون. إنكم ترون هذين الضوئين الأزرقين اللذين يصلان، وإنني لأستشف من اللون أنها يجب أن

وأطفالكم سينفزون»، ثم اختلط الكلام في نصيب واحد وصار حشرجة، ثم لا شيء، لم تدم المسألة سوى ثوان، فلقد احترقوا حتى العظم، وحتى لوحة السيارة، فقد احترقت، ولم يُعرف أبداً من كانوا، ولكن هذا السائق قال في النهاية - والسيارة ما زالت مغطاة باللهب - في النهاية إنه رأى وصول ستة أو سبعة أشخاص سود من الريف المجاور، وكانوا يشبهون الراقصين، هكذا وصفهم لي، كانت لهم أذنان طويلة، ولقد عبر هؤلاء الأشخاص اللهب، وسحبوا إلى الخارج هذه المخلوقات الممسوخة، ذلك لأنهم أصبحوا مسوخاً حقيقيين، وقد قال لي السائق إنهم كانوا الأرواح، وإن هذه الكائنات السوداء إنما كانت الشياطين الذين حملوهم إلى جهنم، ولكن من ذا الذي يعلم إن كان هذا الخبر صحيحاً. إنه لجميل، يا أستاذ، أن نسمعك تروي قصص الطرق للكبرياء كن لطيفاً، هلا رويت لنا قصة أخرى.

- جيد، سأروي لكم قصة من قصص الشباب، لقد كان ذلك في أمريكا، في مساء من شهر حزيران، السنة الماضية، ثمة طلاب خمسة، ثلاثة شباب وفتاتان، وكان على المقود واحد يدعى دانيلو، أما الآخرون، فلا أعرف أسماءهم، كان دانيلو هذا ابناً لصناعي غني، وكان في المدرسة الأول دائماً على الصف، كما كان بطلاً في كل الرياضات، وهو يعد ضرباً من العظماء الصغار، وربما كان الصبية الآخرون يكرهونه من أجل هذا، وفي هذا المساء كانوا

تكون «كونتينانتل» آخر صرعة، قطعة قوية وجميلة؟ أنا، الآن، أسرع فوقه، وعندما أكون قد وصلت بالقرب منه، اصغوا إليّ جيّدا، يا قفائي الذي لن أزعجه، سأدخل فيه بسرعة فائقة، وسنرى جيّدا ما الذي يجري.

فهل تفهمون؟

أجابته إحدى مراهقات اليايا:

- أنت يا علان، لست سوى مهرج. أنت تشير ضحكي. أبدا، أبدا، لن تكون قادرا على فعل هذا. آه، لا.

ومع ذلك، فإن الضوئين الأزرقين، قد اقتربا بسرعة كبيرة ولم يبق سوى مئتين أو ثلاثمائة متر. كرر دانيلو الجميل: آه، لا.

وفي اللحظة الأخيرة فقط، في النهاية، فهم الرفاق الأربعة المرحبة المرعبة، وبدأوا بالصراخ، في السيارة ذات الضوئين الأزرقين كان يوجد ثلاثة موتى، وفي سيارة الطلاب، ثمة واحد نجى، إنه هذا الذي يروى.

- آه! يا أستاذ، إنه لأمر مذهل سماع هذه القصص الجميلة من قصص الطرق الكبرى، هيا كن لطيفا، ما زال الوقت باكرا، لماذا لا تروي لنا منها قصة أخرى؟

- جيد، ما دام الأمر كذلك، فسأروي لكم قصة الحب الأمومي. إذن كان يوجد أم عجوز تنتظر عودة ابنها من روسيا منذ عشرين سنة، وبالفعل، إنها لا تزال حية، لقد اختفى الابن خلال الانسحاب الكبير، وقد قال بعضهم إنه وقع في الأسر، ولا أحد يعرف شيئا أكيدا، ولكنكم تعرفون ما

هو أمل الأم، إنه بالمقارنة مع بلدوزر من الذين يبقرون الجبال، ليس سوى نملة، طيب، عشرون سنة بعد ذلك، والسيدة العجوز تنتظر دائما، وبما أنها كانت تسكن في ضاحية المدينة، فوق الطريق الكبير الذي يأتي من الشمال، فقد كانت تقف في نافذتها كل يوم لتنظر نحو الأسفل إلى السيارات والشاحنات التي تصل من الشمال، ففي واحدة منها يمكن أن يكون ولدها، وكان قلبها مع كل سيارة تظهر في الأفق، وتقترب، يبدأ بالخفقان، وبما أن الطريق كان ممرا مستمرا، فقد كانت في كل الأوقات في وجيب، ولم تكن تملك دقيقة راحة، وكان كل هذا رهيبا. بيد أن هذا كان هو الطاقة الوحيدة التي تبقّيها حية، وتحت بنائها بناية كبيرة من عشرة طوابق، يوجد في الأسفل بالخطيب مفرق طرق مشهور باصطدامات مرعبة تحدث، وسواء تعلق الأمر بنظام النظام، أو بإشارات مرور سيئة التعيير، أو بتقاطع مسحور حيث لا تفيد العلامات، ولا رجال الشرطة، ولا المراقبة، لأن لعنة غامضة تتحرك، فباختصار إنه لا يمر يوم من غير أن يشهد واحدا من هذه الحوادث البشعة، والسيدة العجوز في النافذة تنظر، وماذا لو أن ابنها كان يوجد في واحدة من سيارتين عائدا من روسيا؟ إنها تهرع إلى الشارع والقلب مقبوض، كانت تجري لترى من هم الموتى والجرحى، فأني انفراج كانت تشعر به في كل مرة! لم يكن ابنها العزيز قط في هذه السيارة، أي حظ! كانت السيدة العجوز تصلي،

ولطفاء لو لم يكونوا على الدوام
جياعا، ولكن شهوة الطعام عظمى،
وكان الذئب حينئذ، في الظل،
مختبئين خلف الجذوع، كما كانوا
يرصدون، فذات يوم أو آخر، سيمر
الإمبراطور، وقد قرروا مهاجمته.
وكان الإمبراطور يرتحل على
الخيول ومع البيارق، وكانت عربته
من الذهب، وكان الموسيقيون
ينفخون في الأبواق وهم يدورون،
وتأتي العربات خلفهم محملة
بالمؤن واللحم والخنزير المقدم،
والدجاج الفرعوني، ومرتديلا
الموديم، ومحار الأوستاند، والفطائر،
والكاتو من كل الأنواع.....

وتنظر حولها متألفة، وتقول: «الحمد
لله، تبارك الله». وإنها لتكون في هذه
اللحظة امرأة سعيدة، ويتكرر الأمر
مرة أخرى، وبمثل المفجزة يكون
ابنها ناج، وطبيعي أن يظن الناس
كلهم أن بها جنة.

- شكرا يا أستاذ، فهذه كانت جميلة
أيضا، ولكن الوقت مازال غير متأخر،
هل تدري ذلك، هيا، كن لطيفا،
واقصص علينا قصة صغيرة من
قصص الطرق الكبرى.

- طيب يا أولاد. ما دام الأمر هكذا،
فسأقص عليكم قصة الذئب، وإليكم
هي: توجد غابة سوداء يمر الطريق
عبرها، وكان الذئب يعيشون في هذه
الغابة، وقد كان يمكن أن يكونوا طبيين



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

(الشمس) (*)

الشاطئ

ترجمة: محمد بنعبود / المغرب

ولد جواو غمراييس روسا (1908 - 1967) بولاية ميناس غراييس. عمل طبيبا بمدينة صغيرة بجنوب البرازيل، أصبحت إطارا لأعماله الإبداعية الأولى. ولج، سنة 1984، سلك الدبلوماسية. نشر كتابه الأول سنة 1951.

كان أبونا - حسب شهادة أشخاص ثقات كثر، عندما كنت أسألهم - رجل كلمة، منظما، وحاسما منذ طفولته وشبابه الضارين في الزمن. أما فيما يخص ما أذكره شخصا، فإنه لم يكن أكثر غرابة أطوار من الناس الذين نعرفهم ولا أكثر حزنا منهم. فقط صموتا. خلال الحياة اليومية كانت أمنا هي التي تقوم بشؤوننا، وهي التي تعنفنا: أختي، وأخي وأنا. لكن ها هو ذا أبونا، ذات يوم، يقرر أن يصنع قاربا. الأمر جاد. استصنع قاربا خاصا،

من خشب أصفر، صغيرا، فقط بلوحة واحدة، كما لو ليسع مجدفا واحدا. لكنه ألح على أن يكون مصنوعا بشكل كامل، فأتى متينا ومقوسا بشكل حاد، بإمكانه أن يظل على الماء عشرين أو ثلاثين سنة. أمنا أرغت وأزبدت في معارضة هذا المشروع: هل هو - الذي لم يكن يجد متعة في هواياته - من سينخرط اليوم في جولات صيد وقنص؟ أبونا لم يجب. بيتنا، آنذاك، كان لا يزال قريبا جدا من النهر، بما لا يزيد عن حوالي ربع فرسخ: كان النهر يمتد إليه ضحما، عميقا، وصامتا كالعادة.

وكان النهر عريضا إلى درجة أنه لم يكن ممكنا رؤية ضواحي الضفة الأخرى. ولا يمكنني أن أنسى اليوم الذي أنهى فيه القارب .

بلا سعادة ولا قلق، مسح أبونا قبعته وقرر أن يودعنا. لم يتلفظ حتى كلمات أخرى، لم يأخذ لا أنية طبخ ولا ملابس، ولم يدل بأية وصية. أمنا، كنا نظن أنها ستعرب عن غضبها، إلا أنها ثبتت في بياض امتقاعها وهي تعض على شفتيها وتقول في الأخير كالمشتكية: «ستذهب، ستبقى هناك، لن تعود أبدا». لم يجب أبونا. ألقى على خلسة بنظرة، مشيراً علي بمرافقه لبضع خطوات. خشيت سورة أمني إلا أنني امتثلت، خفية. تحول مجرى الأحداث كان يحفزني، وذهب بي حـدد أن قلت: «أبي، ستأخذني معك على متن المركب؟» لم يفعل إلا أن حول نظرتي في اتجاهي، وباركني بحركة أرجعتني للوراء: تظاهرت بالانصراف، إلا أنني التفت

من جديد، مختلفيا في الغابة، كي أعرف. دخل أبونا المركب فأرختي القلوس شارعا في التجديف، فذهب المركب كتمساح، بظله الطويل الطويل. أبونا لم يعد. لم يكن قد انصرف لأي مكان. فقط كان ينفذ فكرة أن يظل في فضاءات النهر هذه، في منتصف الطريق، ودائما على متن المركب، لا يغادره، وإلى الأبد. هذه الحقيقة الغريبة أفلحت في إصابة الجميع بالذهول. ما لم يكن حاصلا، وقع. أقاربنا وجيراننا ومعارفنا أخذوا يجتمعون ويتشاورون.

أمنا الشاعرة بالخزي، كانت

تتصرف بحذر كبير؛ ولهذا السبب، كانوا جميعهم يعتقدون، دون أن يفصحوا عن ذلك، بأن سر تصرف أبينا يسمى: الجنون. بعضهم فقط كان يعتقد أن الأمر قد يكون أيضا ذا صلة بتحقيق لرغبة ما؛ أو أن أبانا، من يدري، ومن جرأ وسواس الإصابة بمرض خبيث، كالجذام مثلا، قام بنفي نفسه في طريقة للوجود، قريبا بعيدا عن العائلة. كانت الأخبار تتناقل عبر أصوات بعض الأشخاص - مارة وسكان شواطئ وحتى سكان المناطق النائية من الساحل الآخر - الذين كانوا يحكون بأن أبانا لم يكن يظهر أبدا على اليابسة، في أي مكان، لا بالليل ولا بالنهار، وأنه كان يذرع النهر، وحيدا متساقما مع التيار. وإذن، فإن أمنا وأقاربنا وصلوا لا يستنتج مفاده أن المؤونة التي كانت بحوزته، مخيفة بالمركب، كانت تنفد؛ وهو، إما أنه سيفادر مركبه ويذهب بعيدا، وللابد، وهو ما يبدو أقرب للتعلل، وإما أنه سيتوب نهائيا، ويعود للبيت.

وهو استنتج جانبوا فيه الصواب: فقد أليت على نفسي شخصا أن أحمل إليه خفية بعض الطعام. هذه الفكرة راودتني منذ الليلة الأولى، عندما شرع رجالنا يوقدون النار في أكوام حطب على شاطئ النهر، وجعلوا، على ضوئها، يصلون وينادون. بعد ذلك، في الغد، حضرت مصحوبا بقطع سكر، وبخبزة من دقيق الذرة، وعذق مور، لمحت أبانا، بعد ساعة ثقيلة: وحيدا، بعيدا، جالسا في عمق قاربه القابع على النهر

أواريه خلف أفكاري. الأقسى كان هو أن لا نفهم، بأي شكل من الأشكال، كيف كان يتحمل. في الليل والنهار، تحت الشمس أو في خضم الزوبعة، والحرارة، والندى، والبرودة الرهيبة لمنتصف السنة. بدون هدف، فقط بقبعته العتيقة على جمجمته، طيلة أسابيع كاملة، طيلة أشهر وسنوات، لا يولي اهتماماً لوتيرة الحياة المتسارعة. لم يكن يصل لأي من الشاطئين، ولا للجزر أو لانعطافات النهر. لم يضع أبداً قدميه على الأرض أو العشب. المؤكد هو أنه، على الأقل ليأخذ قسطه من النوم، كان عليه أن يجدف القارب إلى انعطافه جزيرة في جوين. لكنه لم يكن يوقد نورية صغيرة على الشاطئ، لم يكن يملك أي نوع من أنواع النور، لم يكن، أبداً، يقدح أعواد ثقاب. ما كان يستهلكه من طعام لم يكن إلا نزرأ؛ لم يكن يأخذ شيئاً، ولا حتى الضروري، مما ضلعه بين شجر التين، أو في تجويفة حجر الوهد. ألم يكن يمرض أبداً؟ والقوة الدائمة لذراعيه ليستمر في القارب، مقاوماً طفاح الفيضانات، عندما يجري كل شيء، بشكل خطير، مع التيار العاتي للنهر: جثث الدواب النافقة وجذوع الأشجار المتدحرجة المتكادمة. أبداً لم يعد يفضي لأحد بكلمة. ونحن بدورنا لم نعد نتحدث عنه. لم نكن نفعل إلا أن نفكر فيه. لا، لم يكن في وسعنا أن نغذي نسياناً أبيناً؛ وإذا كنا نتظاهر أحياناً بالنسيان، فقط لنفיק من جديد، فجأة، بذكرتنا وقد اكتسبت إيقاعاً بارتعاشات جديدة.

الصقيل. رأني. لم يجدف في اتجاهي. لم يؤت أية إشارة. أريته الطعام. وضعته في تجويفة حجر وهذ، في مأمن من سغب الضواري والأمطار والندى. هذا، أقوم به، وأعيد القيام به، دائماً، من زمن لا محدود. بعد ذلك فوجئت بأن أماناً كانت على علم بهذه المهمة، وفقط كانت تدعي جهلها. هي نفسها كانت تترك، في متناولتي، بعض فضلات الطعام، حتى أصل إليها. أماناً كانت لا تفصح، بشكل واضح، عن مكنونها.

استقدمت خالاً لنا، أخاها، ليساعد في الضيعة وفي الأشغال. واستقدمت معلم المدرسة، من أجلنا، نحن الأطفال. وذات يوم كلفت القس بمهمة أن يلبس حليه على إحدى شواطئ النهر قصد تخليص أبينا من عفاريته، وتذكيره بواجبه في أن يتخلى عن عناده البئيس. وكرة أخرى، بخطأ منها، بسبب الخوف، أقبل جنديان. كل ذلك لم ينجذ أفعاله. كان أبونا يمر في شساعة النهر، ظاهراً أو مشوشاً، يتجول على قارب بمحرك، بنية تصويره، لم يفلحوا: كان أبونا يختفي في الجهة الأخرى، ويحول اتجاه القارب نحو البركة التي تمتد على مسافة فراسخ، بين نبات الأسل وشجيرات العليق التي يعرفها هو وحده، مخبأً مخبأً، فيختفي في عتمة كل ذلك.

كان يلزم أن نقلق. لكن بصعوبة بالغة، لأننا لا نقلق أبداً، بالفعل، قلقلنا فعليا. أتحدث عن نفسي، حيث فيما أريد أو لا أريد، لم أكن أنوجد إلا بالعلاقة مع أبينا: هو الموضوع الذي

صحنا، وانتظرنا، لم يبن أبونا. بكت أختنا. بكينا جميعا منهكين.

رحلت أختنا، رفقة زوجها، بعيدا. قرر أخي فجمع أمره ورحل لإحدى المدن. تغير الزمن، في البطء السريع للزمن. انتهت أمنا بأن ذهبت هي الأخرى لتقطن بصفة نهائية مع أختي. كانت قد تقدمت في السن. بقيت هنا وحيدا. أردت أن أتزوج، إلا أنني لم أقدر أبدا. بقيت مع أشياء الحياة. أبونا كان في حاجة إليّ، أنا أعرف ذلك. في التيه، في النهر اللامحدود. دون أن يعلل تصرفه. وعندما كنت أعزم أن أعرف، وأن أسأله بتصميم، كانت أصوات تقول لي: بأنه من المرجح أن يكون أبونا قد أفضى، مرة، بتفسير للرجل الذي صنع له القارب. لكن هذا الشخص، قد توفي الآن، ولا أحد كان يعرف شيئا، لا أحد كان لديه ذكرى، عن أي شيء، عن أي شيء على الإطلاق. وحدها المحادثات الفارغة، التي لا معنى لها، الظرفية، في البداية، أثناء الفطاعات الأولى للنهر، أثناء الأمطار التي لم تجف، حيث كان الجميع يخشى الفناء. وحدها هذه المحادثات كانت تقول بأن أبانا قد اصطفى مثل نوح، وأنه، من أجل ذلك، هيا مركبه سلفا. الآن أتذكر هذا بصعوبة. أبونا، لم يكن بإمكانني أن أنزل به اللعنة. والآن استقامت في بعض الشعيرات البيضاء الأولى.

أنا رجل ذو كلمات حزينة. بأي ذنب أؤخذ إلى هذه الدرجة، إلى هذه الدرجة؟ أبونا كان دائما غائبا: والنهر - النهر - النهر كان أبديا. كنت

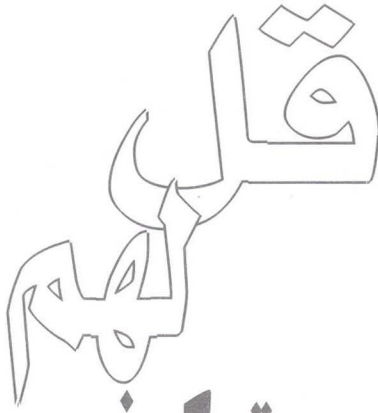
تزوجت أختي؛ رفضت أمنا أن نقيم حفلا. خيالنا كان يحملنا نحوه أثناء تناولنا لوجبة جيدة؛ نفس الشيء في عز تلك الليالي الممطرة مطرا باردا وقاسيا، في حين لم يكن أبونا، في ضياعه، يملك سوى يديه وآنية لإفراغ القارب من مياه العاصفة. أحيانا، كان أحد معارفنا يجد أنني أشبه أكثر فأكثر أبانا. بيد أنني أنا، كنت أعلم أنه، في هذه اللحظة، قد أصبح طويل شعر الرأس، ملتحيا، بأظافر طويلة، وأنه مريض وهزيل ومسود من أشعة الشمس ومن الزغب، بسمت حيوان، شبه عار ربما، رغم امتلاكه لبعض الثياب التي كنا نزوده بها بين الفينة والأخرى.

لم يكن يريد أن يسمع أي شيء عنا؛ فهل كان مجردا من أية عاطفة؟ لكن، بفعل العاطفة أيضا، بفعل الاحترام، كنت أقول، كل مرة يطرق عليّ فيها لعمل ما، قمت به: «إن أبي هو من علمني، ذات يوم، أن التصرف بهذه الطريقة...» وهو ما لم يكن حقيقة خالصة، لكنه الباطل الذي يراد به حق. فإذا لم يكن عاد يتذكر، ولم يكن عاد يريد أن يسمع أي شيء عنا، فلأي سبب آخر، إذن، لم يكن يصعد أو يهبط النهر لشواطئ أخرى، بعيدة، حيث يتعذر العثور عليه؟ هو وحده كان يعلم. إلا أن أختنا رزقت صبيا. هي نفسها أصرت على أن تراه حفيده. وصلنا جميعا إلى الشاطئ، في يوم جميل، تلبس أختنا لباسها الأبيض الذي كان لباس عرسها، فرفعت الصغير في ذراعيها، يظللها زوجها، هما الاثنان، بمظلة.

جعلت أقاسي من بداية الشيخوخة. هذه الحياة لم تكن سوى إرجاء. أنا نفسي، كنت أعاني من أزمات، من نوبات قلق، هنا تحت، ومن حالات تعب، ومن الروماتيزم. وهو؟ لماذا؟ من المفروض أن يعاني باستمرار. وقد أصبح في هذه السن المتقدمة، ألن يفقد يوما، نشاطه، فيترك القارب ينقلب أو يطفو بلا قيادة مع تيار النهر، قبل أن يلج الدوامة بسرعة فائقة، ساعات أسفل، في الشلال، في الوقوع الأعظم، الضاري، الفوار والقاتل إن هذا ليقبض القلب. لقد كان أبونا هنا دون أن أكون مطمئنا. إنني متهم بما لست أعلم، بألم مفتوح، في أقاصي دواخلي. آه لو كنت أعلم فيما إذا كانت هذه الأمور مختلفة. ثم شرعت أتصور خطتي.

عانيت من برد الخوف الفظيع، فمرضت. أعرف أن لا أحد علم شيئا عنه بعد ذلك. هل أعد رجلا، بعد هذا الخوف؟ أنا من لا وجود له، من السنوات، لم نعامل أبدا على أنه مجنون. لا أحد مجنون، أو الجميع. لم أفعل إلا أن ذهبت، بمنديل، كي تكون الإشارات به أكثر كنت أعني تماما ما أفعل. انتظرت. في النهاية، بدا طيفه، هنا وهناك. كان هنا، جالسا في مؤخرة القارب. كان هنا على بعد صيحة مني. ناديت مرات. فقلت - وهو ما كان مستعجلا، ما كان قسمي وتصريحي - علي أن أرفع صوتي: «أبي، أنت متقدم في السن، لقد قمت بما كان عليك أن تقوم به... الآن تعود، لم تعد ثمة جدوى... تعود، وأنا، فورا، مهما تكن اللحظة، حسب رغبتنا نحن الاثنين، آخذ مكانك،

(*) Des Nouvelles du Bresil. Suites
Metallie. Paris. 1998.



يتركوني أعيش

- «خوستينو»، قل لهم يتركوني
أعيش. هيا، قل لهم هذا، رحمة بي،
قل لهم يحسنوا إلي ويتركوني.
- لا أستطيع هناك جاوئش لا يريد
سماع شيء عنك.

• تأليف: الروائي المكسيكي «خوان رولفو»
• ترجمة/أ.د. علي عبد الرؤوف البمبي

- اجعله يسمعك. استخدم
شطارتك معه وأخبره أنه إذا كان
المقصود تخويفه فقد تعذب بما فيه
الكفاية. قل له يفعل هذا ابتغاء الأجر
من الله.

- الأمر لا يتعلق بإثارة الفزع - يبدو
أنهم مصممون على قتلك، ولا أريد
العودة إليهم ثانية.

- جرب مرة أخرى. مرة أخرى
فقط، ولننظر ما ستسفر عنه
محاولتك.

- لا. لا أرغب في الذهاب، أنا ابنك،
وإذا ترددت عليهم كثيرا قد يعرفون
من أنا ويقررون ساعتها إيرادي نفس
المورد. الأفضل ترك الأمور تمضي
على ما هي عليه.

- هيا يا «خوستينو» توسل إليهم
أن تأخذهم بعض الشفقة بي. قل لهم



هذا لا أكثر.

جز «خوستينو» على أسنانه وهز رأسه قائلا :
- لا .

وظل يهز رأسه شوطا طويلا .

- اطلب من الجاويش مقابلة «الكولونيل» وأخبره بمدى ضعفي وكبر سني، وأنني لم أعد أصلح لشيء.. ماذا سيجني من وراء قتلي؟ لا شيء البتة. لا بد وأن له قلبا. توسل إليه أن يعفو عني ابتغاء المثوبة من الله.

نهض «خوستينو» من على حافة الحوض الحجري الذي كان جالسا فوقه واتجه نحو باب الحظيرة. عاد أدراجه بعد ذلك ليقول :

- أنا ذاهب. لكنهم لو أعدموني أنا الآخر، من سيتكفل عندئذ برعاية زوجتي وأولادي؟
- العناية الإلهية، يا «خوستينو». ستتكفل بهم. لا تشغل بالك بشيء سوى الذهاب إلى هناك، ولا تفكر في غير ما يمكن أن تصنعه من أجلي، هذا هو الأمر العاجل.

أحضره وقت طلوع الفجر. والآن تكشف النهار ولا زال هناك ينظر، مربوطا في آلة خشبية، كان مضطربا. حاول أن يغفو قليلا لينعم بالهدوء، لكن النوم كان قد طار من عينيه، كما تلاشت رغبته في الطعام. لم تكن له رغبة في شيء، فيما عدا البقاء على قيد الحياة. بعد أن يتقن من دنو أجله تملكته رغبة عارمة في الحياة لا يحس بمثلها إلا من بعث من الأحداث حديثا.

من كل يظن أن ذلك الحادث الكريه الذي عفا عليه الزمن وابتلعه النسيان، حسب اعتقاده، سيعود ليطل برأسه من جديد. عندما دفعته الظروف ليقتل «دون لوبي» لم يقتله شططا كما يدعى أهل «اليما»، بل كانت لديه الدوافع والأسباب. لازل يذكر ما حدث :

كان «دون لوبي تيريروس» صاحب اقطاعية «لايويرتادي بيدرا» فوق هذا أباه من العماد، ولهذا السبب اضطر «خوبنثيو نابا» لقتله، لكونه صاحب «لايويرتادي بيدرا» ولأنه أيضا أبوه من العماد، ومع هذا منع ما شيته من المرعى.

تحمل في البداية، مراعاة لما بينهما من أواصر الصلة، لكنه بعد أن حل الجفاف ورأى ما شيته تتساقط واحدة بعد أخرى من فرط الجوع الذي ألهبها بسياطه، وأبوه من العماد لا زال يركب رأسه ويضن عليها بعشب خيوله، قرر وقتها إزالة سياج المرعى أمام كبة حيواناته الشديدة الهزال لكي تأكل حتى التخمة. لم يعجب هذا «دون لوبي» وأمر باعادة السياج إلى ما كان عليه ليعود «خوبنثيو نابا» ليفتح فيه من جديد إحدى الثغرات، وهكذا ظلت الثغرة تغلق بالنهار لتفتح بالليل بينما ينتظر القطيع هناك متربصا بجانب السور، ذلك القطيع الذي كان يستمد من قبل مقومات وجوده معتمدا فقط على شم رائحة العشب دون التمكن من الوصول إليه.

احتدم النزاع بينهما ولم يصلا لاتفاق.

إلى أن حذره «دون لوبي» ذات

مرة:

مطلوب من العدالة واستغلوا ذلك في إرهابي ومواصلة ابتزازي.
إذا حل غريب بالقربة يسارعون بانذارني.

- خذ حذرك، يا «خوبنثيو» بالقرية غرباء.

وعندئذ أخف بالخروج إلى الجبل، واتوارى بين أشجار القطلب وأطل أياما أنغذى على الأعشاب والنباتات البرية. كنت أهرب أحيانا في منتصف الليل كمن تلاحقه الكلاب. استمر هذا حياة بطولها. لم يكن لعام أو اثنين، بل لحياة بكاملها.

والآن جاءوا للبحث عنه، بعد أن تلاشى الأمل في ظهور أحد وتملكه اليقين في نسيان الناس للحدث، واعتقد أنه سيقضي أيامه الأخيرة في طمأنينة وراحة بال. «ستكون شيخوختي جواز مروري إلى الطمأنينة بسببها سيتركوني وشائي»، ظن هذا.

داعبه هذا الأمل حتى ملك عليه نفسه، ولهذا شق عليه استيعاب فكرة موته هكذا، فجأة، في هذه المرحلة من العمر، بعد أن جاهد كثيرا من أجل الفكك من ربقة الموت؛ بعد أن أمضى ربيع عمره هائما على وجهه من جهة لأخرى يجرجره الفرع، وعندما ذبل جسده وتحول إلى جلد متغضن مدبوغا بالأيام المريعة التي حكم عليه فيها بالهرولة للتخفي عن أعين الجميع.

وعلى سبيل الاحتياط، ألم يصل به الأمر لحد ترك امرأته تهرب؟ عندما أشرق عليه صباح ذلك اليوم أخبر فرار زوجته، لم تدر حتى بخلة فكرة

- اسمع يا «خوبنثيو» لو اقتحمت إحدى مواشيك المرعى سأقتلها.
أجابه:

- ليس ذنبي أن تبحث الحيوانات عن الجانب الذي يريحها. إنها لاتفقه شيئا، ولذا أذكرك من التعرض لها.

وقتل لي عجلا من العجول في شهر مارس يكون قد انقضى على هذا خمس وثلاثون سنة، لأنني أمضيت الشهر التالي له (أبريل) هائما على وجهي في الجبل فرارا من العدالة. ولم تكف البقرات العشر التي أعطيتها للقاضي، ولاقيمة رهن داري التي أخذها مقابل مغادرتي السجن، وكل ما تبقى لي بعد ذلك دفع رشوة للكف عن مطاردتي، وبرغم هذا لم يكفوا عن ملاحقتي. وأتيت مع ابني للعيش في قطعة الأرض الصغيرة التي كنت أملكها في «بالودي بينادو» وكبر ابني وتزوج من «الجاشية» وأنجب ثمانية أولاد. وبما أن الشيخوخة قد أدركتني فلا بد وأن تكون الحادثة قد طواها النسيان. لكن ما يحدث معي الآن يؤكد أنها لم تنس. وحسبت حينئذ أن المائة «بيزو» المتبقية كفيلة بتسوية المسألة. المرحوم «دون لوبي» كان وحيدا، ولم تكن معه سوى زوجته وطفلين يحبوان، الأرملة ماتت هي الأخرى حسرة على زوجها، واحتضن الطفلين أقارب لهما يعيشون بعيدا. ولذلك فإن الشعور بالخوف منهما لم يكن له مبرر على الإطلاق. لكن الآخرين لم ينسوا أنني

وذراعاه متهدلان إلى جواره. كان السحر معتما، بلانجوم، والرياح تهب على مهل، محملة بموجات من التراب، معبقة بتلك الرائحة التي تشبه البول المغلف بغبار الطرق. كانت عيناه، اللتان للمتهما السنين، تريان الأرض تحت قدميه بالرغم من الظلمة.

وهناك على الأرض، كانت توجد كل حياته. سبعون سنة من العيش فوقها، من صرها بكفيه، من تذوقها مثلما يتذوق طعم اللحم.

ظل لفترة طويلة يحملق فيها، مستطعما كل حفنة منها كما لو كانت المرة الأخيرة؛ وقد كان شبه متيقن بأنها فعلا الأخيرة.

نظر بعد ذلك إلى الرجال الذين يسرون إلى جواره وكأنه يريد، أن يتفوه بشيء كان سيطلب منهم إطلاق سراحه، تركه لحال سبيله «لم أصنع سوءا بأحد، أيها الفتيان» كان يقول لهم، لكنه ظل صامتا. «سأطلب منهم هذا بعد قليل»، قال لنفسه. كان يتطلع إليهم وحسب. كان بإمكانه تخيلهم كأصدقاء، لكنه أحجم. لم يكونوا كذلك، لم يكن يعرف أحدا منهم. كان يراهم إلى جواره ينحنون من وقت لآخر للاستدلال على الطريق وللتأكد من استمرارهم عليه.

كان قد رآهم لأول مرة عندما تلون المساء باللون الرمادي، في تلك الساعة الحائلة اللون التي يبدو فيها كل شيء وكأنه يشيط. كانوا يعبرون الأرض المزروعة داعسين بأقدامهم نباتات الذرة الطرية. اتجه نحوهم

الخروج للبحث عنها. تركها تهرب دون أن يتقصى مع من أو إلى أين حتى لا يضطر إلى الذهاب إلى القرية. تركها تضيع مثلما ضاع قبلها كل ما عنده دون أن يحرك ساكنا. لم يبق له شيء يهتم به سوى حياته، ولن يدخر وسعا في سبيل الحفاظ عليها. لم يعد بإمكانه السماح لهم بقتله. ليس بإمكانه، وخصوصا الآن.

لكنهم أحضروه من هناك، من «الودي بينادو» لهذا الغرض بالذات. لم يكونوا بحاجة لشدة وثاقه حتى يتبعهم. مشى باختياره مطرقا بغل الخوف ليس إلا، أدركوا أنه لا يستطيع الفرار منهم بذلك الجسد الفاني، وبهاتين الساقين النحيلتين مثل عصيتين جافتين، والمكبلتين بالخوف من الموت. لقد كان ذاهبا لذلك المصير، ليموت أخبروه بهذا.

من ساعتها عرف ما هو ماض إليه. وبدأ يحس بذلك الغثيان الذي كان يعتريه دائما بمجرد رؤيته لشبح الموت يحوم حوله، ويجعل الجذع يطل من عينيه، ويورم فمه بالغصص المريرة التي كان عليه أن يتجرعها رغما عنه.

بذلك الشيء الذي يثقل قدميه بينما تتأجج رأسه فوق عنقه ويدق قلبه بعنف بين ضلوعه. لا، لا يمكن أن يستوعب فكرة قتلهم له.

لا بد وأن يكون هناك بصيص من الأمل. لم تصدر بعد إمكانية وجود أمل ما. ربما يكونون قد اخطأوا ربما كانوا يبحثون عن «خوبنثيونابا» آخر وليس عن شخصه هو.

مشى صامتا بين هؤلاء الرجال،

الرجال الأربعة المتشحيين بسواد الليل.

- سيدي الكولونيل، ها هو الرجل.
كانوا قد توقفوا أمام ثلثة الباب،
خلع قبعته، احتراما، في انتظار
خروج أحد. لكن لم يخرج سوى
الصوت:

- أي رجل؟ - سألوا.
- رجل «يالودي بينادو»، سيدي
الكولونيل - الذي أرسلتنا لإحضاره.
- أسأله إذا كان قد قضى شطرا من
حياته في «أليما» - عاد الصوت ليقول
من الداخل.

- أنت، هل عشت في «أليما»؟ - كرر
الجوايش، الواقف قبالة، السؤال.

- نعم. قل للكولونيل أنني من
هناك، وأنني عشت فيها حتى وقت
قريب.

- أسأله إذا كان يعرف «جوادا لوبي
تيريروس».

- يسألك إذا كنت تعرف «جوادا
لوبي تيريروس».

- دون لوبي؟ نعم. أخبره أنني
أعرفه. لقد مات.

- أعرف أنه مات - قال.

واصل الكلام وكأنه يتحدث مع
آخر بالداخل، على الجانب الآخر من
حائط البوص:

«جوادا لوبي تيريروس» كان أبي
عندما كبرت وبحتت عنه أخبروني أنه
مات.

من الصعب أن تنمو وأنت تدرك أن
الشيء الذي يمكن أن تتشبت به
جذورك قد مات هذا ما حدث معنا.

علمت بعد ذلك أنهم قتلوه طعنا
بمنجل، وغرزوا منخس الثور في

لأجل هذا: ليقول لهم أن نباتات الذرة
في طور النمو لازالت ضعيفة
لاتتحمل السير فوقها. لكنهم لم
يتوقفوا.

رأهم قبل أن يصلوا إليه بوقت
كاف. دائما حالفه الحظ في رؤية
الاشياء في الوقت المناسب. كان
بوسعه الاختفاء، السير لعدة ساعات
بالتل حين ذهابهم ثم يعود إلى مقره.
لقد كان الأمل في نباتات الذرة
معدوما في جميع الأحوال.

كانت تنتظر سقوط المطر، ولما
تأخر أخذت نباتات الذرة في الذبول.
ولن يطول بها العهد حتى تجف
بالكامل.

وهكذا لم يكن الأمر يستحق لكي
يتوجه إليهم؛ لكي يضع نفسه بين
هؤلاء الرجال وكأنه يدخل في شق
يتعذر عليه الخروج ثانية منه.

والآن يواصل إلى جوارهم، كابتا
رغبته في التوجه إليهم بطلب إطلاق
سراحه. لم يكن يرى وجوههم بل

أجراما تلتصق وتتفك عنه. وبهذا
الشكل فعندما شرع في الكلام لم
يكن يدري إذا كانوا يسمعون. قال:

- لم ألق الأذى بأحد من قبل - قال
هذا - لكن لم يتغير شيء - كأن لم
يسمعه أي جرم من الأجرام. لم
تستدر الوجوه للنظر إليه استمروا
على حالتهم السابقة كما لو كانوا
منومين.

فهم حينئذ أنه لاداعي للاستطراد،
وعليه إرجاء الأمل إلى فرصة لاحقة.

ترك ذراعيه يتهدلان إلى جواره
مرة أخرى واخترق البيوت الموجودة
على مشارف القرية بين هؤلاء

لعذاب الضمير وسخط الرب .
 لا تقتلني .
 قل لهم يتركوني أعيش .
 كان هناك ، وكأنهم أوسعوه ضرباً ،
 يخطب الأرض بقبعته ، صائحا .
 وفي التو أمر الصوت القادم من
 الداخل :
 - اربطوه وأسكروه بشراب حتى
 لا يشعر بألم الرصاص .
 والآن ، في نهاية المطاف ، سكنت
 جوانحه ، كان هناك منزويا أسفل الآلة
 الخشبية التي ربطوه فيها .
 من قبل كان قد أتى ابنه
 «خوستينو» ذهب ثم عاد ، وها هو
 الآن قادم مرة أخرى .
 حمله فوق الحمار . شد وثاقه
 وأحكم ربطه بالحبال حتى لا يسقط
 في الطريق .
 وضع رأسه في كيس حتى لا يثير
 قراع من يراه . وبعد أن اصطبر
 الحمار لحين فراغه من عمله ، انطلقوا
 بسرعة حتى يصلوا إلى «بالودي
 بينادو» في وقت يسمح لهم بتجهيز
 مراسم الدفن .
 - لن تتعرف عليك زوجة ابنك ولا
 أحفادك - كان يقول له . سينظرون
 إلى وجهك وينكرونك . سيخيل
 إليهم أن ابن آوى قد افترسك ، عندما
 يطلعون على هذا الوجه الملىء
 بالثقوب من كثرة الأعيرة التي
 أطلقوها عليك .

أخبروني أنه ظل مفقودا ما يزيد
 على اليومين ، وأنهم عندما عثروا
 عليه ملقى في النهر كان لازال
 يحتضر ويوصي برعاية أسرته من
 بعده .

يبدو أن هذا بالامكان نسيانه
 بمرور الزمن . حاول الواحد
 نسيانه... ما لا يمكن نسيانه هو
 معرفة أن الذي فعل هذا لازال ينعم
 بالحياة ، ويمنى روحه الفاسدة بوهم
 الحياة الأبدية . لا يمكن العفو عنه ،
 حتى ولو لم أكن أعرفه ، ومجرد علمي
 بمكانه يدفعني للانتقام منه ، ليس
 بمقدوري غض الطرف عن استمراره
 على قيد الحياة . إنه ما كان يستحق
 الولادة أصلا .

في الخارج هنا ، سمع بوضوح
 جميع ما قاله . أمر بعد ذلك :
 - خذوه ، اربطوه لبعض الوقت
 حتى يتعذب ، ثم أعدموه .
 - انظر إلي أيها الكولونيل - طلب
 الرجل - لم أعد أساوي شيئا .
 سأموت عما قريب وحدي ، بداء
 الشيخوخة . لا تقتلني ...
 - احمलोه ! - عاد ليقول الصوت
 القادم من الداخل .

- ... لقد دفعت الثمن ، أيها
 الكولونيل ، دفعته مرات عديدة
 سلبوني كل شيء ، وعاقبوني بشتى
 الطرق . أمضيت أربعين عاما مختبئا
 كالمبوء ، وكل دقة من قلبي تصرخ
 في على الدوام أنني هالك لا محالة . لا
 أستحق لموت هكذا ، دعني على الأقل

نيفرتي

أنا «نيفرتي» كاتب الكاهن الأكبر في معبد الإله «بتاح»، هنا في ممفيس، بدأت عملية ولادتي - دون أن أعلم هذا - من أبي «أعنيس» في أحشاء أمي أومت. تولدت بطريقة غير مرئية كما تولد النظرة البشرية نفسها.

وكان والدي سيدا كبيرا، إنه ذلك الشخص الذي يحمل مروحة جلالة ملك ممفيس. وقد ساعد السيد الرحيم الملك «حارتب» في أن تظل أملاك والدي أملاكاً لي أيضاً، وخصني من الإرث ثروة مكونة من حوالي خمسين وزناً من الذهب والفضة، ومنزلي مثله مثل المنازل التي يملكها الأشخاص الذين تشملهم رحمة الفرعون، وهو منزل به مكان مقدس وفناء ومخزن وغرف للخدم.

وتنمو في حديقتي عريشة كروم وأشجار زيتون وتين لهم جذور فوق سطح الأرض، وأشجار نخيل، وزهور من كل نوع وزروع نفيسة، وفي الحديقة الممتدة حتى الحقول الأولى الواقعة على شاطئ النيل يوجد دغل من أشجار النخيل

للأديب البوسني المعاصر: نجاد إبريشيموفيتش

• ترجمة وتقديم:

د. جمال الدين سيد

الأديب البوسني نجاد إبريشيموفيتش مولود في عام 1940 بمدينة سراييفو في البوسنة حيث أنهى دراساته الفنون التطبيقية وكلية الفلسفة. يكتب القصة والرواية والمسرحية، وقد تمت ترجمة أعماله إلى اللغات التشيكية والألبانية والتركية والفرنسية والإيطالية والأسبانية، وحصل على عدة جوائز أدبية.

ومن الطريف أن الأديب نجاد عاشق للفراغة وأدبهم، وزار مصر من أجل استكمال روايته «الخالد» التي يتحدث فيها عن حياة إحدى الشخصيات الفرعونية المشهورة. والقصة التي بين أيدينا تؤكد أيضاً حبه هذا وتبين مقدار تعمقه في هذا المجال.

لفترة طويلة فزعا ومتسمرا ولم يخطر ببالي أن أطرق رأسي أو أن أنطق بشيء وانتظرت أن تعود لي «نيتاجريت» والإبريق والثوب، ذلك الذي فقدته، ولكني لم أفكر بعد في أنني سأموت فقد كنت ما أزال معافا ولم يدخل إلى منزلي العرافون والمطببون. وكان «إيونانا» الذي كان والدي سيده له يملأ مخازني كل عام وكنت أعيش في بذخ، وتتراكم في مخازني الهدايا التي كانت تخصني باعتباري الكاتب الأعلى للمعبد. وكثيرا ما كانت زوجتي الجميلة «نيتاجريت» تعد الولائم والحفلات، ويكثر تردد الراقصين والعازفين ولم يخل داري من الاحتفالات الدينية أو من تلك الاحتفالات المرتبطة بفصول السنة، وكان منزلي هو موئل السعادة فلماذا أموت؟

وحينما هرولت إليّ ابنتي وعانقتني انفجرت في البكاء بمرارة، لأنها كلمت تلمسني كنت أفعل كل شيء على النحو الذي كانت تشتهيهِ ولم يكن بإمكانني أن أقاومها إلا حينما لا تلمسني.

- نيفرتي، نيفرتي...

كانت تناديني وتجذبني، ولكني لم أعد أسمع شيئا.

وأخذت وأنا في حالة يأس أنادي على الآلهة بصوت جهوري وأطلب منها العون، وناديت عليها جميعها وأمسكت بها كلها واحدا تلو الآخر. وهي أيضا اختفت من حياتي. وهكذا كانت الحال مع جميع الأشياء التي نظرت إليها أو التي فكرت فيها فحسب، وارتفعت على الأرض

والجميلز والسرو. ويفلح مزارعي عشرون من الأجراء والعبيد، وتنتشر هنا وهناك بالضيقة بحيرات صغيرة وأحواض للأسماك يقف حولها سرب من طيور الكركي، وكانت لي زوجة جميلة وذات حيوية تدعى «نيتاجريت» وابنة تسمى «نوتي»، وكنت أحبهما، وكنت رجلا ثريا ولم أتنازل عن أي شيء.

وأول شيء رأيته حينما فتحت عيني ذات صباح كان إبريقا موضوعا بجوار سريري، وهو إبريق ثمين مصنوع من زجاج السيج الرقيق بشكل غاية في الدقة، وكنت أحب أن أشرب منه، ولأول وهلة كان يتلأأ حوله ضوء ما وبعد ذلك مباشرة كأنه لم يعد موجودا، ونهضت وقلت «إبريق»، ولكني لم أعرف ماذا تعني هذه الكلمة، ونظرت بالمصادفة إلى الإبريق وأنا أتحسس النعل في ظلام حجرتي وقلت: إبريق. ولكن اسمه ارتد منه، واقتربت والحدثة بين يدي، بيد أنني لم أعد أراه.

ومددت يدي إلى ثوبي وسقط الإبريق من يدي وتحطم. ونظرت إلى الثوب وأمسكت به واتجهت عاريا إلى الحمام، وحينذاك اقتربت مني «نيتاجريت» وسألتني وهي ترى أنني متعكر المزاج قائلة:

- لماذا لا تنظر إليّ هذا الصباح؟

ورفعت رأسي لكي أقول لها كيف أنني في هذا الصباح أمسكت بالإبريق وبملابسي وكيف أنني أشعر الآن أن الشيئين جامدين بالنسبة لي، ولكن ما أن نظرت إليّ «نيتاجريت» حتى أمسكت بها وظللت

يمسكن بشعر العجائز وبدا لي أنني رأيت كل هذا بل وسمعته .

وبكت «نيتا جريت» دون جدوى ونادت عليّ، وعبثًا جاء المنجمون والمطربون، وكنت أعرف هذا، ولكني لم أستطع أن أقول لهم ذلك. وكانت عيناى قد انطفئتًا وبعد ذلك انحصر الموت عليّ أنا فحسب، وهكذا توفيت، وكان هذا في بداية ذلك الشهر الذي بشرت فيه أسراب عجول أبيس المقدسة بفيضان النيل وبداية العام، وكنت في متوسط العمر حينما حدث لي أن توفيت .

× × ×

وكان أول شيء شعرت به أنني أهيم فظننت أنني في بداية القيام برحلة طويلة خلال باطن الأرض وحتى مسار الشمس، وافترضت أن أحشائي موجودة في الأواني، وأن جسدي محشو بالقطران وملفوف بالضمادات، ولم أكن أعلم هل مازلت أنفسي، وأدركت إدراكا متزايدا أنني هو أنا «نيفرتي»، وكان يبهجنى أنني اكتشفت ما هو اسمي رغم أنني لم أرتب لحظة واحدة في أنني هو أنا «نيفرتي»، وشممت تماما كرجل حي رائحة الرتدة والكافور ولكني لم أكن متيقنا من أن الرائحة كانت تفوح من موميائي أنا بالذات، وظننت أن الكاهن الأول لم يف بوعده وأن العمال المتخصصين الذين حنطوا جسدي لم يؤدوا عملهم على أفضل وجه، وحاولت أن أنطق بكلمة وأن أعلن عن نفسي كما كنت أفعل في داري حينما كنت أحلم حلما سيئا، بيد أنني لم أستطع ورفعت نفسي وشعرت بأن

وخدشت وجهي بأظفاري وصرخت، وفقدت معناها الكلمات التي أردت أن أوضح بها كيف أدرك كل شيء، وكنت أكافح لكي أبقى بعض الوقت حيا، وحولي كانت تنتشر مساحة كبيرة من الموت .

وتملك قواي لكي أنادي على «نيتا جريت» لكي أقول لها :

- أعرف القواعد الخاصة بالدخول إلى الأبدية، وهناك يتكرر كل شيء .

وبصعوبة أبصرت بجانبى الكهنة والمنجمين الذين جاءوا وزوجتي «نيتا جريت» وابنتي نوتي والوالدة «أومت» و«إيوانا» و«يع» وكنت

أسمعهم سمعا ضعيفا، ورأيت نفسي كغلام يخطو على الرمال بين الظلال المائلة إلى الزرقة لأشجار النخيل على ضفاف النيل، وكيف وأنا مختبئ في غابة نباتات البردى ودون أن يلمحني أحد ألعب لعبة سرية مع السفن التي تبحر بعيدا أمامي في النهر الإلهي . ورحت أحرك بأصابعي الأشرعة البيضاء المربعة وأتخيل أنني أوجه إبحارها، وأتخيل كيف سأقوم بعملية الدفن، و«إيوانا» وكهنة المعبد سيقومون بالطقوس على أحسن وجه، على النحو الذي يليق بإجراء الطقوس لكاتب معبد «كهيرحب» للإله «بتاح»، خالق «أمون رع» الذي بقلبه خلق العالم، وتخيلت كيف أنهم سيحتفظون بي في مكان مشرف، هناك في نفس المكان الذي كان يوجد فيه تابوت والدي، وكيف سيحدد الكهنة بداية المأدبة ورحيلي إلى العالم الأبدى، وكيف سترقص صديقات زوجتي رقصات خاشعة وهن

لي يدين لم أكن أشعر بهما على الإطلاق بل ولم أكن حينذاك أعرف منظرهما ولا بأنهم يداي. ووجدتهما عندما أردت أن أكتم الكثير من الضجيج الشديد الذي بسببه كنت أشعر بألم في أذني، وذلك لأنه كانت تصل إلي من كل مكان أصوات وصرخات، ولما توقفت هذه الضوضاء فتحت عيني وهكذا تلاشى الظلام غير الشفاف الموجود حولي وشعرت بوضوح أنني في تلك الوهلة الأولى بعدما عاد إلي بصري لم أر الأشياء بل الأشياء هي التي رأيتني، ولم يكن هذا الأمر ولا أي شيء آخر عجباً أو غير مألوف بالنسبة لي.

وبالتدريج عاد لي بصري تماماً ولأول مرة وأنا ميت رأيت الناس، ورأيت أنهم يتحركون وأن الأصوات تصل منهم هم على الأكثر، ولا حظت على الفور عيونهم جميعاً دون أن أعرف أنني أنا نفسي أملك عينيْن وأني أبصر بهما بالذات، وأدركت أن أعرف شيئاً بعد وأنا مستمر في النظر ظننت أن بصري هو ما سأحرك به الأشياء أمامي توجهت للقاء الأشخاص إلا أن العمود الذي صادفته لم يتحرك وظل متمسكاً رغم أنني أردت ببصري أن يتحرك. أما الكهنة والعمال المتخصصون الذين كانوا موجودين أمامي فقد تفرقوا رغم أنني لم أشأ هذا ببصري. لقد كانوا فزعين ومضطربين لأنني نهضت من على مائدة التحنيط.

وبدا لي كل شيء أكبر حجماً مما كان ولم أكن أعرف اسم أي شيء. بيد أنني كنت أرى كل شيء بوضوح

لدرجة أنني تساءلت ألم يكن بصري البشري أعمى فحسب قبل موتي، وفكرت قائلاً: هذا الرجل الذي يخطو الآن تاركا الموت هو أنا، وأنا هو نفسي ذلك الشخص الذي كان حياً... وحينذاك كنت مشغولاً أكثر بالرؤية، مشغولاً بأن أرى أكثر من أي شيء آخر إذا كان لدي شيء آخر سوى ذلك، ولم أستطع على الإطلاق أن أتذكر «نوتي» أو «نيتاجريت» أو «أوميت»، إلى هذا الحد يأخذني الموت إلى أعماقه، وبالرغم من ذلك لم أتخيل أنني أحلم أو أرتاب في بعثي.

وأخذ الطريق أمامي يضيق وتوقفت ظناً مني أن عيني تخدعاني لأن الطريق الذي مررت به كان رحيباً في كل مكان ولم يكن يزداد ضيقاً، وقلت في نفسي: سأتوقف هنا، لقد كان السير لا معنى له في رأيي. وكنت قد فقدت العادات البشرية، وبدأ لي كل شيء جديداً وغير مألوف.

ووقفت أحدى الجنود أمامي وغمد رمحه في الرمال وقال بصوت جهوري واضح: إلى أين تذهب عارياً؟

ولم أفهمه وأردت أن أسأله عن سبب اختفاء ضيق الطريق أمامي، ولكن حينما فتحت فمي لكي أنطق بكلمة سمعت كيف تتدفق مني أصوات غير مفهومة بدون معنى، وبعد عدة محاولات عدلت عن ذلك. وشاهدت أناساً، مخلوقات تشبهني، وشاهدت النيل والكتبان الرملية وكأنها في سلسلة لانهاية تتلاشى صوب الشرق، ورأيت أشجار النخيل والحقول الواقعة بمحاذاة الشواطئ

منها ولمحت منزلي، وعلى الفور
تعرفت عليه، ودخل ورائي عبر
البوابة بعض الأشخاص وقادوني
أمام المعبد، وتوقفت أمام حوض
الأسماك الذي كنت أستحم بجانبه،
وفي تلك اللحظة لمحت «نيتاجريت»
وتعرفت عليها، وهولت للقائي،
ولكن نظرا لأنني وقفت صامتا
وساكنة فقد لمستني زوجتي في
وجل، ثم خرج الجميع أمامي:
«نيفرتي، هل هو أنت؟»، «نيفرتي، هل
أنت حي؟»، «نيفرتي، نيفرتي...».

كانوا يصيحون بي وهم
يلمسونني ويتحسسونني، وقادوني
على مهل إلى سريري، إلى نفس ذلك
السرير الذي توفيت عليه ورقدت
وكأنني مريض وأنا أغمض للحظة،
وبعد أن أبصرت رأيت أنه يجلس على
سريري «نيتاجريت» و«أوميت»
والابنة المنهكة «نوتي»، وقالت
«أوميت»:

- طوال اليوم كنت تغمض عينيك
في غير حراك تماما وكنا نخشى أنك
ستموت مرة أخرى.

ولو لم أكن قد فقدت نعمة الكلام
لما كنت أستطيع على الإطلاق أن
أوضح لهم أنني أغمض عيني
للحظة فحسب.

ومعابد ممفيس على البعد أمامها،
وأبصرت الضوء الذي يتلألأ من
الأهرامات، وشاهدت كل هذا في
دهشة، وبدا لي أنني ضخم وأنه
بإمكاني أن أوقف النيل براحة يدي
دون أن أخطو خطوة واحدة ودون أن
أنحني أيضا. كنت قلقا بشأن كيفية
دخول المدينة وأنا بهذه الضخامة،
ولكن بعد ذلك على الفور تيقنت أن
الأمر ليس كما ظننت، وأن أمامي مكانا
رحيبا مع أنني كنت أستطيع براحة يد
واحدة، أن أخفيه وألا أرى شيئا ثانية.

وبالضبط كما في الحلم الواضح
تمام الوضوح تعرفت على
الأشخاص الذين التقيت بهم في
حياتي. وإذا كان كل واحد قد تم منحه
حياة واحدة وموتا واحدا فإن
شياطين وآلهة الموت والحياة
وأوزيريس وكنوم قد وهبتي حياة
أخرى أيضا وأردت أن أحصل عليها،
فلم أكن مدينا لأحد، ولم أكن مدينا
لأوزيريس أو نيبوس أو كنوم لأنني
لم أكن أرغب في الحياة ولم أكن أريد
الموت، ولكن من الغريب أنني ما زلت
لا أشعر بأي سعادة.

وسمعت أحد الأشخاص يناديني
باسمي: نيفرتي، نيفرتي... والتفت.
وهكذا وصلنا إلى «أمبو»، حي
الأغنياء، الذي يقع على مسافة غير
بعيدة من البوابة الجنوبية التي مررنا

كلوي

و

واوبرمان

قصة: فيتشيسلاف بيتسوخ. تقع مدينة باد-روتنفيلد الصغيرة

الساحرة في مقاطعة سكسونيا السفلى بالأراضي الألمانية. وهي

ملونة/رائحة النظافة مثل غرفة في فندق، وصغيرة بكل ما فيها مثل علبة

كبريت. من أهم معالم هذه المدينة:

غابة تيفتوربورجسكي التي تتأخمها

من ناحية الشمال الغربي. وهي نفس

الغابة التي حطمت فيها القبائل

الجرمانية فصائل كوينتين وارا في

مطلع العصور المسيحية. إلا أنها -

والحق يقال - غابة عادية تماما مثل أية

منطقة من المناطق التي نطلق عليها

عندنا «منطقة خضراء». في وسط

المدينة يقف جدار من القش المدكوك

تسيل منه رطوبة لها رائحة خاصة

تتحول في الأسفل إلى غبار مبلل -

وهذا الغبار بالذات هو ما يأتي

لاستنشاقه نزلاء مصحة الأمراض التنفسية المساكن التي تسمى «بستان الكرّز».

من غرائب باد-روتفيلد أنه لا يوجد سوى دكان «كاراجندا» الصغير لصاحبه رويون فاجنر، وهو ألماني روسي من مواليد مدينة كاراجندا وكان يعمل رقيبا سابقا في الميليشيا. بمجرد أن تدخل إلى دكانه الصغير يسيطر عليك في الحال إحساس وكأنك انتقلت على نحو خيالي من سكسونيا السفلى إلى مدينة ما صغيرة كئيبة تقع في السهوب الكازاخية، أو إلى ورشة ما من ورش إصلاح القطارات التي توجد في نهايات خطوط السكك الحديدية والتي لا يمكن أن يصلها غريب حتى في الطقس الصحو، أو إلى دكان للأدوات الزراعية بأبواب متهاكة مدهونة بدهان المقابر الأزرق وعليها قفل من أقفال أبواب مستودعات العلف يشبه الأثقال الحديدية. ليس غريبا أن يسيطر عليك ذلك الإحساس: فبضائع فاجنر مكدسة على أرفف خشبية غير مشذبة، كانت قد دهنت في يوم ما بزيت الشمع، وضعت عليها قطع من المناديل الورقية المتفرقة التي تشبه مطررات مدينة فولجدا، ومنصة البيع مغطاة برقائق معدنية كما تغطي النوافذ من الخارج بالعوارض الحديدية السمكية، والجدران مدهونة بلون أخضر داكن كرية مثل الألوان التي تدهن بها الأسوار عندنا. يباع في كاراجندا السمك المجفف، والخيار المخلل في برطمانات سعة ثلاثة لترات، وبذور عباد الشمس المحمصة، والحلوى، ومعلبات السمك بالطماطم، وقصص مغامرات من تلك التي تصدرها دار نشر «الحرس الفتى»، وأنواع دخان مختلفة من إنتاج مصنع أوريتسكي، ومشروبات كحولية من إنتاج معمل موسكو للفودكا وال «ليكيور». أما فاجنر ذاته فيرتدي الجبة الكازاخية، ولكنه - انطلاقا من المبدأ - لا يتحدث إلا بالألمانية فقط. <http://Archivebeta>

ذات مرة التقى في دكان كاراجندا صديقان قديمان وجاران كانا يعيشان في مدينة تيمير-تاو. أحدهما اسمه كليوف، أما الآخر فكان لقبه أوبرمان. كان الأول يعمل في السابق مفتشا بالدائرة الإقليمية التعليمية، والثاني - كان مدرسا للغة الروسية. هاجر أوبرمان إلى ألمانيا بدافع من طبعه الألماني الصلب، أما كليوف فقد هاجر بحثا عن حياة أفضل متعللا بأن جدته لأبيه كانت ألمانية. يعيش كليوف في الوقت الحالي على لإعانة المخصصة للعاطلين بينما يعمل أوبرمان حمالا في مطار مدينة وسلدروف.

حدث وأن التقيا وجها لوجه، بالصدفة المحضة، في دكان كاراجندا. في البداية أصابهما الذهول من وقع هذه المفاجأة السارة، وما لبثا أن تعانقا وأخذا يتطلعا إلى بعضهما البعض من دون أن يعرفا ماذا يقولان. وفي النهاية نطق، كليوف أخيرا وهو يحاول أن يقمع ابتسامة غبية وسعيدة بدت وكأنها التصقت بوجهه:

- كيف حالك، يا بوريس؟!

- لا بأس - رد أوبرمان مراوفا.

- أي ريح ألققتك عندنا هنا؟

- أتيت للعلاج في «بستان الكرّز». رئتاي ليستا على ما يرام، أشعر بين الحين والآخر بضيق في التنفس. بيد أنني ذات مرة كنت أفرغ حمولة طائرة «تو-154» ودخلت إلى صالة المسافرين، وفجأة شممت رائحة كلاب، فانتفخت رئتاي وعلى الفور، تصور، صرت أتنفس بيسر كما كنت في أفضل أيامنا! إلا أنه في الظروف العادية يمكن القول إنني لا أتنفس، وإنما أقوم بمجهود بدني ثقيل. ولكن دعك من كل ذلك وقل لي وراء أي شيء أتيت إلى هنا؟

- أنا أعيش بشكل عام هنا. أرسلتني سلطات الهجرة إلى باد-روتنفيلد للإقامة. وأنا أود أن ألفت نظرك باعتبارك لغوي إلى كلمة «إقامة»، فهذه ليست حياة، وإنما بالضبط «إقامة». وعليه، فأنا أدبر أموري بشكل أو بآخر مثل أي ابن... زوجتي تركتني وراحت تعيش مع سائق من مدينة «خلتر»، جماعتنا يسمونها «هتزر» طبعاً، وابنتي تعيش على حل شعرها في مدينة أو سنابريوك... الوضع، باختصار، زفت!

- أنا أيضاً عانيت الأمرين في البداية...

- لا، لا. انتظر، يا بوريس. تعال أولاً نشرب مائة وخمسين جراماً ولزومها نخب اللقاع.

- إذن لنذهب إلى أي بار. تلك الأماكن كثيرة هنا والحمد لله، فهي ليست تيمير-تاو.

- في البارات هنا - قال كلييوف في تردد - يصبون كميات... لا أدري... ولكنها لا تعجبني، ليست كميات سوفيتية كما تعودنا ولذلك أملاً خزاناً هنا في كاراجندا.

وبالفعل كان هناك ركن ما يشبه من بعيد جداً منصة بار صغير يتسع لشخصين بالكاد حيث يصبون المشروب لمن يريد. لم يكن فاجنر يمتلك تصريحاً بهذا الأمر، ولكن عمدة المدينة غض البصر عنه لغرابته، في حين كان فاجنر يعرف حدوده جيداً.

سار الصديقان نحو المنصة. جلسا على مقعدين عاليين. راحا يطالعان السمكات الذهبية السابحة في الحوض القائم على حافة النافذة. وبعد أن انتهيا من الأسماك طرّق كلييوف بإصبعيه قائلاً:

- هه، يا قبطان! أعطنا اثنين بمائة وخمسين جراماً ولوازمها!

قال فاجنر:

Jawoh!

بعد أن احتسى كل منهما كأس الفودكا وكوبا من البيرة، تناولا بعض قطع من الكعك المملح عثر عليها أوبرمان في جيبه. وحينما عزمّا على تكرار الأمر، دخل إلى الدكان رجل يرتدي معطفاً واقياً من المطر. رسم فاجنر على وجهه ابتسامة مزيفة وهرع للقاءه.

قال كلييوف من بين أسنانه في همس وهو يشير بإصبعه:

- انظر إلى هذا الشخص. هذا جوركا، يهودي من أوديسا. كان جزارا في السابق، والآن هو الوحيد الذي يجمع الاتاوات في هذه المدينة.
- ومن الذي يقع بين أنيابه في مثل هذا المكان؟ - سأل أوبرمان في حيوية وانفعال وكأن كليوف ضرب على وتر حساس لديه.
- دكان كاراجندا فقط، ولكن ليس كثيرا. ربما مرة واحدة في الموسم. إنه محتال كبير، أفعى، فاسد حتى النخاع. إنه لا يذبح أحدا، ولا يستخدم السلاح، ولا يخطف الأطفال، ومع ذلك ففاجنر، كحمل وديع، يسلمه ألف مارك شهريا. فمنذ عامين جاء جوركا هذا إلى الدكان وقال لفاجنر: - «أعطني ألف مارك وإلا سأضرب كل يوم واحدا من زبائنك. لن يكلفني ذلك أي شيء. ولا يهمني حتى لو قضيت بعض الوقت في السجن، فلماذا أقلق وطعامي سوف يكون جاهزا هنا؟ أما أنت فستبور تجارتك بعد ثالث شخص تصيبه لكماتي». قل لي، أليس عبقريا؟!

- ماذا أقول فالیهودي يظل يهوديا حتى على سطح القمر. أنا أيضا ذقت الأمرين في البداية... قال كليوف مقاطعا:
- اصبر، يا بوريس. يجب أن نكرر العملية. هه، يا قبطان! أعطنا اثنين بمائة وخمسين جراما ولوازمها.

قال فاجنر:

- Jawoh!

بعد دقيقة تابع أوبرمان حديثه وهو يقرض الكعكة المملحة:
- في البداية، كنت أنا ورجل من مدينة ألتا - أتا ندبر أمورنا بأن يسرق كل منا سيارة الآخر. سرق هو سيارتي أولا، ثم جاء دوري بعد ذلك. وتكرر الأمر عدة مرات. وكان تأمين السيارة يكفينا لعدة أشهر نعيش فيها دون هموم. ولكن بعد حوالي عام اضطررنا إلى تغيير المهنة، حيث صدر قانون جديد يمنع تأمين السيارات للروس. قل لي، أليسو أوغادا؟! ويسموننا أيضا دولة ديمقراطية!
- ليسوا بالضبط أوغادا. ويمكنني أن أقول أنهم يعيشون حياة مملّة، خالية من التوابل، بدون خيال، بدون تلك الشعلة... إنهم يضربون المخيلة الحية بالقانون، ولا يدرون أن هذا القانون مجرد لا شيء أمام شطارتنا. فانظر كيف أتدبر أموري إذا أردت، على سبيل المثال، إرسال باقة من ورود الماجنوليا إلى زوجة العمدة... أذهب إلى حديقة عامة، أنظر حولي، أرى عجوزا تنتزه مع كلبها، أقترّب من الكلب، أحاول أن أدوس على قائمته أو أشد ذيله، دون أن يلاحظني أحد طبعاً، وبما أن الكلاب هنا... هنا... كيف أعبر لك، عاطفية، فإنها بعد المحاولة الخامسة لا بد أن تعضني. عندئذ أبدأ الاحتجاج وإثارة الضجة. وفي النهاية، لكي تتخلص العجوز مني، وتتفادى مشاكل المحاكم والمحامين، تدفع لي تعويضا عن الضرر. طبعاً جسدي كله ملئ بالندوب، ولكن هذا ليس مهماً، فنحن معتادون.

قال أوبرمان بنبرة حاملة:

- عندنا هناك بدأوا أيضا في بناء المجتمع الديمقراطي ودولة القانون...
يااااا...ه، أي فرص الآن أمام أصحابنا هناك لتدبير أمورهم!!
- أما هنا في باد- روتنفيلد ففاجنر الكلب هو الوحيد الذي لا يعرف العوز،
ولكن لا بأس، فسوف أطير له عقله الآن!...هه، يا قبطان! أعطنا لتر فودكا
موسكو فسكايـا.

قال فاجنر:

Jawoh!

عندما حضرت الفودكا، فتح كلييوف الزجاجاة وغمز بعينه لأوبرمان ثم
سكب حوالي ثلاثمائة جرام في حوض السمك المليء بالسمكات الذهبية التي
سرعان ما طفت على السطح وبطنها منتفخة إلى أعلى. أما السبعمائة جرام
الباقية فاحتسبها مع بقايا الكعك المملح خلال ما يقرب من الخمسة عشر
دقيقة، ثم طلبا بعد ذلك اثنين بمائة وخمسين جراما ولوازمها مرة أخرى. وفي
النهاية أضافا علامة جديدة إلى مدينة باد- روتنفيلد، إذ حدث ما لا يمكن أن
يصدقه أحد من أهل سكسونيا السفلى، فبمجرد خروجهما إلى الشارع
دهستهما شاحنة. وصار الألمان فيما بعد عندما يتحدثون عن مدينة باد-
روتنفيلد يقولون: «أليست هذه هي المدينة التي دهست فيها شاحنة اثنين من
الروس!»



* فيتشيسلاف بيتسوخ من مواليد موسكو عام 1946م. أنهى كلية التاريخ
بمعهد موسكو للتربية عام 1970م. كتب أول قصة عام 1973م، وكانت بداية
النشر عام 1978م. صدرت مجموعته القصصية الأولى عام 1983م بعنوان
«ألف باء». له عشر مجموعات بين الرواية والمجموعة القصصية، منها:
«الزمنة السعيدة»، «فلسفة موسكو في جديدة»، «التنبؤ بالمستقبل».

«حكايات من الأدب الصيني القديم»

• ترجمها عن الفرنسية: وليد حسن حسو

الحكاية الأولى:

«الفرس والمهر»

اصطحبت الفرس صغيرها في نزهة. وفي اللحظة التي اجتازا فيها منطقة سبخية تكثر فيها السبخيات والمستنقعات قالت له:

- انتبه يا صغيري يجب أن نجتاز هذا المستنقع ببطء وحذر شديدين، خطوة خطوة!..

وفيما بعد، بينما كان عليهما اجتياز ساقية يجري فيها الماء بسرعة وصخب كبيرين، شعر المهر بخوف وقالت له الفرس:

- لا تخف، امش بسرعة، أنه أمر عادي، ولا شيء هنا يدعو للخوف... عندئذ سأل المهر أمه مستغرباً ومستفسراً:

- ولكن يا أمي، عندما كنا نجتاز منطقة سبخية، مياها هادئة وراكدة بشكل كبير، كنت وقتئذ حذرة وخائفة، ولكنك، هنا بالعكس هادئة جداً، وغير خائفة، بالرغم من تيار الماء الهادر.. بالله عليك، يا أمي، قل لي لماذا هذا الاطمئنان والهدوء هنا، وذلك الخوف والحذر هناك؟

أجابته الفرس مبتسمة:

- السبب بسيط يا صغيري، هنا نرى الأمور بشكل واضح وجلي وجيد، حيث نرى أمامنا الساقية الصافية والرقراقة والشفافة، ولكن الأمر مختلف بشكل كبير بالنسبة إلى المستنقع، حيث يجب علينا التزام جانب الخوف والحذر والهدوء، لأن عمقه غامض ومجهول بالنسبة لنا...

الحكاية الثانية:

سجرة العنكب

نبئت عنابتان وارتفعتا أمام بعضهما البعض على رابية واحدة.

حملت إحدهما ثمارا كثيرة، بينما بقيت الأخرى عاقرا، جافة ولم تحمل من

الثمار شيئاً. وعندما نضجت ثمار شجرة العناب الأولى وحان قطافها، تسلق بعض القاطفين على الشجرة لقطف الثمار، وقام البعض الآخر بضرب الأغصان بالعصى لتسقط الثمار، وبعد نهاية القطاف كانت الشجرة المثمرة في حالة يرثى لها: مسكوره الأغصان، ذابلة الأوراق، جرداء، مثل صحراء. بينما الشجرة الثانية، الشجرة غير المثمرة، فلم يقترب منها أحد، فبقيت سليمة الأغصان والأوراق وبدت، قياساً إلى الأولى، في أبهى حلتها وزينتها، عندئذ قالت الشجرة الثانية للأولى:

- لقد جلبت الدمار لنفسك، وأوصلت حالك إلى هذا الوضع البائس والمسكين. لقد كنت فخورة بثمارك التي جلبت لك الألم والحزن والتعاسة، انظري إليّ كم أنا سعيدة، لأنه لم يقترب مني أحد، ولم يمسنني أحد بسوء... عندئذ أجابتها الشجرة الأولى، الشجرة الخصبة والمثمرة:

- هذا صحيح.. فلك الحق بأن تفخري وتتباهي وتفرحي لأنك حافظت على نفسك سليمة وفي أحسن حال.

ولكن ماذا فعلت وماذا قدمت لهذا العالم المليء بالشمس والنور!!!..

الحكاية الثالثة



- كوكو ريكو...» صدح الديك في صحن الدار عند طلوع الفجر. تشاءبت صاحبة الديك بانزعاج، وقالت بغضب وهي تقذفه بمقشة:

- أيها الديك اللعين والمزعج! ها أنت، منذ الفجر، تبدأ بخدش أذني بصياحك وزعيقك! انتبه واحذر، إذا أيقظت صغيري، سوف أرسل بك إلى العالم الآخر... هرب الديك بسرعة كبيرة، وأرسل خلفه سيلاً من الشتائم على المرأة، وقال وهو غاضب وساخط:

- هيه!... هيه!.. الموت لك! هيه.. هيه الموت لك أنت!..

بعد هذه المواجهة، ينشب بينهما شجار ونزاع، وتقوم المرأة على أثرها بملاحقته في صحن الدار.

تابع ثعلب هذا المشهد المسرحي، عبر فتحة في الجدار، وعندما أصبح الديك على مقربة منه، بدأ الثعلب بتملقه ومدحه وتقريظه قائلاً:

- أخي العزيز.. كم أنت مقهور ومظلوم ومحروم من حقوقك.. هيا غن، فأنا أحب الاستماع إلى غنائك الجميل! أنت مغني الفجر، أنت جرس الصباح

للطبيعة، أنت موقظ الأرض، أنت مجدد النهار.. كم أنت مجيد وبهي ورائع! وكم هو جميل وممتع ومطرب صوتك! هيا غن.. غن.. واستمر بالغناء أيها المغني الجميل.

خرج الديك عندئذ من الدار عبر فتحه الجدار مغروراً مختالاً مزهواً انخدع بحديث الثعلب الماكر المتملق، ورفع رأسه بكبرياء، واشرباً بعنقه مختالاً وبدأ بالغناء.

في هذه اللحظة بالضبط، وقبل أن ينهي الديك غناؤه، هجم الثعلب وانقض عليه وأمسك به بين شدقيه.

أخى العزيز اسمع هذه العبرة من هذا الدرس الأخلاقي:
- «إذا لامك ونقدك شخص ما على شيء ما، لا تنزعج منه كثيراً، لأنه يريد لك، بهذا النقد، الخير والسعادة. وبالعكس، تماماً إذا مدحك وتملقك شخص ما، احترص واحذر منه، لأنه ربما يريد الكيد لك والايقاع بك».

الحكاية الرابعة:



كان ثمة حوض مائي شفاف، دائري الشكل موجود على حافة النافذة، بجانب أصيص مزروع بزهرة النرجس التي كانت تنبعث منها، بهدوء ولطف، رائحة زكية منعشة.

كان سمك الشبوط الأحمر يتأفف ويتحسر بدون توقف قائلاً:

- ها هم، انظروا إليهم، لقد بنوا المنزل بطريقة سيئة جداً، انظروا إلى إطار النافذة، فهو غير مستقيم، وحتى الأشجار التي أراها أمامي، فهي مشوهة، عريضة، ومعوجة، العالم يبدو، فعلاً، رهيباً ومخيفاً ومزعجاً بشكل كبير.

كانت زهرة النرجس تجد كلام سمك الشبوط غريباً وعجيباً لأنه بالنسبة لها كان كل ما يحيط بها، وتراه أمامها، ليس كما يصفه سمك الشبوط، فلماذا يا ترى، ينتابه هذا الشعور السيئ!!؟

كانت أشعة الشمس المتسللة عبر النافذة تسبغ لونا أحمر على زهرة النرجس. وكان سمك الشبوط يقول وهو محاط بكل هذا المنظر البهي الرائع.

- العالم كله يقول بأن الشمس دائرية، بينما أراها أنا مفلطحة بشكل واضح وجلي لم تستطع زهرة النرجس البقاء ساكنة أمام هذه الآراء المغلوطة، والمشوهة،

- هذا ليس صحيحاً، أيها الأخ العزيز، ربما لا ترى حولك، وفيما يحيط بك، بشكل واضح وجيد!

رد سمك الشبوط بلهجة هازئة :

- أبداً، أبداً، كلامك غير صحيح، فأنا أملك عينين طبيعيتين وقويتين، وأرى بهما بشكل جيد وواضح كل الوضوح، وبالنسبة لك، أيتها الزهرة، يقول الناس عنك، أنك ظريفة ولطيفة وجميلة، ولكني بالعكس تماماً أراك غير ذلك أبداً، لأنك ذات لسان أعوج، ولا تقولين الحقيقة والصواب، كما أنك تغالطين نفسك وتشوهين الحقيقة...

دهشت زهرة النرجس، وانذهلت من كلام سمك الشبوط الأحمر. أن تكون هي لطيفة وجميلة، أم لا تكون فهو أمر لا يهمها ولا تهتم به كثيراً، ولكن أن يصفها السمك بأنها ذات لسان أعوج ولا تقول الحقيقة، فهذا غير معقول وغير مقبول، وبجانب الحقيقة والصواب، ويبدو بعيداً عن المنطق والواقع كل البعد. ولكنها بدأت تتساءل :

- «لماذا تكونت وتشكلت هذه الفكرة المشوهة عن العالم وعنهما، عند سمك الشبوط الأحمر»؟؟

هبت فجأة ريح قوية وتموجت مياه الحوض، وترجرت وناست أشعة الشمس أيضاً، كما شوهد انعكاس بريق النور على نصف دائرة متألئة. دهشت زهرة النرجس، وأسرت بهذا المشهد الخلاب، فقالت لنفسها :

- العالم ليس كما يقول ويراه سمك الشبوط الأحمر، ولكنه وكونه يعيش في حوض مائي فهو يرى كل ما يحيط به مشوهاً ومعوّجاً ومقلّحاً.

نلتقي

• نذير جعفر

كان طموح «البيان» أن يمثل هذا العدد الخاص بالقصة القصيرة كل الساحات العربية ومعظم دول العالم ليكتمل المشهد القصصي وتتضح آفاقه. لكن أسبابا عديدة حالت دون ذلك. فالمسافة بين الطموح والواقع تصطدم دائما بعوائق كثيرة، لعل أهمها الانقسام الذي تعيشه الأمة، والتذمر الذي يعصف بكيانها، والجدران التي ترتفع بين قطر وآخر على الرغم من «العولمة» و«ثورة الاتصالات»؟! ولعل هذا ما جعل بعض الساحات الأدبية والأصوات القصصية تغيب عن هذا العدد الخاص.

وهنا من الضروري أن نشير إلى أن هذه القصص التي تضمنها العدد قد لا تكون الأفضل لدى كتابها، كما أنها قد لا تمثل المراحل الأخيرة من تطور هذا الفن في بلدانها، لكنها مع ذلك تعطي مؤشرا حقيقيا عن استمرارية القصة وارتدادها لآفاق جديدة.

وعلى الرغم من الثغرات والملاحظات التي يمكن أن تثار هنا وهناك فإن هذا العدد - في المحصلة - سيبقى وثيقة أدبية مهمة للقراء والدارسين الذين يؤثرون هذا الفن الجميل.

وكل عام وأنتم بخير